

الحِجَاجُ فِي النَّصِّ القُرْآنِيِّ " سُور الحَوَامِيم أَنْمُوذِجًا "

إعداد الطالب هانى يوسف أبو غليون

إشراف الأستاذ الدكتور زهير المنصور

رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد _ قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة ، 2018

الآراء الواردة في الرِّسالة الجامعيّة لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مُؤتة



MUTAH UNIVERSITY College of Graduate Studies

جامعة مؤتة كلية الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب هاني يوسف أبو غليون الموسومة بـ:

الحجاج في النص القرآني " سور الحواميم أنموذجاً" استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية. القسم: اللغة العربية.

د. زهير احمد المنصور	<u>التاريخ</u> 2018/4/30مشر	رفاً ورئيسا
. يوسف عواد القماز	2018/4/30	عضوأ
احمد صالح الزعبي	2018/4/30	عضوأ
إبراهيم منصور الياسين سو	2018/4/30	عضوأ

عميد كلية الدراسات العليا



MUTAH-KARAK-JORDAN Postal Code: 61710

TEL:03/2372380-99 Ext. 5328-5330 FAX:03/ 2375694

<u>sedgs@mutah.edu.jo</u> <u>dgs@mutah.edu.jo</u> e-mail: http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm مؤته – الكرك – الاردن الرمز البريدي :61710 تلفون :99-03/2372380 فرعي 5328-5330 فاكس \$694-2375 البريد الالكتروني الصفحة الالكترونية

(لإهراء

2)

ولالىري

ولالبرتع

زوجتي

(بنتی

رشا

لأهري هزل (لجهر

الشُّكر والَّتقدير

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي

الأستاذ الدكتور زهير المنصور

الَّذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرّسالة ، ولم يبخل عليّ بالتوجيهات القيّمة ، وأمدني بالدَّعم والمساندة ، وسعة صدر ، فيسر لى كلّ عسير .

كما أقدم الشُّكر موصولا لأعضاء لجنة المُناقشة:

الدكتور يوسف القماز & الدكتور إبراهيم الياسين & الدكتور أحمد الزعبي القبولهم مناقشة هذه الرِّسالة ، وما بذلوه من جُهد في مناقشتها ، وتقويم اعوجاجها .

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
Í	الإهداء
Ļ	الشكر والتقدير
E	فهرس المحتويات
ز	الملخص بالعربية
ح	الملخص بالانجليزية
5.1	المقدمة
31.6	المدخل
6	الحجاج لغة
10	الحجاج اصطلاحا
12	الحجاج عند العرب
20	الحجاج عند الغربيين
27	مقاربة بين الحجاج والإقناع
28	سمات النّصّ الحِجَاجيّ
29	التواصل والحجاج في الخطاب القرآني
85 . 32	الفصل الأول (آليات الحجاج)
32	منطلقات الحجاج
33	1 . الوقائع
33	2 . الحقائق
35	3 . الافتراضات
36	4 . القيم
37	5 . الهرميات
37	6. المواضع

41	تقنيات الحجاج
42	1 . طرائق الوصل :
42	1 . 1 الحجج شبه المنطقية
42	1. 1. 1 الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية
48	1 . 1 . 2 الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية
51	2.1 الحجج المؤسسة على بنية الواقع
51	1.2.1 حُجج الاتصال التَّتابعي
56	2.2.1 حُجج الاتصال التواجدي
61	1 . 3 الحجج المؤسسة لبنى الواقع
61	1 . 3 . 1 تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة
63	1 . 2 . 3 الاستدلال بواسطة التمثيل
64	2 . الطرائق الانفصالية
67	المناظرة الحجاجية
71	1 . المناظرة : نصها و تأطيرها
73	2 . البراهين
77	3 . الاشتغال الحجاجي في المناظرة
77	1.3 البناء الحواري
81	2 . 3 الاستفهام واشتغاله الحجاجي في المناظرة
82	3 . 3 النفي واشتغاله الحجاجي في المناظرة
85	3 . 4 النداء واشتغاله الحجاجي في المناظرة
85	3 . 5 الأمر واشتغاله الحجاجي في المناظرة
149 . 8	الفصل الثاني (الحجاج البلاغي)
86	الحجاج البلاغي
88	1 . الإلتفات
100	2 . الاستعارة الحجاجية
117	3 . التقابل

122	4 . التمثيل
129	5 . الصورة الفنية وأبعادها الحِجَاجيّة
132	5. 1 وظائف الصورة الحِجَاجيّة
139	2.5 أنماط الصورة الحِجَاجيّة
144	5 . 3 مادة الصورة الحِجَاجيّة ومكوناتها
	الفصل الثالث (الحجاج التداولي)
150	الحجاج التداولي
151	1 . الروابط الحجاجية
152	1 . 1 الرابط (إذا)
154	2 . 1 الرابط (ثم)
155	1 . 3 الرابط (لكن)
157	4 . 1 الرابط (بل)
159	1 . 5 الرابط (حتّى)
161	2 . العوامل الحجاجية
162	(1 - 1) العامل (النفي إلا)
165	2 - 2 العامل (إنما)
166	2 ـ 3 العامل (كاد)
167	2 ـ 4 العامل (قليلا)
163	3 . السلالم الحجاجية
168	3 . 1 قوانين السلم الحجاجي
171	2 . 2 مستويات السلم الحجاجي
171	1.2.3 سلمية المعجم
173	2.2.3 سلمية النظام البلاغي
175	3.2.3 سلمية الاستدلال
176	4 . أفعال الكلام

ھ

177	4 . 1 مستويات أفعال الكلام
179	4 . 4 الأفعال الانجازية الصريحة
179	4 . 4 . 1 الاستفهام
181	4 . 4 . 2 الأمر
182	4 ـ 4 ـ 3 النهي
184	4 ـ 4 ـ 4 النداء
185	5. الإضمار والاقتضاء
185	5 - 1 الإضمار
189	5 ـ 2 الاقتضاء
191	5 ـ 2 ـ 1 الاقتضاء المعجمي
193	5 ـ 2 ـ 2 الاقتضاء التركيبي
196	6 . التكرار
202	الخاتمة
204	المصادر والمراجع

المُلخّص

الحِدَاج في النَّصِّ القُرآنيّ " سُور الحواميم أنموذجا " هاني يوسف سلامة أبو غليون

جامعة مؤتة ، 2018

هدفت هذه المُدونةُ دراسةَ ظاهرة الحِجَاج في النِّصِّ القُرآنيِّ من مُنطلقاته المنطقيّة والبلاغيّة، والتَّداوليّة؛ لإظهار أهم آليات النَّظريّة الحِجَاجيّة وتقنياتها الَّتي تصل بالنِّصِّ التَّخاطُبيّ لأعلى درجات التَّفاعُل والتَّواصئل بين مُتكلِّمه ومُتلقّبه لتحقيق مُتلازمة الإفهام التي تصل به للاقناع ليكون وسيلة لاذعان المُتلقِّي وتسليمه لما يُطرح عليه ، ولتحقيق هذه الغاية قسمتُ الدِّراسة لمدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

وعرفنا في مدخل الدِّراسة الحِجَاج لُغة واصطلاحاً ، وتتبعنا المسار التَّاريخيّ لنظريّة الحِجَاج عند العرب والغربين ، وقاربنا بين الحِجَاج والاقناع ، وبيّنا أهمّ سِمات النَّصِّ الحِجَاجيّ ، ووضحنا آليات التَّواصلُ والحِجَاج في الخطاب القُرآنيِّ .

وتلمسنا في الفصل الأول مواضع مُنطلقات الحِجَاج وتقنياته الّتي نظر لها بيرلمان وتيتيكا على عينه الدِّراسة ـ سور الحواميم ـ وما حملته من قوة إقناعية لأكثر العقول الحادا وعنادا ، وأثرها في تغيير مفاهيمهم العقائديّة ، ودرسنا بناء المُناظرة الحِجَاجيّة في سور الحواميم وما واختزلته من طاقة إقناعيّة تواصئليّة لتحقيق أهدافها الحِجَاجيّة .

وخَصَّصْتُ الفَصْلُ الثَّانِيَ لدراسة الأثر الحِجَاجِيّ لبعض الفنون البلاغيّة فالالتفات أثر في تحقق حدوث الحدث واستحضار صورة حسيّة لتأكيده، ودور الاستعارة الحِجَاجيّة في إثبات المعنى، وكأنَّها أداة إدراك استشرافية، وما للمُقابلة من مقصديّة ثنائية العلاقة الضِّديّة وأثرها في دحض معنى واثبات النَّقيض، ودرسنا الصُّورة الفنيّة بمسبار حِجَاجيّ.

وثالث فُصول الدِّراسة بين القيمة الحِجَاجيّة لوحدات تداوليّة ، والانشغال الابطاليّ أو التأبيديّ لروابط الحِجَاج وعوامله ، وقوانين سلمه الحِجَاجيّ ، مُبرزين القوة الحِجَاجيّة لظاهرتي الإضمار والاقتضاء ، وطاقة التُّكرار الحِجَاجيّة . وأنهيت الدِّراسة بخاتمة ذكرت فيها ما توصلتْ إليه الدِّراسة من نتائج .

Abstract

THE ARGUMENTATION IN THE QURANIC VERSE "SUAR AL- HAWAMIM AS A MODEL"

Hani Yousef Salameh Abu Ghalyoun University of Mu'tah, 2018

The study sought to address the phenomenon of argumentation in the Qur'anic text. The study included an introduction, a preface, three chapters and a conclusion. The introduction presented the importance of the study, its significance, its methodology, the difficulties it faced, the most important studies and the references.

As for the Introduction chapter, the researcher defined the argumentation, followed the historical path of the theory of argumentation in Westerners and Arabs literature, approached the argumentation and persuasion, pointed to the most important features of the argumentation style and explained the devices of communication via argumentation in the Ouranic discourse.

The first chapter dealt with the principles and techniques of argumentation as described by Perleman. The chapter also discussed the construction of the argumentation debate, and combined between the theoretical and practical aspects of the verses of the Surat al-Hawamim.

The second chapter was devoted to dealing with argumentation in terms of rhetoric, metaphor, representation and interview. It also discussed the artistic and figurative styles of argumentation. As well as, it pointed to the role of Muslim scholars in the Arab heritage in this field.

In the third chapter, the researcher studied the semantic features of argumentation through analyzing the factors, links and kinds of argumentation. As well as, the acts of speech, the phenomenon of insinuation linking between the theoretical and practical aspects of the subsections.

The study ended with a conclusion that introduced the results of the study. In addition, a list of sources and references that the researcher referred to.

المُقدّمة

تَبرز أهميّة الحِجَاج مِنْ خِلال الوظيفة الإقناعيّة الَّتي يُؤَدْيِها داخل النَّصِّ ، والتَّأْثير الَّذي يُوقعه في المُتلقِّي ، فقد أدرك عُلماء الإسلام في تراثنا العربيِّ هذه الأهمية ، إذ وظُفوا الحِجَاج في مُخْتَلف ميادين المعرفة الَّتي شُغِلوا بها ، فدرسوا الأهمية ، إذ وظُفوا الحِجَاج ، والإقهام ، وتأثيره في المُتلقِّي ، وتوسعوا في دراسة الجدل ليكون أساسا علميّا لمبدأ الإقناع ، كما استثمر بعضهم الطَّاقات الإقناعيّة في النَّحو والبلاغة ودورها في إقامة علاقة تواصئليّة بين المُتكلِّم والمُتلقِّي في دائرة النَّصِّ ، وفي الدِّراسات الحديثة ظهر ما يُعْرَف بالبلاغة المُعاصرة أو الجديدة ، فاتَسعت دائرة الحِجَاج لينطلق الحِجَاج من دائرة الجدل إلى مجالات السيّاسة ، والقانون ، والفلسفة والآدب ، والبلاغة ، بل أصبح أداة من أدوات تحليل الخطاب والنَّفاعُل بين عناصر والنَّصِّ بما يتمتع به من آليات للإقناع ، سواء أكانت دلاليَّة أم بلاغيَّة .

والنّصُ القُرآنيُ أكملُ النّصُوصِ بناءً ، نزل لإقناع المُنكرين للدّين الإسلاميّ ، وتعزيز اقتتاع من اتبّعه ، فكان أطول خطاب إقناعيّ حجاجيّ امتد من نزول الوحي ويستمر حتّى يرث الله الأرض ومن عليها ، فجاءت حجاجيّة الخطاب القرآنيّ لِتُزيلَ السّتار عن فساد مُعتقدات سابقة لِنُزُولِه ، وعقليات مُتعصبة لفِكْرها واعتقادها ، فكان النّصُ القُرآنيُ خطاباً حجاجيّاً توفرت فيه كُلّ مقومات الاستمالة والتّأثير المُوجه للمُتلقّي وحسب مُقتضى حاله ؛ لإقناعه بما يحمل من رسالة سماويّة ، ومن هنا نبع اهتمامي ببحث الحِجَاج في هذا الخطاب ؛ للكشف عن مُقومات الحِجَاج في الآيات القُرآنيّة للوصول إلى الإقناع من الناحية المنطقيّة والبلاغيّة والتّداوليّة ، لما توفره للخطاب من قوم إلى الإقناع من الناحية المنطقيّة والبلاغيّة والتّداوليّة ، لما توفره للخطاب من الموسوم بـ :

" الحِجَاجُ في النَّصِّ القُرآنيِّ ـ سُورِ الحَوَامِيمِ أُنْمُوذَجًا "

لكشف مَواطن النَّظريّة الحِجَاجيّة في النَّصِّ القُرآنيِّ ، خاصَّة في سُور الحَوامِيم .

وسور الحواميم أو سور "آل حم "سبع وهي: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، وسميت بالحواميم لورود "حم "في بدايتها، وهي سور مكية نزلت بترتيبها السابق، وعن فضلها قيل أنها "لباب القرآن " و " ديباج القرآن "، وأخبر أنس رضي الله عنه بأن "الحواميم روضة من رياض الجنة "، وتمتاز هذه السور بما بينها من وحدة موضوعية في القضايا التي تتناولها من قضية تنزيل القرآن الكريم، والحديث عن نعم الله على الإنسان، وتصويرها لمشاهد من يوم القيامة، وقصص الأنبياء والأمم السابقة، ودعوة سيدنا محمد.

ونبع اهتمامي بموضوع الحجاج في سور الحواميم للأسباب التالية:

أُولاً: نُدْرَةِ الدِّراساتِ الحِجَاجِيَّةِ الَّتِي تتاولتِ النَّصَّ القُرآنيَّ بالدِّراسة ، خاصَّة سُور الحواميم ، الَّتي لم تتل حَضَّهَا من الدِّراسة الحِجَاجِيَّة مع توفر آليات الحِجَاج المنطقيّ والبلاغيّ والدَّلاليّ في آياتها .

ثانياً: إبراز أهم الآليات الحِجَاجيّة الفلسفيّة والبلاغيّة والدَّلاليّة في سُور الحَواميم وطريقة توظيفها ، ودورها التَّأثيريّ في المُتلقِّي واستمالته.

ثالثاً: التَّتبع التَّاريخيّ لنظريّة الحِجَاج خاصَّة في التُّراث العربيّ القديم.

رابعاً: تأكيد فرضية الحِجَاج في لغة النَّصِّ القُرآنيِّ ، والوقوف على مدى تأثيرها في العقول الأكثر الحاحاً وعناداً ؛ لِحَمْلِها على الإذعان للحكمة الإلهية .

ولتحقيق أهداف هذا البحث اعتمدت المنهج (الوصفيّ التَّحليليّ) لتوضيح أساليب الظَّاهرة الحِجَاجيّة ، واعتماد نماذج من (سور الحواميم) وتحليلها ومُناقشتها انطلاقا مِمَّا قدّمه الدَّارسون والمختصون في هذا المجال ، وسيتم في بعض القضايا مقارنة بعض الأفكار الحِجَاجيّة الحديثة بما أنتجه علماؤنا القدامي بهدف الاستفادة من آرائهم في إثراء هذه المسائل.

ولإنجاز هذا العمل فقد قسمت الدِّراسة إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة ، أمَّا المدخل فيُمثّل المسار التَّاريخيّ لنظرية الحِجَاج تتاولت فيه تعريف مُصطلح الحِجَاج لغة واصطلاحا ، وتتبعت فيه تاريخ الحِجَاج زمنيا ، مبرزا جهود علماء الغرب القدماء وأهم جهود علماء العرب في التُراث الفكريّ العربيّ ، وأهم إنجازات الغرب المُحدثين

في الدِّراسات الحِجَاجيّة ، ودور رواد هذه النَّظرية من علماء العرب المُحدثين ، وقاربت بين مَفْهُومي الحِجَاجيّ ، ووضّحت آليات النَّصِّ الحِجَاجيّ ، ووضّحت آليات التَّواصئل والحِجَاج في الخطاب القُرآنيِّ .

وجاء الفصل الأول موسومًا بـ " آليات الحِجَاج " ومن خلاله تتبعت أبرز منطلقات الحِجَاج اللهي وضعها العالمان بيرلمان وتتيكاه نحو : الوقائع ، والحقائق ، والافتراضات ، والقيم ، والهرميات ، والمواضع بأنواعها من : الكمّ ، والكيف ، والنّعادل والترّبيب ، والوجود ، والجوهر ، والصّورة البلاغيّة ، مُعَرِّفاً بالمَفهوم ، ومطبقاً عليه بأمثلة من سُور الحواميم ، وأفردت بابا لدراسة تقنيات الحِجَاج كما صنفها بيرلمان ، بنوعيها : طرائق الوصل وما يقع تحتها من الحجج شبه المنطقية ، والحجج المؤسسة على بُنَى الواقع ، والحجج المؤسسة لبُنَى الواقع ، وما يتفرع عنها من جزئيات ، وطرائق الفصل ، وختمت الفصل بتناول بناء المُناظرة الحِجَاجيّة في " سور الحواميم " من خلال نموذج " مُناظرة مُؤمن آل فرعون وفرعون " وطبقت عليها كُلّ مباحث من خلال نموذج " مُناظرة مُؤمن آل فرعون وفرعون " وطبقت عليها كُلّ مباحث المُناظرة الحِجَاجيّة ، في دراسة نظريّة وتطبيقيّة من خلال آيات " سور الحواميم " .

وفي الفصل الثّاني الموسوم بـ " الحِجَاج البلاغيّ " درست سُور الحواميم دراسة بلاغيّة حجاجيّة، بدراسة مباحث الالتفات، والاستعارة الحِجَاجيّة، والتّمثيل، والمُقابلة، والصّورة الفنيّة وأبعادِها الحِجَاجيّة، كما قمتُ بدراسة إحصائيّة لظاهرة استعمال هذه المباحث البلاغيّة في سور الحواميم، وتتبعت جُهود علماء العرب في تراثنا الإسلاميّ في هذا المجال خاصيّة في الاستعمال الحِجَاجيّ للاستعارة، الغاية الحِجَاجيّة من الالتفات، في محاولة لقراءة البلاغة العربية قراءة حجاجيّة.

وختمت فُصُول الدِّراسة بالقصل الثَّالث المُعنون بـ " الحِجَاج التَّداوليّ " وفيه طبقت الرَّوابط الحِجَاجيّة ، والعوامل الحِجَاجيّة الَّتي وضع أسسها أوستن وسيرول على نماذج من آيات سور الحواميم ، وتتبعت مواطِن السَّلالم الحِجَاجيّة الَّتي وضعها ديكرو في سور الحواميم ، ودرست ظاهرة الأفعال الكلاميّة ، والإضمار والاقتضاء الّتي جاءت بها الدِّراسات التَّداوليّة المُعاصرة على النَّصِّ القُرآنيِّ ؛ لإبراز آليات الإقناع في سور الحواميم ، وربطت بين جهود العلماء المُعاصرين من غرب وعرب ، وجهود علماء الإسلام في التَّراث الحضاريّ العربيّ في المجال التَّداوليّ .

وأنهيت الدِّراسة بخاتمة أوجزت فيها أهم النَّتائج الَّتي توصَّلت لها دراستي ، وختمت الرِّسالة بقائمة المصادر والمراجع التي أفادت منها الدِّراسة .

ولإنجاز هذه الدراسة خاصّة في جانبها النّظري اعتمدت مجموعة من المصادر والمراجع الّتي شكلت دَعَامة أساسية للدّراسة ومن أهمها : كتاب " الحِجَاج في القرآن " لعبد الله صولة والّذي حاول فيه كشف مواطن الكلمة الحِجَاجيّة في النّصِّ القُرآنيِّ ، ودور الصّورة الحِجَاجيّة في الإقناع ، وكتاب " في نظرية الحجاج " لعبد الله صولة الذي أطر فيه لنظرية الحجاج ، وكان مصدرا مهما في الجانب النظري لهذه الدراسة ، وكتاب (أسلوبيّة الحِجَاج التَّداوليّ والبلاغيّ) لمثنى كاظم صادق ، الّذي تناول فيه الحِجَاج البلاغيّ والتَّداوليّ في السور المكيّة ، وكتاب (الحِجَاج في البلاغة المعاصرة) لمحمد سالم الأمين ، الَّذي تتبع فيه مراحل تطور البلاغة الحِجَاجيّة ، وكتاب (الحِجَاج في الشعر العربيّ بنيته وأساليبه) لسامية الدّريدي ، والّذي قدمت فيه نماذج تطبيقيّة للحجاج في الشعر العربيّ حتَّى القرن النَّاني الهجريّ ، واعتمدت في تفسير الآيات على نفسير (التَّحرير والتَّوير) لابن عاشور ، وغيرها من المصادر والمراجع .

وسبقتنا دراسات رائدة في مجال الحجاج في القرآن منها: دراسة الباحثة إيمان درنوني الموسومة بـ " الحجاج في النص القرآني ـ سورة الأنبياء أنموذجاً " المقدمة لجامعة الحاج لخضير ، الجزائر ، 2013 لدرجة الماجستير ، ودراسة الباحثة حياة دحمان بعنوان " تجليات الحجاج في القرآن الكريم ـ سورة يوسف أنموذجاً " المقدمة لجامعة الحاج لخضير ، الجزائر ، 2013 لدرجة الماجستير، ودراسة الباحث امحمد عرابي بعنوان " البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى " جامعة وهران الجزائر ، 2009 لدرجة الماجستير ، ودراسة الباحثة سعدية لكحل بعنوان " الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام " جامعة مولدي معمري ـ الجزائر ، رسالة ماجستير ، ودراسة الباحث عبد القادر عبد الله الحمداني بعنوان : " سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية " ، جامعة الموصل ـ العراق ، (2003) ، رسالة دكتوراه.

وواجهتني بعض الصُعوبات خلال إنجاز هذه الدِّراسة ، أهمها خُصوصيّة النَّصِّ القُرآنيِّ وصعوبة تأويله ، مِمَّا تطلب مني الحَيْطَة والمراجعة لكُلِّ كلمة أخطها قبل اعتمادها ، إضافة لندرة المراجع المُتخصصة في موضوع الحِجَاج لحداثته ، مِمَّا تطلب

مني جهدا كبيرا للحُصُول على الموجود منها ، خاصّة أنّها لمؤلفين من المَغرب العربيّ ، ومن الصّعوبات الّتي واجهتني تدَاخُل مفاهيم هذه النّظرية ، وتباين مُصطلحاتها خاصّة المُترجمة عن الفرنسيّة لعدم الاتفاق على تسميه موحدة لها .

وأخيرا أحمد الله على فضله على تذليل هذه الصّعاب ، وأعجز عن شُكْرِ مُشرفي : الأستاذ الدُّكتور زهير المنصور على إرشاداته السَّديدة ، ونصائحه العلمية وتوجيهاته كلما وقعت في عُسر ، ومتابعته الحثيثة لكُلِّ مراحل كتابة هذه الدِّراسة ، كما أتقدم بالشُّكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المُناقشة وهم : الدكتور يُوسف القماز ، والدكتور إبراهيم الياسين ، والدكتور أحمد الزعبي على جهودهم الفاضلة في مُناقشة هذه الرِّسالة ، وما قاموا به من جهود لتقويم اعوجاجها ، مقدرين لهم هذا الجهد ، جعله الله في ميزان حسناتهم ، كما أقدم الشُّكر موصولاً لأساتذتي في قسم اللهة العربية في جامعة مؤتة ، ولكُلِّ من شجعني على إنجازي هذه الدِّراسة ، خاصة صديقي الدكتور سلمان أبو غنيم الذي كان يشد أزري كلما فترت همّتي ، متمنيا أن أكون قد حققت ما هدفت له من هذه الرِّسالة، فما كان صوابا فيها فتوفيق من الله ، وما

هاني أبو غليون جامعة مؤتة 2018 / 4 / 30

المدخل:

الحِجَاجِ لُغَة :

لم يكن مفهوم الحجاج وليد العصر، فهو مصطلح قديم تعددت معانيه المعجمية والاصطلاحيّة ، فلا تكاد تَخْلُو مَعَاجِم اللَّغَةِ العَربيَّةِ القَدِيمَةِ مِنَ الجَذْرِ (حجج) وتَصَارِيفه المُخْتَلِفَةِ ، وورَدَتْ لَهُ مَعَانِ مُخْتَلفة عِنْد اللَّغوبيِّين في مَعَاجِمهم ، فقد فرّق أبُو هلال العَسْكريِّ (ت 395 هـ) بين مفهومي الاحتجاج والاستدلال ، وبين الحجة والبرهان في كتابه القُرُوق اللَّغويَّة ، فالحُجَّة عنده " الاستقامة في النَّظر ، والمضي فيه على سُنن مُستقيم من ردِّ الفرع إلى الأصل ، وهي مأخوذة من المَحَجَّة وهي الطَّريق المُستقيم ، وهذا هو فعل المستدل ، وتأثير الحجَّة في النَّفس كتأثير البرهان فيها ، وإنَّما تنفصل الحُجَّة من المُحَجَّة من المُحَبَّة من المُحَبَّة عيره . والفرق بين الاحتجاج والاستدلال أنّ الاستدلال طلب الشَّيء من جِهَة غيره ."[1]

أمًّا ابن مَنْظُور (ت 711 هـ) فيُعرّف الحِجَاج بائّه : " والتَّحاجُ : التَّخَاصُم ؛ وجمع الحُجَّةِ : حُجَجٌ وحِجاجٌ ، وحاجة مُحاجة وحجاجا : نازعه الحُجَّة ، وحجه يحجه حجا : غلبه على حجته ، وفي الحديث : فحَجَّ آدم موسى أي غلبه بالحُجَّة ، وقال الأزهريّ : ومن أمثال العرب : لجّ فَحَجّ ؛ معناه لجّ فغلب مَن لاجّه ، والحُجّة : البُرهان ؛ وقيل الحُجّة ما دفع به الخصم ، وقال الأزهريّ : الحُجّة الوجه الَّذي يكون به الظفر عند الخصومة ، وهو رجل محجاج : أي جَدِل ، واحتج بالشَّيء اتَّخذه حُجَّة ؛ قال الأزهريّ : إنّما سميت حُجَّة ؛ لأنّها تحج أي تُقصد لأن القصد لها وإليها ، وفي حديث الدَّجال : " إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه " أي محاجه ومغالبه بإظهار الحُجَّة عليه ، ومنه حديث معاوية : فجعلت أحُجّ خصمي أي أغلبه بالحُجَّة "أي ، فالحُجَّة عِنْدَه هِي البُرُهانَ الَّذِي يُرَدّ بِهِ الخَصْمُ ، وهي مِنْ أَسْبَابِ الظَّفَرِ ، وهي مُرْتَبِطَةٌ بالتَّخَاصُمُ ، الَّذِي لا يَكُون إلا بَيْنَ طَرفين أو أكثر ، وكُلُّ طَرَفٍ يَحْتَاجُ لأدَواتٍ لينْمَاز بِحِجَّته على الآخر ، لا يَكُون إلا بَيْنَ طَرفين أو أكثر ، وكُلُّ طَرَفٍ يَحْتَاجُ لأدَواتٍ لينْمَاز بِحِجَته على الآخر ، كما جُعِلَ التَّحَامُ مُرَادِفا للجَدَلِ ، ومُرتبَطِا بِمَحَاور التَّخَاصُمِ والجَدَل وتَقْدِيم البُرُهان. . كما أي التَّحَامُ مُرَادِفا للجَدَلِ ، ومُرتبَطا بِمَحَاور التَّخَاصُمِ والجَدَل وتَقْدِيم البُرُهان.

⁷⁰ العسكري،أبو هلال، (د.ت): الفروق اللغوية، ت:محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة ص1 . ابن منظور،محمد بن مكرم، لسان العرب ، م 2 ، دار صادر بيروت، مادة حجج ، ص 2 .

وعرَّف الشَّريفُ الجرجاني (ت 816 ه) في كتاب التَّعريفات "الحُجَّة : مَا دُلَّ به على صِحَّة الدَّعوى وقِيل الحُجَّة والدَّليل واحد ، والجَدَل هو القِيَاس من المَشْهُورات والمُسلمات ، والغَرَض منه إلزام الخَصْم وإفْحَام مَنْ هو قاصِر عن إدراك مُقدِّمات البُرْهان ، والجَدل دَفْع المَرْءِ خَصمه عن إفساد قوله بحجَّته أو شبهه وهو الخُصُومة في الحَقِيقة ، والجدال عبارة عن مِرَاء يتعلَّق بإظهار المَذَاهب وتقريرها "[1] ، فربط صراحة بين الحُجَّة والاستدلال بالقياس ، فالحِجَاج عنده صورة مُرادفة للجدل وأداة لكسب الخُصومة ، واثبات الدّعوى بالدليل والبرهان.

وتتلخّص مَعَاني الحِجَاج في المَعَاجِم عند اللَّغوييّن بد : التَّخَاصُم ، الجدل ، التَّنَازُع وتقديم البَرَاهين خِلال المُنَازعة والمُخَاصمة يقصدها المُتنازع بالبَراهين لغلبة الطَّرف المُقابل والتَّأثير فيه وإقناعه ، على أنَّه يَجِبُ الحذر ممّا ذهب إليه قُدامي اللَّغوييّن العرب في معاجمهم من اعتبار " الحِجَاج مُرادفا للجدل ، ومراوحتهم بينهما في الاستعمال ، واستخدام أحدهما معطوفا على الآخر باعتبارهما مُترادفين من شأنه أنْ يُضييق مجال الحجاج ويغرقه في الجدل ، فالحِجَاج أوسع من الجدل ، فكُلُّ جدلٍ حِجَاجٌ وليس كُلُّ حِجَاجٍ جدلاً "[2] ، فالاحتجاج من مُصطلحات النقد العربيّ القديم وهو " لون من ألوان الكلام سماه بهذا الاسم جماعة منهم أبو حيّان الأندلسيّ ، وابن الجوزيّة، وسمّاه الزَّركشيّ إلجام الخصم بالحُجَّة ، والبلاغيون يسمونه المذهب الكلاميّ ."[3]

مَفْهُوم الحِجَاج في القُرآن

وردت كلمة حجج بتصاريف مُختلفة في القُرآن الكريم في عِشرين مَوْضِعاً بمعان مُختلفة حسب استخدامها ، فقد وردت بمعنى جَادَل أيّ حَاوَر ونَاقَش ، وبمعنى خَاصَم أي نَازَعه وعَادَاه، واستُخدمت بمعنى العُذر والتَّعليل والدَّليل والبُرهان، كما ذكر الله تعالى

^{1 .} الجرجاني ، علي بن محمد السيد ، (د.ت) : <u>معجم التعريفات</u> ، ت : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة . القاهرة ، د .ت ، ص 67 ـ 73

^{2 .} صولة ، عبد الله ، (2007) : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي . بيروت ، ط2 ، ص 15 ، 17

^{3 .} مطلوب ، أحمد ، (2001) : <u>معجم مصطلحات النقد العربي القديم</u> ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1، ص 46

الجدل والتَّخَاصُم بمعنى الاحتجاج ، كما يُوضِّحه الجدول الآتي لهذه الكَلِمَة :

السورة	رقمها	الآية	المعنى
آل عمران	الآية 65	(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ)	
آل عمران	الآية 66	(هَا أَنتُمْ هُؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُونَ	
		فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)	يجادلون و
البقرة	الآية 139	(قُلْ أَتُكَاجُونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ)	يتخاصمون
البقرة	الآية 150	(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةً إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)	فيه
آل عمران	الآية 61	(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ)	
آل عمران	الآية 73	(أو يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ)	يجادل
الأنعام	الآية 80	(وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونَي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ)	
البقرة	الآية 258	(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ)	
آل عمران	الآية 20	(فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ اللّهِ)	
البقرة	الآية 76	(فَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ الله عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُوكُم بِهِ عِندَ	
		رَبِّكُمْ)	
الشورى	الآية 16	(الْبَذِينَ يُحَاجُونَ فِي اللهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَـهُ	يخاصم
		خُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً)	
الشورى	الآية 15	(لا حُجَّةً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم)	
غافر	الآية 47	(ُ وَإِذْ يَتَحَاجُونَ فِي الْنَّارِ)	
النساء	الآية 165	(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّة بَعْدَ الرُّسُلِ)	
الجاثية	الآية 25	(مَّا كَانَ كُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ	العذر و
		صادِقِينَ)	التعليل
الأنعام	الآية 149	(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ الْفَاوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)	الدليل و
الأنعام	الآية 83	(ُ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ)	البرهان

وَمِنْ خِلَال تَتَبع كَلِمَة (حجج) [1] ومُشْتَقَاتها المُسْتَخدمة في السِّياق القُرآنيِّ واستقراء مَعَانيها واستخداماتها يُمْكن لنا الوُصُول إلى النَّتائج الآتية: إنَّ هذه المفردة استخدمت بمعنى الجدل ، والتَّخاصم ، والعذر والتَّعليل ، والدَّليل والبرهان ، وهي لم تخرج في استعمالها عن المعنى المعجميّ .

•

^{1.} عبد الباقي ، محمد فؤاد ، (1364 هـ) المعجم المفهرس الألفاظ القرآن الكريم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مادة (حجج) ، ص 192 ـ 194

الحِجَاج في الحديث النَّبويّ

وردت كَلمة (حجج) واشتقاقاتها في طائفة من أحاديث الرَّسُول الكريم ومنها قول رَسُول الله : (احتجَّت النَّارُ والجنَّةُ) و (احتجَّت النَّارُ والجنَّةُ) و (احتجَّت النَّارُ) الله : (المَجَّت النَّارُ) الله : (المُخَارِيِّ (اختصمت الجَنَّةُ) [2] ، فجاءت احتجّت واختصمت الجَنَّةُ والنَّارُ) الله ، وورد عِنْد البُخَارِيِّ (اختصمت الجَنَّةُ) [2] ، فجاءت احتجّت واختصمت مُتقابلتين في المعنى ، ومن أمثلة المُحَاجة [3] في أقواله : (حَاجٌ مُوسى آدم) ، (لمُ يُحاجه القُرآن تلك اللَّيلة) ، (كلمة أحاج لك بها عند الله) ، (تحاج آدم ومُوسى فحج آدمُ مُوسى) ، (فإن يَخرج وأنا فيكم فأنا حَجِيجُه دونكم) ، (والقُرآن حُجة لك أو عليك) ، ولم تخرج في استخدامها عن المعنى المُعجميّ أو الاستخدام القُرآنيّ .

الحِجَاج في الشِّعر العربيّ

كما ورد الاحتجاج في الشِّعر القديم ، ومن الشِّعر قول وَرقة بن نَوْفل: [4]

بِأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينا ويَخْصِم من يَكون له حَجِيجا

ومن الأمثلة الأخرى[5] ما أنشد الخليل لبعض الشُعراء:

والخطاب البليغ عند حجاج القو م تُزهى بمثله في الندى كما افتخر أسامة بن منقذ بقوة احتجاجه فقال:

وأعجبني عيّي لديه ، ولم أزل إذا لم تكن خصمي ، لي الحجج اللّهُ وقال الفرزدق مُفتخرا بالحجاج العقليّ :

فقعقعت لحى خالد واهتضمته بحجة خصم بالخُصوم عنيف

^{1.} مسلم ، مسلم بن الحجاج (2006): صحيح مسلم ، دار طيبة .الرياض، ط1، م2 ، ص1304

^{2 .} البخاري، محمد بن إسماعيل ،(2002): صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، ط 1 ، ص 1840

^{3 .} ونستك ، أ . ي ، (1936) : المعجم المفهرس الألفاظ الحديث النبوي ، مكتبة بريل ، ليدن ، ج 1 ، ص 421 ، 422

^{4.} ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، (1990) : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف. بيروت، ج 3، ص 10

^{5.} دخيل الله ، ناصر ، **الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي** ، أطروحة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، السعودية ، دخيل الله ، ناصر ، 1426 م ص 18 ، 19

الحِجَاج اصطلاحا

أمًّا في الاصطلاح فيختلف مَفْهُوم الحِجَاج من حقلٍ إلى آخر ، فهناك المَفْهُوم الفلسفيَّ للحِجَاج ، والمفهوم المنطقيّ ، فَضْلاً عن المفهوم البَلاغيِّ والتَّداوليِّ المُنبثق من رُؤيةٍ لِسانيِّةٍ ، وهذا التَّوع عامِل من العوامل الَّتي جعلت مفهوم الحِجَاج من المفاهيم المُثيرة للالتباس الَّتي يَصْعُب الإحَاطة بها. [1]

يُعرِّفُ بيرلمان وتيتكا الحِجَاج بوصفه " درس تقنيَّات الخِطَاب الَّتي تُؤدِّي بالذِّهن إلى النَّسليم بما يُعرض عليها من أُطروحاتٍ ، وأنْ تَزيد في درجة التَّسليم ، مُحاولة إذعَان العقل لما يُطرح عليه من أفكار ، مارا الخِطاب الحِجَاجيّ في تشكله بالأدوار التَّالية : مرحلة مصادر الأدلة ، ومرحلة ترتيب أجزاء القول ، ومرحلة الصيِّياغة الأسلوبيَّة ، ومرحلة الإلقاء ." [2] ، فبيرلمان وتيتكا يهدفان من تعريفهما توضيح أهميَّة "دراسة التقنيَّات الخِطابيَّة الَّتي تُتيح إثارة أو زيادة إذعان العقول للأطاريح للحُصُول على التَّصديق " [3] ، فهي تقنيَّات تهدف للإقناع باستخدام البَلاغة البُرهانيَّة ، وللحِجَاج على التَّصديق " أنْ تجعل العُقُول تُذعن لما يطرح عليها أو تزيد في درجة ذلك الإذعان ، فأنجح الحِجَاج ما وُفق في جعل حِدَّة الإِذعان تقوى درجتها لدى السَّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) ، أو هو ما وُفق على الأقلّ في جعل السَّامعين مُهيّئين لذلك العمل في اللحظة المُناسبة "[14]

ويُعَرّف أوليرون الحجاج بأنه: " تِلك الخُطوات الَّتي يُحَاول بها الفرد أو الجماعة أَنْ تقود المُستمع أو المُخاطَب إلى تبني موقف مُعن ، وذلك بالاعتماد على تمثّلات

^{1 .} المغامسي ، آمال يوسف ، (2015) : <u>الحجاج في الحديث النبوي</u> . دراسة تداولية ، دار المتوسط للنشر . تونس ، ط1 ، ص 21

^{2 .} بوقرة ، نعمان ، (2009) : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب . دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث . إربد ، ط 1، ، ص 106 ، 107

^{3.} بروتون ، فيليب ، (2013): <u>الحجاج في التواصل</u> ، ترجمة محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلى ، المركز القومي للترجمة . القاهرة ، ط1 ، ص 22 ، 23

^{4.} صولة ، عبد الله ، (2011) : في نظرية الحِجَاج . دراسات وتطبيقات ، مسكيلياني للنشر ، تونس ، ط 1 ، ، ص 13

حِجَاجِيّة ذهنيَّة مُجرَّدة أو حسيَّة مَلمُوسة تهدف إلى البَرهنة على صلاحيَّات رأى أو مَشرُوعيَّته ، فالحِجّاج يسعى إلى" الإقناع والتَّأثير والتَّداؤل والتَّواصئل والتَّخاطُب، فهو فعالية تداوليَّة جدليَّة دِينامِيكيَّة فعَّالة "[1] ، ويعرف ديكرو وأنسكومبر الحِجَاج وفق مفهوم تقنى في كتابهما (الحجاج في اللُّغة) " أنَّ كُلَّ قولِ يحتوي على فعل إقناعي فإنْ تتكلم يعنى أنَّك تُحَاجِج (كُلُّ قولِ = حِجَاج) ، ولا وجود لكلام دُون شُحنة حِجَاجِيَّة ، فالحجاج عندهما هو علاقة دلاليّة تربط بين الأقوال في الخطاب ؛ لتنتج عن عمل المُحاجة "[2] ، ويعرف طه عبد الرَّحمن الحِجَاج " إذْ حَدُّ الحِجَاج أَنَّه كُلُّ منطوق به مُوجّه إلى الغير الإفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ له الاعتراض عليها"[3]، في حين عرّفه أبو بكر العزاوي بأنَّ الحِجَاج " هو تقديم الحجج والأدلة المُؤَدِّية إلى نتيجة معينة ، وهو يتمثَّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيَّة داخل الخِطاب. "[4]

فالحِجَاجِ - في رأينا - استراتيجية تَعْمَد للتَّأثير في المُتَلقِّي مِنْ خِلَال إيصال رَأْي (ما) له ، ومُحاولة إقناعه أو زيادة تسليمه واذعانه بذلك الرَّأي من خلال تقنيَّات وميكانزمات مَخصُوصة ذات مرجعيَّة بلاغيَّة ، أو لغويَّة ، أو فلسفيَّة ، أو جماليَّة ، بتوظيف كلّ العلاقات الَّتي يتكون منها النَّصّ الخطابي للوُصنول بالمُتلقّي إلى دائرة الإِفهام عن طريق التَّفاعُل والتَّواصئل في بنيه الخطاب بين المُتكلِّم والمُتلقِّي ، وبعد إحكام دائرة الإفهام يتمّ الانتقال إلى دائرة الاقتناع من خلال التَّأثير وصولا إلى دائرة التَّسليم والإذعان حول قضيَّة خلافيَّة تكون موضوع المحاجة والتي قامت من أجله باستخدام كُلّ الفنون الأدبيَّة .

1. حمداوي ، جميل ، (2015) : <u>التداوليات و تحليل الخطاب</u> ، ط1 ، ص 38

^{2.} صادق ، مثنى كاظم ، (2015) : أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، دار كلمة للنشر . تونِس ، ط1 ، ص 22

^{3 .} عبد الرحمن ، طه ، (1998) : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، ص 226

^{4.} العزاوي ، أبو بكر ، (2006) : اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، ط 1 ، ص 16

الحِجَاج عند العرب:

قُرِنَ تيَّار بلاغة الخطابة غالباً بالجَاحِظِ (ت 255) الَّذي عُدّ مُؤسسه ومُحكم خَصَائصه ، ولعلَّ اهتمام الجَاحِظ ببلاغة الإقناع دَفعَه إلى ربط البلاغة بأهداف إقناعية مُحَدّدا للكلام أدوارا في الخُصُومة [1] ، ويعطي الجَاحِظ أهمية لثنائيَّة الفِهْم والإفهام ودورهما في الوُصُول للإقناع من خلال تعريفه الجامع للبيان ، فيعرّف البيان بقوله : " البيان اسم جامع لكلِّ شيءٍ كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دُون الضَّمير حتَّى يُفْضِي السَّامِعُ إلى حقيقته ويهجم على مَحْصُوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدَّليل ، لأنَّ مَدار الأمرِّ والغاية الَّتي يجري إليها القائل والسَّامع إنَّما هو الفِهم والإفهام فبأي بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[2] ، ومن خلال تعريفه للبيان " يظهر أنَّ بلاغة الجَاحِظ تكسى بُعُدا تداوليًا بحيثُ تُعنَى بقضيّة الإفهام ، إفهام السَّامع واقناعه ."[3]

واهتم الجاحظُ بالاحتجاج وجعله من وجوه البلاغة ، إذ يقول " البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السّكون ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج " [4] . ويُعَدُّ كتاب البُخلاء من المؤلَّفات الَّتي قامت على الحِجَاج ؛ إذ عَمَد فيه الجاحظ إلى تقديم الحجج والبراهين حول قضية الكتاب الأولى، وهي ظاهرة البُخل جاعلاً منها وسيلة للسُّخريَّة من الشُّعُوبيَّة فقد وقف الجاحظ عند الصُّورة الحِجَاجيّة للبُخل ليصل إلى الإقناع بتفشيها في تلك الفئة من أهل مرو ، ويقول في مُقدِّمة كتاب الحَيوان : " وعبتني بكتاب احتجاجات البُخلاء ، ومناقضتهم للسّمحاء " [5] ، وهذا الجانب الحجاجيّ البارز هنا الكامن في

[،] مكتبة الخانجي للطباعة . القاهرة ، ط7 ، 1418 هـ ، ج 1 ، ص 76

^{3.} عادل ، عبد اللطيف، بلاغة الإقتاع في المناظرة ، ص 63

^{4.} الجَاحِظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 115 ، 116

^{5.} الجَاحِظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، (1965) : كتاب الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر ، ط 2، 1384 ه ، ج 1 ، ص 4

أماكن أخرى هو الّذي كان وراء تسمية لكتابه البخلاء بكتاب احتجاجات البخلاء القد ساعدت الوظيفة الحجاجيّة الّتي انتشرت في الكتاب للوُصُول إلى السُّخريَّة والإقناع بها ، ذلك أن " بخلاء الجاحظ ليسُوا من البُسطاء قليلي المعرفة الّذين يلزمون الرَّاوي بمُستوى ذِهني حجاجيّ مُتننٍ ، بل هُم من مُستوى عالٍ من القدرة الحجاجيّة ، فتتوعت مصادر احتجاجه ، فيضيف الذَّهول الحجاجيّ إلى الوهم العلميّ "[2] ، ونجده يستخدم الحجج والبراهين في الدفاع عن طرحه ، فكان الحجاج في كتاب البخلاء حجاجاً عقلياً فلسفيًا قائما على الإقناع العقليّ بما يطرح من حجج بل إن الجاحظ " قد يتدخَّل مُباشرة ليمذَّ المسخور منه بالحجج والبراهين المُناسبة للبناء حسب منطقه ، ففي هذا المسار من اختلاط الحجج المناسبة وغير المناسبة نجد مثلاً يقرن الملك والضَّبُ في نفس المسار الحججي " [3] ، وترى الدكتورة الدريديّ أنَّ الجاحظ يهتم بالاستدلال في الخطابة أكثر من الشُعر ، وأن مجال الحجاج في الخطابة أكثر من الشعر " فربط ظاهرة الحجاج في هاشميات الكُميت بنزعتها الخطابيّة "[4] .

ويَتَحَدَّثُ ابن وَهْب الكاتب (ت 337 هـ) في كتابه " البُرهان " عن أهميَّة الحِجَاج ، وأثره في الإقناع وإذعَان المُتلقَّي لما يُلْقَى عليه ، ولم يُغْفِل ابن وَهْب أهميَّة القِياس ودوره في الإقناع " وليس يجب القياس إلّا عن قولٍ يتقدَّم فيكون القياس نتيجته ، كقولنا: إذا كان الحَيُّ حسَّاسا مُتحركا ، فالإنسانُ حَيُّ " [5] ويرى فيه عِمَاد الْإِقْنَاعِ فهو " دليلٌ على استيعاب ابن وهب للآلية الرَّئيسيَّة في بلاغة الإقناع (القياس) والاهتمام بنوعه الخطابيّ ، وهو ما يُعْرَف في الدِّراسات الحجاجيّة منذ أرسطو بالقياس

^{1 .} العمري ، محمد ، (2012) : البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، إفريقيا الشرق . الدار البيضاء ، ط2 ، ص 126

^{2.} العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، ص 120 ، 124 . 2

^{3 .} العمري ، <u>البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول</u>، ص 124 ، 131

^{4 .} الدريدي ، سامية ، (2011) : <u>الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه</u> ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1، 1432 هـ ، ص 51

^{5.} ابن وهب ، إسحاق بن إبراهيم الكاتب ، (د.ت): البرهان في وجوه البيان ، ت: حنفي محمد شرف ، مكتبة الشباب ـ القاهرة ، د. ط ، ص 68

المُضْمَر، ووقف بشكل مُباشر على ما يَقُوم به الإقناع وهو الانتقال من المُقدِّمات إلى النَّتائج، أي مَا يُسمِّيهِ ديكرو بـ الحَركة الحجاجيّة "[1].

واهتم أَبُو هِلَاَلِ الْعَسْكَرِيِّ (ت 395) بالحِجَاج فجعل من يَرُوم فِهْم إعجاز القرآن يَتَّصِفَ " بِحُسْنِ مُنَاظَرَتِهِ، وتَمَام آلته فِي مُجَادَلَتِهِ، وشدَّة شَكِيمته في حِجَاجه "[2] وربط بين البَلاغة وبيْن إقامة الحُجَج والَّتي تُعَدُّ عنده من أُسِّس البلاغة " وهو في حالة لا يَنْجعُ فيها قولٌ ، ولا يَنْفَعُ فيها إقامة الحُجج ... أعلى رُتَبِ البلاغة أنْ يُحتجَّ للمَذْمُوم حتَّى يُخرجه من مَعرض المَحمُود ... "[3] ، وعرّف البلاغة بأنها : " البلاغة للمَذْمُوم حتَّى يُخرجه من مَعرض المَحمُود ... "[3] ، وعرّف البلاغة بأنها : " البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن "[4]، فقد تبنى " لفظة (تمكنه) ، والتمكين لا يكون إلا بحجة ظاهرة "[5].

ووظّف عبد القاهر الجرجانيّ (ت 471 هـ) الاستعارة تَوْظيفا حجاجيّا من خلال دورها في الإفهام والإقناع " أمّا الاستعارة فهي ضرب من التّشبيه ونمط من التّمثيل، والقياس يجري في ما تعيه القلوب وتُدركه العُقُول وَتُسْتَفْتَى فيه الأفهام والأذهان لا الأسماع والأذان "[6]، فالاستعارة عند عبد القاهر من وسائل الإفهام، ويرى " أن مزية الاستعارة على ما يقابلها تكمن في الإثبات لا المثبت، وأن فكرة الاستعارة تقوم على الادّعاء لا النقل "[7]، وعمد الجرجانيّ عن طريق خاصيّة الادّعاء للكشف عن مكامن

^{1.} عادل ، عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 70

^{2 .} العسكري ، أبو هلال الحسين بن عبدالله ، (1952) : كتاب الصناعتين ، ت : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العلمية ، ط1 ، 1371 ه ، ص 1

^{3 .} العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص 14 ، 53

^{4.} العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص 10

^{5 .} حمام ، بلقاسم ، مقال : البلاغة العربية وآلية الحجة ، مجلة الأثر ، مجلة الاداب واللغات ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، العدد الرابع – ماي : 2005 ، ص 240

^{6 .} الجرجاني ، عبد القاهر ، (1991) : أسرار البلاغة ، ت : محمود محمد شاكر ، دار المدني ـ ـ جدة ، ط1 ، 1412 هـ ، ص 20 ـ 22

^{7.} القرشي ، عالي سرحان ، مقال بعنوان : قلق البحث عن علاقات الاستعارة عند عبد القاهر ، مجلة جنور ، جدة ، ج 14 ، مج 7 ، رجب 1424ه ، سبتمبر 2003 ، ص 168

الطَّاقة الحجاجيّة للاستعارة من خلال أثر الاستعمال الاستعاريّ في الجمل والتَّراكيب الَّتي تحملها ، وهذا ما يُعلل سبب رفض عبد القاهر لفكرة النَّقل الَّتي تلغي فعالية الاستعارة والَّتي جعلها "كالشّيء الَّذي يجب له الثُّبوت والحصول ، وكالأمر الَّذي نُصِبَ له دليل يقطع بوجوده "الله ، وهذا يعني أنَّ الاستعارة "ليست عمليَّة لغوية خالصة وإنّما عمليَّة عقليَّة تَسْتَذْعِي إيراد الحجج على صِدق هذه الدَّعوى ، وأنَّ الاستعارة تُؤدي دورا فعًا لا في الحِجَاج والإقناع فهو أوَّل من استخدم أدوات حجاجية لوصف الاستعارة ، والقيمة الحجاجيّة الاستدلاليَّة للتَّمثيل والاستعارة من المسائل الَّتي اعتنت بها نظريات الحِجَاج الحديثة ."[2]

وأشار الجرجانيُ في نظريَّة النَّظم الَّتي تحمل في طياتها إشارات حجاجيّة من خلال تِلْك العَلاقة الدَّلاليَّة الَّتي تفرز فعلاً إقناعيًا بإعادة ترتيب بناء الْجُمْلَةِ النَّحْوِيَّةِ "وأعلم أن ليس النَّظم إلا تضع كلامك الوضع الّذي يقتضيه علم النَّحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه الَّتي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتَحْفظ الرُّسُوم الَّتي رُسِمَتْ لَك ، فلا تَخل بشيء منها "[3] وهذا يتوافق مع رُؤية ديكرو الَّذي يرى أنَّ كُلَّ قولٍ يحتوي على فعل إقناعيّ ، وتنبَّه الجرجانيُّ لأهميَّة العامل الحجاجيّ في الخطاب من خلال توظيف الرَّوابط الحجاجيّة مثل الرَّابط (إنِّمَا) " وأعلم أنَّ موضوع (إنِّمَا) على أنْ تَجِئ لخبر لا يجهله المُخَاطب ولا يدفع صِحَته ، أو لما ينزل هذه المنزلة "[4] ، فهذا إدراك من الجرجانيّ لأهميَّة العامل الحجاجيّ بكونه " مُوجبا لإِثبات ما بعده بعصره وتقديمه ونفيه الضّمني لما سواه بتحويل الخطاب إلى بنية مفيدة بالإِثبات مرُنبَطة به من خلال تفعيل النَّصَّ حجاجيّا وهيمنته عليه. "[5]

^{1 .} الجرجاني ، عبد القاهر، (د.ت) : دلائل الإعجاز ، ت : محمود محمد شاكر ، مكتبة

الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني ، ص 9 ـ 10

^{2.} المغامسي ، آمال يوسف ، الحجاج في الحديث النبوي . دراسة تداولية ، ص 66

^{3.} الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 81

^{4.} الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 330

^{5.} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي ، ص 114

وألَّف أبو الوليد الباجيّ (ت 474 هـ) كتاب "المنهاج في ترتيب الحِجَاج " مُتحدِّثا عن فن الجدل الَّذي يستمدّ حِجَّته من القرآن ، جاعلا الاحتجاج بمعنى الجدل و وسيلة للاستدلال عن طريق المُناظرة وأنْ " هذا العلم من أنفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا لأنَّه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحقّ من المحال ، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حُجّة ولا اتَّضحت مَحَجَّة ، ولا عُلِمَ الصَّحيح من السَّقيم . "[1]

وَلَمْ يَهْمِلْ حازم القُرطاجنيّ (ت 636 هـ) أهميَّة الخطاب الحجاجيّ في الإقناع والتَّأْثير في المُتلقِّي ، بل وتحويل الكذب إلى صدق إن أتقن الباث الاحتجاج والاستدلال في مجال الخطابة "لما كان كُلُّ كلام يحتمل الصَّدق والكذب إمَّا أن يرد على جهة الإحتجاج والاستدلال وكان اعتماد الصِّناعة الخطابيّة في أقاويلها على تقوية الظنّ لا على إيقاع اليقين "[2] فهو وإن كان يقرُ بأهمية الحجاج إلا أنَّه ربط الحِجَاج بالخطابة ؛ لأنَّها تحتمل الصَّدق والكذب ويكون دور الخطيب باستخدام أدوات الحجاج إقناع المُتلقِّي بما يُلقى عليه وتصديقه ، أمَّا الشَّعر فإنَّه يعتمد على الاستدلال لأنَّه مبني على التَّخيل فهو إمَّا بالقيَّمة الحجاجيّة للشَّعر الأنَّ ، ، وإنَّه لمن الإنصاف القول أنَّ حازما أوَّل بلاغي ينوه بالقيَّمة الحجاجيّة للشَّعر [ت 637] . وضمَّ ضياء الدين بن الأثير (ت 637) الاحتجاج تَحْت جناحي المذهب الكلاميِّ " وهي اشتِمال المعنى على حُجَّة بالغة يتجنب العُقلاء ردّها الشَّدة تمكنها من الأنْفُس "[14] ، وبين " مخادعات الأقوال الَّتي تقوم مقام مخادعات الأفعال ، والغرض منها استدراج الخصم إلى الإذعان والتَّسليم ."[15]

^{1 .} الباجي ، أبو الوليد سليمان بن خلف ، (2001) : المنهاج في ترتيب الحجاج ، تحقيق عبدالمجيد التركي ، دار صادر ـ بيروت ، ط 3 ، ص 7

^{2 .} القرطاجني ، أبو الحسن حازم ، (1986) : منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، ت : محمد الحبيب أبو الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 3 ، ص 61

^{3.} الولى ، محمد، مقال مدخل إلى الحجاج ، مجلة عالم الفكر ، ع 2 ، م 40 ، 2011، ص 19

^{4.} ابن الأثير ، ضياء الدين ، (1982) : كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ، ت: نوري حمودي حاتم الضامن ، هلال ناجي ، منشورات جامعة الموصل ، ص 171

^{5.} بن الأثير، ضياء الدين (1939): المثل السائر، ت: محمد محى الدين، مطبعة الحلبي، ص68

وقدّم علماء العرب المُحدثون دراسات مُهمّة في الحِجَاج من مُنطلقات متنوعة بين فلسفيّة وبلاغيّة أو لغويّة ، وارتقت جهودهم بالدَّرس الحِجَاجي الإقناعي خاصنَّة المغاربة ، وظهر نتاجهم الحجاجيّ في مجموعة مهمة من المؤلفات ، فبرز من العرب المحدثين طه عبد الرَّحمن عالم الفلسفة الَّذي يرى أن الحِجَاج رُكن خطابي يُبنئي على التَّواصل " وأنَّه لا تواصل باللِّسان من غير حِجَاج ولا حِجَاج بغير تواصل باللِّسان ويدخل الإجمال على لفظ الحُجَّة من الجهات الَّتي يدخل منها على لفظ التَّواصل فتكون الحُجَّة بناء استدلاليا يستقل بنفسه وتسمى الحُجَّة التجريديَّة ، وتكون فعلا استدلاليا يأتي به المُتكلِّم وتُسمى الحُجَّة التوجيهيّة، وفعلا استدلاليا يأتي به المُتكلِّم للفسمي الحُجَّة التوجيهيّة، وفعلا استدلاليا يأتي به المُتكلِّم للفسمي الحُجَّة التَّوجيهيّة، وفعلا استدلاليا يأتي به المُتكلِّم للفسمي الحُجَّة التَّقويمية فكل حِجَاج تواصل "الله"

وجعل من الفعالية الحجاجية صفة كُلِّ خطاب طبيعيّ وبيَّن أنَّ "حدّ الحِجَاج أنَّه فعالية تداوليّة جدليّة ، فهو تداوُليّ لأنَّ طابعة الفكريّ مقامي واجتماعيّ [2] وفصل مراتب الحواريَّة ومُكوناتها وعلاقتها بالدَّرس الحِجَاجيّ فقسمها لثلاثة أقسام: الحوار، وربط كلا منها بمنهج استدلاليّ خاص بها ، فالحوار يعتمد على والمُحاورة ، والنَّحاور ، وربط كلا منها بمنهج استدلال البُرهانيّ ، والمُحاورة تتتمي للمجال البُرهان والَّذي جعله آلة تقوم بحساب الاستدلال البُرهانيّ ، والمُحاورة تتتمي للمجال التَّداوليّ هي سبيل احتجاجيّ لا بُرهانيّ فتعتمد على الحِجَاج ، بينما اعتمد التَّحاور على التَّحاج الذي يقوم على إثبات " المُتحاور قولا من أقاويله بدليل ثُمَّ يعود إليه ليثبته بدليل أقوى "[3] ، ونوّهه لأهمية السُلَّم الحجاجي باعتباره " مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وللسُلَّم قوانين منها قانون الخفض ، وقانون تبديل السُلَّم وقانون القلب" أن ودرس حجاجيّة الاستعارة عند عبد القاهر الجرجانيّ الَّتي تعتمد على الادِّعاء ، وخلص إلى أن القول الاستعاريّ عنده يستند إلى بنية استدلاليّة .

^{1.} عبد الرحمن ، طه ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 254 ، 255

^{2 .} عبد الرحمن ، طه ، (2000) : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء ، المغرب ، ط 2 ، ص 65

^{3.} عبد الرحمن ، طه ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 51

^{4.} عبد الرحمن ، طه ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 277

ولأُستاذُ البلاغة مُحَمَّد الْعُمَرِيِّ إسهامات في مَجال الخطابة وأساليب إقناعها "فحاول أن يُعيد رسم خارطة عامَّة للبلاغة العربيَّة القديمة ، من روافدها واتِّجاهاتها والمتداداتها وخصائصها الصَّوتيَّة والنَّحويَّة والمنطقيَّة ، ويركز على المقام في عمليَّة الحِجَاج ولاسيَّما المُحاورة بين الأنداد "[1] ، مُنْطلقاً من أن البلاغة الجديدة "هي علم الخطاب الاحتماليّ الهادف إلى التَّأثير أو الإقناع"[2] ، راصدا "تاريخ الحوار بين التَّخييل والتَّداوُل ، ومُبرزا الأبعاد الحجاجيّة الَّتي جعلت من السُّخرية مبحثا فلسفيّا حجاجيّا ، وتأرجح المجاز بين البُعْد الإقناعيّ والبُعْد التَّخيليّ الإبداعيّ "[3] . ويرى أنَّ الحِجَاج قد يحلُ محل التَّداوُل في سِياق بلاغة الإقناع الجديدة ، وقارب بين الحجج غير الصِّناعيَّة عند أرسطو وبين تضمين الخطابة العربيَّة " الآيات القرآنية والأحاديث والشعر ، فهي حُجَج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة النَّاس عليها وتواتُوها ."[4] ، مهتما ببلاغة الإقناع .

ونهض عبدالله صولة بمشروع الحِجَاج في القرآن فسارع "في هذا المشرُوع إلى إبراز الوجه الحِجَاجيّ في النَّظم القرآنيّ بوصفه دستوراً في التَّكوين الحِجَاجيّ "[5] ، واهتمَّ بدراسة المُعجم القرآنيّ وخصائص كلماته وحركتها الحجاجيّة ، " فتوجد كلمات لها في ذاتها مُقتضى ، حتَّى إذا ما أقحمت هذه الكلمات في تراكيب كانت هي المسؤولة عن ظُهور المُقتضى فيها انطلاقا من معناها المُعجميّ أساسا "[6] ، واهتمَّ بدور الصُّورة في القرآن الكريم من حيث خصائصها ووُجُوه الحجاج فيها ، كما عمل على ترجمة كتاب بيرلمان " مُصنَّف في الحجاج " بهدف توضيح النَّظريَّة الحجاجيّة من حيث " أُطر وتقنيَّات ومُنطلقات الحِجَاج للوصول للاقتناع ."[7]

^{1.} صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي ، ص 25

^{2.} العمري ، محمد، البلاعة الجديدة بين التخييل و التداول ، ص 6

³ ـ المرجع السابق ، ص 6 ـ 7

^{4.} العمري ، محمد ، (2002) : في بلاغة الخطاب الإقتاعي ، إفريقيا الشرق ، ط2 ، ص90

^{5.} الدكان ، محمد بن سعد (2014): الدفاع عن الأفكار ، مركز نماء للبحوث ـ بيروت، ط1، ص 91

^{6.} صولة ، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 88

^{7.} ينظر: صولة ، عبد الله، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات ، ص 12

وطرح أستاذ البلاغة مُحَمَّد مِشبال مشروعه حول بلاغة الحِجَاج في مُقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات فسعى لتقديم " البلاغة باعتبارها مَنهجا في تحليل النُصرُوص الحجاجية انطلاقا من استراتيجياتها الخطابية الَّتي عدَّها أرسطو الوسائل الأساس لصِناعة الحجاج؛ وهي استراتيجيات اللوجوس والإيتوس والباطوس"[1] ، كما قارب بين البلاغة الأدبيَّة الَّتي تهتم بالوجوه الأسلوبيّة والاستخدامات اللُّغويَّة الَّتي تُعنَى بوصف الوظيفة الجماليَّة للنَّصِّ الأدبيِّ وبين البلاغة الحجاجيّة .

وَتَصَدَّتُ الْبَاحِثَةُ سامية الدريديّ لقضيَّة استخدام آليَّات الحِجَاج في الشِّعر القديم ومُشاركة الشِّعر للنَّثر في تقنيَّات وآليَّات الحِجَاج ، حتَّى " أضحت قدرة الشِّعر على النَّهُوض بوظيفة حجاجيّة بينة واضحة لا لُبس فيها ... وأن اضطلاع الشِّعر بوظيفة الحَجَاج والإقناع إنمَّا يتتزَّل في حقيقة الأمر ضمن ما يسمى بسلطة النَّصِّ "[2] ، وطبقت تقنيات الحِجَاج على شواهد من الشِّعر العربيّ مبرزة بنيته الحِجَاجيّة ، ودعت إلى مشروع تعديل طبقات الشُّعراء على أساس حجاجيّ .

واهتمَّ اللِّساني أبو بكر العزّاوي بوظيفة اللَّغة الحجاجيّة فهي " تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجيّة وهي مُؤشِّر لها في بنية الأقوال نفسها وفي المعنى وفي كُلِّ الظَّواهر الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة والمُعجميَّة والتَّركيبيَّة والدَّلاليَّة "[3] ، فالحِجَاج عنده يسعى الظَّواهر الصَّوتيَّة والسَّرفيَّة والمُعجميَّة والتَّركيبيَّة والدَّلاليَّة اللَّغة ، ولا يرى في التَّواصُليَّة الإخباريّة الوظيفة الوحيدة للغة فتعمَّق في دراسة العوامل والرّوابط والدَّلاليات الحجاجيّة والسُّلَّم الحِجَاجيّ ، واستكمالا لمشرُوعه حجاجيّة اللُّغة اهتمَّ " بتطبيق نظريَّة الرَّوابط الحجاجية اللَّغة العربيَّة فكان أوَّل إنجاز في هذا الحجاجية السَّاق حين أبرز الوظيفة الحجاجية للرَّوابط وربطها بالخصائص التَّركيبيَّة والتَّداوُليَّة ، كما اهتمَّ بظاهرة الاستعارة كاشفا بُعدها الحجاجيّ" 141.

^{1.} مشبال ، محمد ، (2016) : في بلاغة الحجاج ، دار كنوز المعرفة ـ عمان ، ط1، ص 11

^{2.} الدريدي ، سامية، الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه ، ص 77

^{3.} الغزاوي ، أبو بكر ، <u>اللغة و الحجاج</u> ، ص 8

^{4.} مسكين ، حسن ، (2017): <u>الحجاج اللغوي</u> ـ قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي ، عالم الكتب الحديث . اربد . الأردن ، ط 1 ، ص 128

الحِجَاج عند الغربيين:

اهتمَّت البَلاغَة اليُونانيَّة منذ مُنتصف القرن الخامس قبل الميلاد بالخطابة ، خاصَّة مبحث الحِجَاج لما له من دور في التَّأثير والإقنَاع ، ولتكون الخطابة اليونانيَّة البدايات الأولى لِظُهور فن الحِجَاج المُعتمد على المنهج الجدليّ .

فظهرت السُفسطانيَّة عندما تحوّل المُجتمع اليُونانيَ إلى مجتمع ديمقراطيَ نشطت فيه الخطابات القضائيَّة لتشهد مولد النَّظريات الحِجَاجيَة الأولى على يدي كوركاس وتلميذه تيزياس قريبا من 450 ق .م ، و" أصبح هذا الفن موضوعا لمحاولات التَّكييف والاستملاك ... وتشكَّلت ثقافة الإقناع الّتي تغذَّت من مهارة وحنكة الكثيرين منهم الّذين قاموا بعملهم في المحاكم "انا ، ويمكن اعتبار" السُفسطائيين حركة فلسفيَّة وظاهرة اجتماعيَّة تميز روادها بالكفاءة اللُغوية البلاغيَّة وبالخبرة الجدليَّة وتجلى ذلك من خلال تسميتهم الّتي تعني الحكيم الخبير بكُلِّ فنَّ أسلوبيّ، ولعب وجودهم دورا كبيرا في تطور البلاغة القوليَّة التُواصليَّة من خلال نقاشات فلسفيَّة ذات منزع لُغويّ توليديّ للأفكار ، الأمر الَّذي أسفر عن اهتمام بالغ بالطَّرائق الحِجَاجيّة والإقناعيّة ، واهتموا ببنية كُلِّ من الكلمة والجملة وبحثوا السبُّل المُمكنة الَّتي بها يتحقَّق الإقناع وتغيير مواقف الأخرين" ووصلت عنايتهم بالاحتجاج أن جعلوا الخطابة في مقدمة الصَّنائع الإنسانيَّة فيقول جورجياس مُجادلا لسقراط" إن حُصُون أثنا و مَوانثها إنَّما بناها أصحاب القول لا أهل الصَّنعة "قا أو بغير حقً ، بل لقد درَّبوهم كيف يزيفون الحقً ويقبحونه ، وكيف يزينون الباطل بحقً أو بغير حقً ، بل لقد درَّبوهم كيف يزيفون الحقً ويقبحونه ، وكيف يزينون الباطل بحقً أو بغير حقً ، بل لقد درَّبوهم كيف يزيفون الحقً ويقبحونه ، وكيف يزينون الباطل وحصًا في ينتون الباطل بحقً المُهرون الحقً ويقبحونه ، وكيف يزينون الباطل وحصًا أو بغير حقً ، بل لقد درَّبوهم كيف يزيفون الحقً ويقبحونه ، وكيف يزينون الباطل وحصًا المُخري .

^{1.} بروتون ، فيليب ، جيل جوتييه ، (2011) : تاريخ نظريات الحجاج ، ترجمة : محمد صالح الغامدي ، مركز النشر العلمي . جدة ، ط 1 ، 1432 ه ، ص20

^{2.} الطلبة ، محمد سالم محمد الأمين ، (2008): <u>الحجاج في البلاغة المعاصرة</u> ، دار الكتاب الجديد المتحدة لبنان ـ بيروت ، ط 1 ، ص 24 ، 25

^{3.} عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 29

^{4 .} ضيف ، شوقي ، (د . ت) : البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، ط 12 ، ص 39

ولم يتقبّل سُقراط أراء السُّفسطائيِّين عندما اهتموا بالشَّكِّ والظَّنِّ " فدافع عن الفلسفة باعتبارها المسلك العلميِّ الصَّحيح للوصول إلى الحقيقة معتمدا في ذلك على العقل والجدل التَّوليديِّ والبُرهان ،وكان ينظر إلى الحقيقة في ذات الإنسان وليس في العالم الخارجيِّ "[11]، ولم يَهتم سُقراط كثيرا بالبلاغة فربطها بالوُصُول للحقيقة .

وهَاجَم أفلاطُون بقوّة "النّسبيّة لدى بعض السّفسطائيّين ، الّذي كان يرغب بجعل البلاغة أداة فكريَّة لخدمة البحث عن الحقيقة ، وليس فقط آليَّة للإقناع بالآراء الَّتي تتشكَّل خارجها "أو واصفا الخطابة بأنها صِنَاعة إقناع "أليست الخطابة على الجملة صِنَاعة قِيَادة النّفوس بالقول لا في المحاكم والمجالس العامَّة فحسب بل في الاجتماعات الخاصَّة "أنا من خلال نظريَّة (المَثَل) الّتي دعت لتجاوز الحواس كوسيلة معرفيَّة والاهتمام بالعقل الوصول للمعرفة ، وحَمَلَ على السُّفسطائيَّة ، فوجد أفلاطون في مشروع السُّفسطائيين خطرا على الأرستُقراطيَّة والطبَّقيَّة ، فالحِجَاج السُّفسطائيّ يزيّف استعمال اللُّغة ، ولم يجد مقتلا لهم أفضل من فن القول ، كما أهتم "بالحِجَاج الأخلاقيً وهو حِجَاج يمكننا نعته بأنّه مِثَالي ، وقد تَمَّ نقده وتجاوزه قديما من تلميذه أرسطو ، وحديثا من قبل مُعظم رواد البلاغة المُعاصرة وخاصَّة بيرلمان وأوليرون ، وأبسط نقد وجه إلى الطَّرح الأفلاطونيِّ أنّه لا يخدم التَّطورات الإنسانيَّة المُتلاحقة "المًا.

ويُعد أرسطو من أوائل فلاسفة اليُونان الذين " نَظَّروا للبلاغة من خِلال رُؤية حِجَاجيّة ، فقد خصَّها بكتابين هامين هما (الريطوريقا. البلاغة) و (الحجج المشتركة) "[5] مُحاولا تَقْعِيد الحِجَاج مُبينا موضوعات مجاله من خلال الأفعال الإنسانيَّة الَّتي تتصف بالغُمُوض ولا تلتزم بقاعدة أو فنّ مُنتظم فيقول أرسطو: "ولنتَّقق مُنذ البِداية حَوْل هذه النُقطة وهي أنَّ أي نِقاش يتَّخِذُ مَوضُوعه الأفعال الإنسانيَّة هو بالضَّرُورة بحث غامض

^{1.} بروتون ، فيليب، جيل جوتييه ، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 25

^{2.} بروتون ، فيليب، ، تاريخ نظريات الحجاج، ص 27

^{3.} الريفي ، هشام ، مقال : الحجاج عند أسطو ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمادي صمود ، ص 78

^{4.} عادل ، عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 31

^{5.} حمداوي ، جميل ، نظريات الحجاج ، ص 22

وعديم الضّبط "[1] ، وميَّز أرسطو بين الخطابة والجدل عندما جعل كُلَّ منهما فنّا قائما بذاته يتداخلان في شَتَّى العُلُوم ، وإنْ رَبَط بينهُما بخيط خفي يُشِير إلى إلتقائهما في الغاية وهي الإقناع ، ويُفرّق بين الحِجَاج الجدليِّ والحِجَاج الخطابيِّ " فالحِجَاج الجدليِّ وججَاج تبكيتي [2] ، له بنيته اللُّغويّة الأساسيّة وهي السُّوال ، وهو قياس على نتيجة تكون نقيض القضيَّة الَّتي يُريد المُجيب حفظها ، أمَّا الحِجَاج الخطابيّ فهو حِجَاج إقناعيّ يقصد به الخطيب إقناع الجمهور بحُكم ما أو توجِيهه لسُلوكِ ما ."[3]

وشكّلت العلاقة بين الخطابة والجدل عند أرسطو نُقطة خِلاف عند العُلماء قديما وحديثا من حَيثُ انفصالهما ، أو كون الخطابة جزءاً من الجدل " ففي كتاب المواضع أهتم بدراسة الجدل وهو عنده الحِجَاج في المسائل الفكريّة الخلافيّة وقصد إلى بيان قواعد الأنطولوجي المنطقي للقضايا "الحاء"، بينما عرّف الخطابة " فالرّيطورية قوَّة تتكلف الإقناع الممكن في كُلِّ واحد من الأمور المفردة " [5] ، وبنَى الحِجَاج على مجموعة أركان منها " اعتماد المنهج الجدليّ في بناء القول الخطبي ، فالجدل عنده صِنَاعة ملوكيّة وبها نبلغ الحقيقة "آقا ومنها "معرفة أنواع النّفُوس وما يوافقها من أنواع القول بتناسب بين القول والسّامع ومراعاة المقامات فهو يدعو لضرورة الانسجام بين المَقَام والمَقَال ... مهتمًا ـ بنظام الحجج واستدعائها ، وبنيتها العقلية وهو ما يُسمى بالتقنيات العقليّة أو ما سماها بالحجج الصّناعيّة والحجج غير الصّنَاعيّة".

1. الولي ، محمد ، مقال : مدخل إلى الحجاج ، مجلة عالم الفكر، ع 2، م 40 ، 2011، ص 14

^{2 .} التَّبُكيِت والبَكْت : الغَلَبَةُ بالحُجَّةِ ، ويقال : بكَّته حتى أسكته ، وفي الأساس ألزمه بالسَّكت لعجزة عن الجواب ، (تاج العروس للزبيدي ، ت : الطحاوي ، ج 4 ، ص 447 ، مادة : ب ك ت)

^{3 .} المغامسي ، آمال يوسف ، الحجاج في الحديث النبوي . دراسة تداولية ، ص 50 ، 51

^{4.} الريفي ، هشام ، مقال : الحجاج عند أسطو ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمادي صمود ، ص 97

^{5.} طاليس ، أرسطو ، (1979) : الخطابة ، ت : عبد الرحمن بدوي ، دار القلم بيروت ، ص 9

^{6.} الريفي ، هشام ، مقال : الحجاج عند أسطو ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمادي صمود ، ص81

^{7.} الدكان ، محمد بن سعد ، الدفاع عن الأفكار ، ص

تَرَاجَعَتْ النَّطَرِيَّةُ الحجاجيّة في القرن التَّاسع عشر ؛ لاتهامها بتشويه الحقائق والمغالطة ، وليفقد "الحِجَاج مَكانه ليَحِل فيه البُرهان العَقلانيِّ خاصَّة مع ديكارت ، وبالتَّالي حِرمان البلاغة من ذلك الإبداع وليعود التَّركيز في البلاغة على الجُزء التَّجميليِّ ... ولم يركز إلا على المُحسنات والصُّورَ الأسلوبيّة وهكذا تقدَّم فنُ القول على فنِّ الإقناع "الله، وفي خمسينيات القرن العشرين شهد الدَّرس الحِجَاجيّ حركة إحياء وبعث من رَحِم التُراث القديم ، فقامت نهضة على يَدَيْ بيرلمان وتُولمن من خلال إعادة قِراءة البلاغة اليُونانيَّة وظُهور البَلاغة الجَديدة .

وبرز الفيلسُوف القانُونيّ البلجيكيّ شايم بيرلمان في مَجَال الاهتمام بالمَنْطِق والفلسفة التَّحليليَّة واهتمام ببلاغة الإقناع مُحاولا "إعادة تأسيس البُرهان أو المُحاجَّة الاستدلاليَّة باعتباره تَحْدِيدَا مَنْطِقِيًّا بِالْمَفْهُومِ الْوَاسِعِ ، كتقفية خاصَة ومتميِّزة لدراسة المنطق التَّشريعيِّ والقضائيِّ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ وَالَّتِي سُمِيَتُ مَدْرَسَة برُوكسل وتدور حول وظيفة اللَّغة التَّواصُليَّة وأنَّها ليست منبتة الصَّلة بالتقاليد البلاغيَّة الكلاسيكيَّة ، حول وظيفة اللَّغة التواصُليَّة أدوات أسلوبية للإقناع والبُرهان "أنا ، وركَّز بيرلمان اهتمامه بالحِجَاج من حَيْثُ "قضاياه ، وأطُره، وروافده ، وأنواعه ، وتجلَّياته بحسب مقامات التَّوظيف وسِياقاته ، كما أنَّه يُولي عِناية خاصَة لبلاغة الحِجَاج في المجالات المرئيَّة والإعلاميّة ، وفي الخطابات الفتيَّة الَّتي لا يكون المُتكلِّم حاضرا فيها بنفسه كما هو في والإعلاميّة ، وفي الخطابات الفتيَّة الَّتي لا يكون المُتكلِّم حاضرا فيها بنفسه كما هو في الكتابة "أنّا ، فعمل على تخليص الحِجَاج من سيطرة الاستدلال عليه وتوسيع مجالات المُتلقين ، بل وتتعلَّق حتَّى بالحالة الخاصَّة النَّتي يتشاور فيها الإنسان مع نفسه ولا المُتلقين ، بل وتتعلَّق حتَّى بالحالة الخاصَّة النَّتي يتشاور فيها الإنسان مع نفسه ولا يكون المُتلقين المُوصِل إلى الإذا توجَّه إلى مُتلقٍ عام "الما من خلال الخطاب غير للروانيّ المُوصِل إلى الإقناع .

^{1 .} بروتون ، فيليب، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 38 . 39 . 40

^{2 .} فضل ، صلاح ، (1992) : بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، ص 65 ، 66

^{3.} نقلا عن: الطلبة ، محمد سالم الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 104

^{4.} بروتون ، فيليب، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 43

ونَضَجت الفِكرة الحجاجيّة عند بيرلمان في كتابه (مُصنَّف في الحجاج . الخطابة الجديدة) الَّذي نَشَرَهُ عام 1958م ، بالاشتراك مع زميلته تيتكاه " وهو أكثر أعمالهما شُهرة واكتمالا وإلماما بقضايا الحِجَاج ... فحاولا فيه بعث بلاغة الإقناع بعد انحصار البلاغة في الْمَجَازَاتِ وَالْمُحْسِنَاتِ وَالصَّورَ ... بإخراج الحِجَاج من دائرة الخطابة وَالْجَدَلِ وَصَرَامَةِ الْإِسْتِدُلاَلِ "الله وحاولا التَّفريق في كتابهما بين " الحِجَاج الإقناعيّ الَّذي هدفه إقناع الجمهور الخاص بمُخاطبة الخيال والعاطفة والحجاج الاقتتاعيّ الَّذي هو هدف الحجاج يقوم على الحريَّة والعقائة "الله ، وليكون كتابهما المُعجم الحقيقي المجمل لكُلِّ المحجج والمرجع في موضوعاته .

ويبرُز دور عالمي التَّداوليات واللَّسانيَّات أزفالد ديكرو وتلميذه انسكومبر في تطور الدَّرس الحجاجيّ من خلال جُهودهما في نظريَّة الحِجَاج في اللُّغة واهتمامهما بالأدوات والرَّوابط والوسائل اللُغويَّة وأثرها في تحقيق الحِجَاج والإقناع من خلال اللُّغة " فالنَّموذج الحجاجيّ الَّذي قدماه عبارة عن نظريَّة لسانيَّة تدرس الحِجَاج في اللُّغة اللَّغة " فالنَّموذج الحجاجيّ الَّذي قدماه عبارة عن نظريَّة لسانيَّة تدرس الحِجَاج في اللُّغة مؤشِّر له في بنية اللُّغة ، والحِجَاج فعل لُغويّ ووظيفة أساسية للغة الطبيعة ، ثمَّ إنَّه مؤشِّر له في بنية اللُّغة ، فهنالك أدوات وروابط وعبارات لغويَّة يتمثَّل دَورُها الوحيد في القيام بالعمليات الحجاجية "أنّا ، فَإِنْبَثَقَتُ نَظَرِيَّةُ الحِجَاج في اللُّغة عند ديكرو "من داخل نظريَّة الأفعال اللُغويّة النَّتي وضع أسسها أوستن وسورل ، فقام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص وأقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما فعل الإفترضاء وفعل الحِجَاج "أنا ، وانطلق ديكور وانسكومبر من فرضيَّةٍ أساسها أثنا نتكلم عامَّة بقصد التَّأثير ووظيفة اللَّغة الأساسيَّة ليست تواصُليَّة بل حجاجيّة ، فالحِجَاج عِنْدهُمَا " يَنَمَيَّرُ عَنِ الْبُرُهَانِ أو الاستدلال المنطقيّ بكونه يتأسَّس على بنية الأقوال اللُغويَّة وتسلسلها واشتغالها داخل الخطاب ، فالحجج اللُغويَّة سِياقيَّة تتحدد حجيتها اللُغويَّة وتسلسلها واشتغالها داخل الخطاب ، فالحجج اللُغويَّة سِياقيَّة تتحدد حجيتها اللُغويَّة وتسلسلها واشتغالها داخل الخطاب ، فالحجج اللُغويَّة سِياقيَّة تتحدد حجيتها

^{1.} نقلا عن: قادا ، عبد العالي ، (2016): بلاغة الإقتاع ، دار كنوز المعرفة ، الاردن ـ عمان ، ط1 ، ص 157

^{2.} نقلا عن: الطلبة ، محمد سالم الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 108

^{3 .} نقلا عن : الدكان ، محمد بن سعيد، الدفاع عن الأفكار ، ص 63

^{4.} نقلا عن: العزاوي ، أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص 16

بالسَّياق اللُّغويِّ ، والحِجَاج اللُّغويِّ نِسْبيّ ومرن وتدريجيّ وسِياقيّ بخلاف البُرهان المنطقيِّ والرِّياضيِّ الَّذي هو مُطلق وحتمي ، كما اهتمَّ باللِّسانيات الحجاجيّة باعتبارها اتِّساقا بين الجُمل والمَنْفُوظات وأشار إلى مجموعة من أنواع الحِجَاج مثل حِجَاج الوصل، والفصل والتَّناقض، والشَّرط والتَّقييد ، والتَّضمين ، والتَّعارض، والاستنتاج ، والسبب، والهدف"[11] . وحدّد ديكور الوسائل الحجاجيّة اللُّغويّة في حديثه عن " العوامل الحجاجيّة ، والرّوابط الحجاجيّة ، واعتنى بالسُّلّم الحجاجيّ فأي حَقْل حجاجيّ ينطوي على علاقة ترتيبيَّة للحجج ."[2]

وساهم الفيلسُوف البلجيكي ميشال ماير في الدِّراسات الحجاجيّة والبلاغيّة في مجموعة مُصنفات منها (المنطق اللغة والحِجَاج، أسئلة البلاغة، في المساءلة) مُنطلقا " من جدلية اللُّغة والمعنى ، فالحِجَاج في نظره مرتبط ارتباطا وثيقا بالكلام وخاصَّة منه الحِوار وما يحويه ويثيره من تساؤلات جدليَّة تدفع إلى الحِجَاج دفعا "[3] مُقاربا بين دراسات الفلسفة والبلاغة مركّزا فيها على اللوغوس الّذي يرى فيه جامع العقل المُتكلّم ومهمة الحِجَاج عند ماير " أن يشتغل في خِضمَم هذا التَّواصل الإنساني وهو يتكون بالسُّؤال والاستشكال ويتغذى منهما ، إن النَّاس حينما يتكلّمون يسألون ويستشكلون أي يحاججون"[4] ، ويقرُّ بأنَّ " الحِجَاج يعمل على إيجاد وحدة للجواب وإرضاء المُتلقِّي بحال من الأحوال وإقناع السَّامع بجواب شافٍ حين تتعدَّد الأسئلة "[5] ، وارتبط جُهده في مجال الحِجَاج بنظريَّة المُساءلة ودور السؤال الفلسفيّ في الحدث الكلاميّ ؛ إذ يرى أنَّ " الحجاجيّة يجب أن تُستخرَج من نظريَّة للمساءلة ، أي من توجيه عقلانيّ لحركة السُّوال والجواب والمسافة بينهما."[6]

^{1 .} نقلا عن : حمداوي ، جميل ، **نظريات الحجاج** ، ص 33 . 1

^{2.} نقلا عن: المغامسي، آمال يوسف، الحجاج في الحديث النبوي، ص 96. 99

^{3 .} نقلا عن : الطلبة ، محمد سالم الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 135

^{4.} نقلا عن : عادل ، عبد اللطيف، بلاغة الإقتاع في المناظرة ، ص 107

^{5.} نقلا عن: حمداوي ، جميل، نظريات الحجاج ، ص 45

^{6.} نقلا عن: ناصر، عمارة، (2009): الفلسفة والبلاغة، منشورات الاختلاف، ط1، ص 88

وتتاول دوقلاس والتون الدَّرس الحجاجيّ من مرجعيَّة منطقيَّة واهتمَّ بالجانب التَّداوليّ في دراسته للحِجَاج ، فهو مرتبط عنده " بالحوار فالحُجَّة بالنِّسبة له قضيَّة مُواءمة لتأسيس نتيجة تبعا لإجراء خاص بحوار عقلانيّ ، فالمركب الأساسيّ للحُجَّة ليس خاصيتها التَّبريريّة لكن استخدامها في سِياق حواريّ ، ويرى أنَّ أي حِوار يسير وفق أربع مراحل مُتتالية : مرحلة البداية ، مرحلة المُواجهة ، ومرحلة الحِجَاج ، ثمَّ مرحلة الإنهاء"اليّا ، كما أشار في كتابه " نقد الحِجَاج " لبناء حجاج المُغَالطة من تناقُض مَنْطقيّ وعلميّ وأخلاقيّ .

وساهم جاك موشار بجُهُود ثمينة في الدَّرس الحِجَاجيّ حينما اهتمَّ بالنّزعة الحجاجيّة في الحوارات الشَّفويَّة " فجُهُود مدرسة جنيف الَّتي ينتمي إليها موشار باتجاهها نحو الخطابات الحيَّة قد أثبتت بأنَّ الحِوار الشَّفوي ليس أقلَّ انتظاما ، فالحِوار كما يعرّفه هو نوع من التَّفاعُل اللَّفظيّ يلزم فيه المتخاطبون بأن يجادلوا وأن يسجّلوا نقاطا على بعضم البعض ."[2]

وأشار باتريك شارودو في كتابه" نحو المعنى والمبنى " لأهمية الحِجَاج الإشهاريّ ودوره في التَّواصلُ والإقناع عندما قال " إنّ المَظهر الحِجَاجي للخطاب كثيرا ما يوجد مَخْبُوءا فيه على نحو مُضْمَر في الإعلانات الإشهاريّة والَّتي يبدوا طابعها الحِجَاجيّ يتم فهمه في إطار وظيفة القالب الحجاجيّ ."[3]

وَيُمَيِّزُ أموسي بين الهدف الحجاجيّ والبُعْد الحجاجيّ فالأول عِبارة عن مُؤَسَّسَة إِقْنَاعيّة هدفها التَّأْثير على الغير وإقناعه كما في الإشهار والخطاب الانتخابيّ ، أمَّا الثَّاني فيتمثَّل في توجيه طريقة النَّظر إلى الغير."[1]

^{1.} بروتون ، فيليب، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 90 ، 91

^{2.} نقلا عن : عادل ، عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 109

^{3 .} شارودو ، باتريك ، (2009) : الحجاج بين النظرية والأسلوب ، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة : أحمد الودرنى ، دار الكتاب الجديد . بيروت ، ط 1 ، ص 11

^{4.} نقلا عن: حمداوي، جميل، (2014): من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، دار افريقا الشرق، ص 45

مقاربة بين الحجاج والإقناع:

عند تَنَاوُل الدَّرس الحِجَاجي في البلاغة الجَديدة ، وما يُؤَمَّنه من إمكانات تَواصُلية في النَّصِّ ، يبرز لنا مَفْهُومَا الحِجَاج والإقناع كغاية يسعى المُتكلِّم لإدراكهما من خلال نصبِّه الحجاجيّ ، فيبرز التَّساؤُل : هل الإقناع مُرَادِف للحجاج ؟ .

إِخْتَلَفَتُ الْآرَاءُ حَوْلَ طَبِيعة العَلاقة الَّتِي تَرْبِط الحِجَاج بالإِقناع، وممَّن قارب بينهما توماس شايدل حَيْثُ " يُعَرِّف الإقناع بأنَّه مُحاولة واعية للتَّأْثِيرِ فِي الْمُتَلَقِّي "[1] ، أي أنَّه " فعل مَقصُود يتطلب تقنيات وكفايات عالية لِلتَّأْثِيرِ فِي الْمُتَلَقِّي "[2] ، ويرى أوستين فريلي أنَ " الحِجَاج والإقناع جزأين من عمليَّةٍ واحدة ، ولا اختلاف بينهما إلا في التَّوكيد ، ويُولي الحِجَاج الدَّعاوى المنطقية أهميَّة خاصَّة ، ولكنَّه يجعل من اختصاصه أيضا الدَّعاوي الأخلاقية والعاطفية ، أمَّا الإقناع فإنَّه ينعكس على التَّوكيد الّذي يبطل ضِدَّه "[3] ، وأيَّد هذا الاتجاه بيرلمان وتتيكاه عندما اعتبرا أن " الإقناع والاقتناع هُما لبّ العمليَّة الحجاجيّة ، وغاية الحِجَاج الأساسيَّة ، فالإقناع هو الأثر المُتولِّد عن النَّلفُظ والدَّافع إلى مبادرة المُتلقِّى بتحقيق مقاصد المُرسل إقْدَاما أو إحْجَاما "[4] .

وفي مُقابل ذلك " يرى هوارد مارتن وكينيث أندرسن أنَّ كُلَّ اتِّصال هدفه الإقناع وذلك أنَّه يبحث عن تحصيل ردِّ فعل على أفكار القائم بالاتِّصال ، وهما يُعْنَيان بالإقناع معناه العام وليس الإقناع الحجاجي الَّذي يصدر عن وسائل منطقيَّة ولغويَّة خاصَّة ونخلص إلى أنَّ كُلَّ نصِّ حجاجيّ نصّ إقناعيّ ، وليس كُلِّ نصِّ إقناعي نصنًا حجاجيا ، فيرتبط الإقناع بالحجاج ارتباط النَّصِّ بوظيفته الجَوْهَرِيَّة "[5] .

^{1.} نقلا عن: العبد، محمد، (2014): النص والخطاب والاتصال ،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة ـ مصر، د. ط، ص 149

^{2.} نقلا عن: المغامسي، آمال يوسف، <u>الحجاج في الحيث الشريف</u>، ص 30

^{3.} نقلا عن: العبد، محمد، <u>النص والخطاب والاتصال</u>، ص 149

^{4.} نقلا عن: المغامسي ، آمال يوسف ، الحجاج في الحيث الشريف ، ص 30

^{5.} نقلا عن : العبد ، محمد ، النص والخطاب والاتصال ، ص 149 _ 55

سمات النَّصّ الحِجَاجيّ :

وضعت للنَّصِ الحجاجيّ مجموعة سِمات خاصَة به جمعها بنوا رونو ، ومن هذه السِمات ، القصد المُعلن : أي إحداث أثر (ما) في المُتلقِّي ؛ أي إقناعه بفكرة مُعينة وهو ما يُعبَّر عنه بالطريقة الإيحَائية [1] . ومن سِمات النَّصِ الحجاجية التَّاغُم : ذلك أنَّ النَّصَ الحجاجيّ نصِّ مُستدلّ عليه ؛ لذلك يَقُوم على مَنْطِق (ما) في كُلِّ مراحلة ، ويُوظف على نحو دقيق التَّسلسل الَّذي يحكم ما يُحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلَّق الأمر بالتَّقنية أو الانفعال، وهو يكشف لنا عن ذكاء المُتكلِّم ومعرفته بنفسية المُتلقِّي فقد يُعلن أمرا ولكنَّه يذكر آخر أو يختزل فكرة ويُسهِب في أخرى [2]. ومنها الاستدلال : فالنَّصِ الحِجَاجيّ نصُّ قائمُ على البَرهنة ، الَّتي تَشُدُّ أواصِر أجزائه عَلاقة مَنْطِقية أكثر من كَونِها علاقة تَصوّرية كما هي الحال في النّصِ غير الحجاجيّ.[3]

ومن سماته التقويم: فالنَّصّ الحِجَاجُ نصّ تقويميّ، والقيم من أهمِّ المفاهيم الَّتي عليها النَّص الحِجَاجِيّ. [4] كما تَبْرُز الحواريَّة: كسِمَةُ أثارها العَدِيد من الباحثين، وتُدعى أيضا التَّحاوُرِيَّةَ " فالنَّصُّ الحجاجيّ في جوهره حِوار مع المُتلقِّي، حِوار يقوم على علاقة ما بين مُؤسِّس النَّصِّ ومُتلقِّيه، بل قد يطمح أحيانا إلى إقناع ما يُسمى بالمُتلقِّي الكونيِّ خاصَّة في نُصُوصٍ تتأسَّسُ على إقناع المُتلقِّي بوجهة نظر (ما) وحمله على تغيير وضعه، واستبدال موقفه الأصلي بموقف آخر "[5]، وتبرز المَقْصِدية كواحدة من سِمات النَّصِّ الحِجَاجيِّ ؛ لأنَّ المُتكلِّم في النَّصِّ الحِجَاجيِّ بيدف إلى إثبات صِحة مَقْصِده الحِجَاجيِّ ، وفي الوقت نفسه يعمل على دحض كُلّ يهدف إلى إثبات صِحة مَقْصِده الحِجَاجيِّ ، وفي الوقت نفسه يعمل على دحض كُلّ الأراء المُخالفة له ، كما أنَّ النَّصَّ الحِجَاجيَّ نصُّ تفاعُليّ بين المُتكلِّم والمُثلقِّي .

^{1.} نقلا عن: صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي ، ص 41

^{2.} الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، ص 26

^{3.} مكناسي ، صفية، (2017): <u>مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري الشيخ محمد</u> البشير الابراهيمي مقاربة توصيفية لآليات الإقناع ، دار غيداء للنشر عمان ، ط1 ، ص32

^{4.} العبد ، محمد ، النص والخطاب والاتصال ، ص 149

^{5.} الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، ص 28

التواصل والحجاج في الخطاب القرآني:

القُرآن الكريم هو خطاب الله تعالى المُعْجِز بأسلوبه وألفاظه المُنْزَل على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، تحدّى الله به أهلَّ الفصاحة والبلاغة على مَرِّ العُصُور ، المُرسِل لهداية خلقه بمختلف أحوالهم من مُصدِّق ومُنكِر ، والمُوقِن والمُرتاب ، العالِم والجاهِل ، وإقناعهم بتوحيد الله مُوَظِّفا كُلَّ أساليب الإقناع الَّتي عَرفناها ، وتلك التي ما زلّنا نجهلها ، فقد أمضى الرَّسول ثلاثا وعشرين سنة مُتواصِلة في الدَّعوة مُعْتَمدا في الإقناع على الخطاب القرآنيّ المُتزامن نُزُولا مع الدَّعوة ، وليشكل مُعِينا إقناعيا ينهل منّه الرَّسول الكريم .

والنّصُ القرآني خطاب له مُرسِل ، ومُرسَل إليه ، فالمُرسِل هو الله عزّ وجل ، والمُرسِل إليه هم الخلق من إنس وجنّ ، وليكون أطول خطاب إقناعيّ لأنَّ المُرسِل في خطاب دائم مع المُتلقِّي على اختلاف مُستوياتهم ، ولم تتوقّف الغاية الإقناعيّة منه بوفاة سيّد الأنام ، بل استمرّت ليومنا ، وستستمرُ لنفخة الصّعق ، وحد (بنفينيست) الخطاب بقوله " الخطاب في أعمّ مفاهيمه كُلُّ قولٍ يفترض مُتكلّما وسامعا مع توفّر مَقْصُد التّأثير بوجه من الوجوه في هذا السّامع "الله فتنوّع المُخاطَب في الخطاب القرآني بين نوعين ، مُخاطَب داخلي بخطاب خاص من نحو خطاب الله للأنبياء والمُؤمنين والكافرين ، وخطاب الأنبياء لأقوامهم ، ومُخاطَب خارجي أو كوني وهم المُتلقون على مرّ العصور ، فهذا النقوامل مع والكافرين ، وخطاب الأنبياء للقوامهم ، ومُخاطَب خارجي أو كوني وهم المُتلقون على مرّ العصور ، فهذا الخطاب يجعل الله تعالى مُتواصِلا مع البشر ، هذا النّواصل مع مرّ العصور ، فهذا الخطاب يجعل الله تعالى مُتواصِلا مع البشر ، وميّز فيليب بروتون بين لا يتمّ إلا من خلال الحِجَاج ، فكان لزاما توافر النّقاعُل الحِجَاجيّ في الخطاب القرآنيّ للوصول لأعلى درجات الإقناع وإقامة الحُجَة على من أنكر ، وميّز فيليب بروتون بين التواصيل الإخباريّ الذي يعني " نقل رسالة من مُرسِل إلى مُتلقٍ عبر قناة ، وبين النوّاصئل الحجاجيّ الذي يتمثلُ غايته في إقناع المُتلقّي بمُشاطرة رأي خطيب (ما)، النوّاصئل الحجاجيّ الذي يستند إلى المُتلقِّي تتمثلُ غايته في إقناع المُتلقّي بمُشاطرة رأي خطيب (ما)،

^{1.} عمران ، قدور ، (2012) : البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، عالم الكتب الحديث ـ إربد ، ط 1 ، ص 28

^{2.} بروتون ، فيليب ، الحجاج في التواصل ، ص 138

وَنَلْحَظُ في الخِطابِ القُرآنيِّ وُجُود مُقَارِبة بين مَفْهُومي التَّواصئل والتَّفاعُل ذلك أنَّ الخِطاب القرآنيّ يُشكّل بيئة خَصْبَة للتَّواصلُ الّذي يَقُود للتَّفاعُل عن طريق الحِجَاج، ذلك الحِجَاج الَّذي يَقْصِد الإقناع ؛ لأنَّ فيه أقوى الحجج ، فجعله الله الحُجَّة والبيان، ويسعى الخِطاب إلى تأطير عمليَّة التَّفاعُل من خِلال التَّأثر بالحجج الَّتي تُقدَّم للمُتلقِّي، ممًّا يدفعه لاتِّخاذ قرار حولها خاصَّة في المجالات الاستدلاليّة وما يُرافقها من عمليات تبادليّة تُتشِّط العمليَّة التَّفاعُليَّة إذْ " إن الذَّوات في العلاقة الاستدلاليّة ترتقي إلى مقامات أخرى ، حيث يرتقي المُتكلِّم إلى مَقَام المُدَّعِي ، والمُخاطَب إلى مَقَام المُعترض ولا تتوقَّف وظيفة المُتكلِّم في المُجرَّد وتوجيه كلامه للغير لإفهامه معنى مَخْصئوصا ، كما هي في العلاقات التَّخاطُبيَّة ، وانَّمَا تتحول وظيفته إلى وظيفة تأثيريّة "[1] ، ذلك أنه متى تأثر المُتلقِّي بالحِجَاج سَلبا أو إيجابا فإنَّه يدخل في مرحلة تبادل للأدوار في مُحاولة لِنَقْضِ الحجج بحجج أخرى ، ويرقى بالمُستوى الخطابيّ من التَّواصلُ إلى التَّفَاعُل " وهو ما يجعلنا نقول إن المُتكلِّم والمُستمِع الَّذي يُصنبح هو نَفْسه مُتكلِّماً ، وفقا لمبدأ العكسيَّة (لبنفيست) عُضوان فاعِلان في التَّفاعُل الخطابيّ وهو ما يُوافق مَفْهُوم التَّفاعُل، وهو ما دفع بيرلمان للإشارة إلى أن اللُّغة ليست أداة تَواصُل وتَخاطُب فحسب وانَّمَا أداة تَفاعُل بين المتعارفين ، وأن هذا البُعْد للغة يستحضر حجاجا لفهم كثير من الأنشطة اللُّغويَّة "[2] ، ومتى حدث التَّأثر بالتَّواصئل انتقلنا إلى مرحلة التَّفاعُل.

فَالنَّصُّ الْقُرْآنِيُّ خِطَابٌ تَواصلُي بل إِنّ " أجمل ما في هذا التَّواصلُ ذلك التَعالُق السَّامِي بين طرفين مُتباينين تماما ؛ بين إله قدير ليس كمثله شيء وعبد ذليل ، مِمَّا يُؤكِّد التَّواصلُ ليس جُزءا من الإعجاز فقط ، وإنَّمَا هو كذلك خَصِيصنَة نوعيَّة مُتميِّزة لصبيقة بالقرآن وماثلة فيه "[3] ، ليصبح التَّواصلُ مُكونا من مُكوِّنات نسيج الإعجاز القرآنيّ ، لقد جعل الله عزّ وجلّ من عمليَّة التَّواصلُ وسيلة لتغيير سُلُوكيات بشريَّة

^{1.} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي ، ص 59

^{2.} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج ، ص 60

^{3.} جودي ، ليلى ، (2012) : استراتيجية التواصل في البلاغ القرآني ، دار غيدا للنشر . عمان ، ط 1 ، ص 31

خاطئة سارت خَبْط عَشواء في أُمور العبادة ، فكان لا بد من تَصْويب تلك السُلُوكيات لهم ولمن يأتي بَعْدَهُم بطريقة تواصلُليَّة تدوم ولا يَعْتَرِيها تغيير أو تبديل ، فلقد ظهرت نظريات لا حَصْرَ لها في التَّواصلُل ، لمع نجمها ثُمَّ ما انفكت أن اختفت أو اعتراها النَّقد أو الخطأ في جانب من جوانبها إلا أنَّ نظريَّة التَّواصلُل القُرآنية صَمَدت لآلاف السَّنيَّن ؛ لأنَّها مُرتَبطة بالقرآن الَّذي حفظه الله من التَّغيير، " فكلّ سُلُوكٍ لفظي لابُد له من مآل ، وكُلّ رسالةٍ لابُد لها من وظيفة ، ولا يمكن أن تكون هنالك رسالة ذات وظيفة واحدة ، بل تُؤدِّي وظائف مختلفة هرميًّا "اللَّ فلا تَواصلُل باللِّسان من غير حِجَاج ولا جبعير تَواصلُل باللِّسان اللهان الله اللها تقوم على علاقات إنسانية تفرض على وليست مجرد توصيل لمعلومات ، كما أنَّها تقوم على علاقات إنسانية تفرض على مستعمليها أشكالا محددة للتَّواصلُل ." [3]

ومن الشّوَاهِدِ على التّواصُل الحجاجيّ في الخِطاب القُرآنيِّ في سُور الحَوَامِيم، قوله تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إلى النّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إلى النّارِ * تَدْعُونَنِي لِلَيْ وَأَسْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إلى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ له ، لقد لِأَكْفُرَ بِاللّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إلى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ له ، لقد ركزت عمليّة التّواصل على السّياقِ أي ظُروف إنْتَاج هذا الخطاب في مُنَاظَرَةٍ (مُؤْمِنَ اللهَ فِرْعَوْن) مُوصِلاً لهم ما يُريد إبلاغهم به ليظهر الاتّفاق بين المُرسِل والمُرسِل إليه حول قضيّة العبادة في إطارها العام مع اختلاف جَوْهَرِيِّ فِي الْمَعْبُودِ ، فلم يَكُنْ مَوضُوع النّوَاصُل في نقل أخبار من طرف واحد ، بل اعتمد على التّقَاعُلِ بين المُرسِل والمُتلقِّي وتبادل الأدوار ممّا أنتج حواراً مُحَرِّكاً لعمليّة التّواصُل بين الطرفين ؛ لأنَّ " الحوار شكل من التّقاعُل بين القُوى، ووسيلة للتّواصُل أو لتجنب الصّراعات وتلطيف المُجَابَهات." وتاطيف المُجَابَهات." ومن التّقاعُل بين القُوى، ووسيلة للتّواصُل أو لتجنب الصّراعات وتلطيف المُجَابَهات." وتاطيف المُجَابَهات.

^{1.} بومزبر، الطاهر بن حسين، (2007): <u>التواصل اللساني والشّعرية مقاربة تحليلية لنظرية</u> رومان جاكبسون ، منشورات الاختلاف ـ الجزائر، ط 1، ص15 _18

^{2.} عبد الرحمن ، طه ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 254

^{3 .} ختام ، جواد (2016) التداولية أصولها واتجاهاتها ، دار كنوز المعرفة _عمان ، ط1 ، م 131 . 4 . سورة غافر ، الآيات : 41 _ 44 . 41

^{5.} عبد اللطيف ، عماد ، (2012) : البلاغة والتواصل عبر الثقافات ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ القاهرة ، مطبعة شركة الأمل للطباعة والنشر ، ط1 ، ص 45

الفصل الأول: مُنْطَلَقَاتُ الحِجَاجِ

حَدَّدَ بيرلمان وتيتكاه في كِتَابهُما " مُصنَفْ في الحِجَاجِ " سِتَّ مُقدَّماتٍ ، أو مُنْطَلَقاتٍ لتكوَّن حَجَر الأساسِ في بِنَاءِ مَسَارِ الحِجَاج ، ذلك أنَّ مُقدَّمات حجاج المُتكلِّم ومُعطياته غزيرة وشاسعة تتطلب انتقاء وتنظيماً يكتسب بهُما فَعَاليته الحجاجية ومُنَاسبتها للجمهور الَّذي توجَّه إليه ... وهي تُؤوَّل من طرف الكُلِّ على نَفْس الشَّاكِلة ، فإنَّ المُعْطَيات في الحِجَاج تبقى مُلْتَسِمة حاملة لدلالات مُعَينة ، ولذلك فالمُتكلِّم مُلْزَم فَضْلاً عن اختيار المُقدِّمات ، بتوجيه الحِجَاج نحو تأويل مُعَين يَنْسَجِم ومَقْصِدِيَّته [1] ، فهذه المُنْطَلقات تُؤَسِّس نِقَاط انطلاق الحِجَاج في " كونها نُقْطَة الارتكاز في المَقَام الحجاجيّ ، وذلك بَعْدَ تَحْدِيد الموضوع الَّذي سيدور حوله الحِجَاج ."[2]

وللخطاب الحِجَاجيّ نُقطة انطلاق تُوصِل لتسليم الجمهور بها "لكنَّ للخطاب قبل أن يَسْتَوي كِيانا مُشكّلا من تقنيّات حِجَاجيّة يُواجه بها المُتكلِّمُ المُخاطَبَ لإيقاع التَّصديق، منطلقات حِجَاجيّة مَدارها على مُقدِّمات تُوخذ على أنّها مُسلَّمات يقبل بها الجمهور واختيار هذه المُقدِّمات وطريقة صوغها ، وترتيبها له في حدِّ ذاته قيمة حِجَاجيّة ، بحيث يبدو الفصل بين درس مُنطلقات الحِجَاج ودرس تقنيّات الحِجَاج فصلا مُتكلَّفا ، ولكنّه فصل مَنْهَجيّ "[3] ، ومن الضروري عند اختيار مُنطلقات الخِطاب الحِجَاجيّ" الوعي بالعَلاقة الوثيقة بين القضيّة الَّتي هي مَدار الحِجَاج ، والمُنطلق الحِجَاجيّ المُناسب لها فمن القضايا ما يناسب الانطلاق في الحِجَاج حولها من القيم لا من المَواضع ، أو من الوقائع لا الهرميات هذا الوعي هو علاقة من علاقات نَجَاعَة القول وتحقيق الإقناع وتمهيدا لانتصار الفكرة "[4]، وكُلّ ما سنذكره من مُقدمات يُمكن ردّه إلى ضربين اثنين :

^{1.} نقلا عن: عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الاقتاع في المناظرة ، ص 89

^{2.} الدكان ، محمد بن سعد ، الدفاع عن الأفكار ، ص 132

^{3.} صولة ، عبد الله ، نظرية في الحجاج ، ص 23

^{4.} الدكان ، محمد بن سعد ، الدفاع عن الأفكار ، ص 163

ضرب مَداره على الواقع ، وهو مُتعلق بالوقائع والحقائق والافتراضات ، وضرب مداره على المُؤثر والمُفضل ، وهو المُتعلق بالقيم ومراتبها ومواضع الأفضل منها ، وهي :

1 . الوقائع :

وحدّدها بيرلمان وتيتكاه بأنّها " تُمثل ما هو مُشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع النّاس ... والتّسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلا تَجاوبا منه لشيء يَفْرِض نفسه على الجميع "أنا ، فالوقائع تقتضي إجماعا كونيّا ، وهي تُشكل انطلاقة للحِجَاج ، وتكون أقرب للمُسلمات الّتي لا تقبل الشّك أو الدّحض لأنّها ثابتة ، وبالتّالي فالوقائع تَصنلُح لتأسِيس نُقُطَة البداية في العمليّة الحجاجيّة وهي " تنقسم إلى وقائع مُشاهدة مُعاينة ، ووقائع مُقْترضة ، ويكونان مُتطابقين مع بُنَى الوقائع الّتي يُسلم بها الجَمهُور "أنا ، والنّص القرآني حافل بالوقائع فقال تعالى : ﴿ وَإِنّهُ لَعِلْمٌ للسّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَ بِهَا وَاتّبِعُونِ ﴾ [ألقرآني حافل بالوقائع فقال تعالى : ﴿ وَإِنّهُ لَعِلْمٌ للسّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَ بِهَا وَاتّبِعُونِ ﴾ [ألقرآني حافل بالوقائع فقال تعالى : ﴿ وَإِنّهُ لَعِلْمٌ للسّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَ بِها وَاتّبِعُونِ ﴾ [ألقرآني خلهور عيسى علم يُغلّم به مجيء السّاعة فجميع الدّيانات تُسلّم بما لا يقبل الشّك بأن " ظهور عيسى علم يُغلّم به مجيء السّاعة قادر على بعث الموتى من قبورهم ، فالسّاعة آتية ويوم القيامة حقيقة كونية وهي وقائع مُفْتَرضة ، ومن وقائع المُشاهدة قوله : ﴿ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهُدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيها مُنْطَلقاً لإقناع الناس بعظمة الخَالِق من خلال مُسلّمات لا تَحْتَمِل الشّك .

2 - الحقائق :

وتُعدُّ الحقائق أنظمة أكثر تعقيداً من الوقائع وتقوم على الرَّبط بين الوقائع ومَدَارها على نظريات علميَّة أو مفاهيم فلسفيَّة أو دينيَّة ، ويَعْمَدُ الخَطِيب إلى الرَّبط بين الوقائع

^{1.} الزماني ، كمال، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية ، عالم الكتب الحديث ، ص 119

^{2.} صولة ، عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج ، ص 308

^{3 .} سورة الزخرف ، الآية : 61

^{4 .} الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (1996) : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ـ بيروت ، ، ج13 ، ص115

^{5.} سورة الزخرف ، الآية: 10

والحقائق من حيث هي مَوْضُوعات مُتَّقق عليها ، ليحدث مُوافقة الجمهور على واقعة مُعينة غير مَعْلُومة ، كأن يُضَاف التَّيقُن من الواقعة (أ) إلى النظريَّة (س) لإنشاء النَّيقُن من (ب) ، ومعنى ذلك أنّ التَّسليم بالواقعة (أ) وبالنظريَّة (س) يقُود إلى النَّسليم بالواقعة (أ) وبالنظريَّة (س) يقُود إلى النَّسليم بالواقعة (أ) وبالنظريَّة (س) عَلَيْكُم النَّسليم بالله إلَّه عَلَيْكُم النَّسليم بالله عَلْمُ اللَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مَثْلُ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلُ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ [2]

- فالواقعة (أ): قوم ثمود وقبلهم قوم عاد أعرضوا عن رسلهم فأبادهم الله . (واقعة جزئية) النظرية (س): كُلّ من يُعْرض عن الله سيتعرض لعذاب الإبادة .
 - ـ القضية (ب): سيعذب الله آل فرعون لأنَّهم أعرضوا عن الله.

فكُلُّ من أعرض من الأمم السَّابقة عن رُسل الله وكفر بهم ، أرسل الله العذاب الشَّديد عليهم وأبادهم ، فالواقعة (أ) والنَّظريَّة (س) تظافرت لتأبيد تحقَّق حُدوث الفرضيَّة (ب) مِمَّا يُشكّل تَرْهِيبا لآل فرعون بضرورة عدم الإعراض عن موسى عليه السَّلام وتصديقه ، فالوقائع حاضرة على صدق النَّظريَّة ، والَّتي تُقوي القضيَّة .

ومن مقدمات الحقائق قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [3] . فالواقعة (أ): لا يُوجَد لله ولد (واقعة جزئية)

- . النظرية (س): الله واحد أحد ، لا ولد ولا زوجة ولا شريك له .
- . القضية (ب): لو كان لله ولد فسيدنا مُحَمَّد أحقّ بعبادة الله من كُفَّار قُريش.

فقد زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمَلَائِكَة بنات الله ، وزعم بعضهم أَنَّ أصنامهم من مثل العُزَّى بنات الله ، فيقول الله لمُشركي قُريش إفْحَاماً لو كان لله ولد ، لكان الرَّسول الكريم على علم بذلك ، ولسَبقهم إلى الإيمان به ، فهو مُؤمن بالله ، وأحق من كُفَّار قريش بهذا الفعل لو وجد ، فحصل التَّيقُن في الواقعة (أ) والنظريَّة (س) لإنشاء التَّيقُن من حُدوث الفرضيَّة (ب) ما يحمل المُتلقِّي على التَّصديق بها .

^{1.} صولة ، عبد الله ، مقال : الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج ـ الخطابة الجديدة لبيرلمان ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ، ص 309

^{2 .} سورة غافر ، الآيتان : 30 ـ 31

^{3 .} سورة الزخرف ، الآية : 81

3 . الافتراضات :

يُؤكِّدُ بيرلمان أنَّ الافتراضات "شَأنَها شَأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامَّة ، ولكنَّ الإذعان لها والتَّسليم بها لا يكونان قويين حتَّى تأتي في مَسار الحِجَاج عناصر أخرى تقويها "[1] ، والفرضية في معناها المُعجميّ رأي علميّ لم يثبت بعد ، فهو افتراض على سبيل الجدل " والتَّسليم القوي بها في إطار الخِطاب لا يكون كذلك ما لم تشفع بأدلة وأنْساق بُرهانيَّة تدعمُها ، وهي ليست ثابتة بل مُتغيِّرة ."[2]

وتَمَثّلت الفرضيات في قوله تعالى : ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللّهِ إِلّا الّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغُرُرُكَ تَقَلّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ * كَذّبتُ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ [13] فالمُجادلة في آيات الله من قبل الكُفّار أمر عادي ، ومُتغيّر بحسب اعتقاداتهم فهذا التَقلب الّذي هم فيه أمر عادي مُتغيّر ، ولتكون قوية جاء في مسار الحجج عناصر قوتها مُتمثلة بضرب أمثلة واقعية على صدقها فقد ﴿ كَذّبَتُ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ " فدلّ على أنَّ الجدال في تنزيله كفر والحاد وتوعدهم بأنّه آخذهم "لها كما يقول كما يقدم سبحانه للنّاس عناصر مُصاحبة لمسار فرضية لتقويتها فيصعب إنكارها، يقول تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلُّ أُمّةٍ جَاتِينَةً كُلُّ أُمّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ "فالافتراض * لهذا كِتَابِنَا ينطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا أَمَة ستدعى في خضوع تام للنظر في تقيدها بكتابها الّذي نزل عليها ، ولكن كثيراً أنكر هذه الحقيقة فقدَّم الله عناصر مُرافقة للفرضية فسينطق هذه الكتب من خلال الاستعارة فتشهد الكتب عليهم ، كما أكّد حقيقة تدوين أعمالهم بمؤكدات يصعب الشّكَ بوجودها ، كما أنَّ المجاز العقلي بإسناد النّطق إلى الكتاب مع أنَّ الملائكة هي من ينطق بما في الكتاب شكَّل عنصرا قوّى من تحقق الفرضية ، وزيادة الإذعان لها والتسليم بها .

^{1.} نقلا عن: صولة ، عبد الله، في نظرية الحجاج ، ص 25

^{2.} نقلا عن: الطلبة: محمد سالم الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 112

^{3 .} سورة غافر ، الآيتان : 4 _ 5

^{4.} الباقلاني، محمد بن الطيب، (1971): إعجاز القرآن ، ت: السيد أحمد صقر ، دار المعارف، ص10

^{5.} سورة الجاثية ، الآيتان : 28 _ 29

4 . القيم :

القيم من المُنطلقات المُهِمَّة في الدَّرس الحِجَاجيِّ ويُبُنِي عليها مَدار الحِجَاج بكُلِّ أشكاله "وهي لئن خلت منها الاستدلالات ذات البُعْد العلميّ والعلم الشكلية ، فإنَّها تُمثل بالنسبة إلى مَجالات القانون والسِّياسة والفلسفة غذاء أساسيا ، ويُعول عليها جعل السَّامع يُذْعِن لما يُطرح عليه من آراء"أ، ومنها القيم المُجردة مثل: العدل ، والصيدق والشَّجاعة، والقيم المحسوسة مثل: الوطن، والمسجد "فالاستدلالات القائمة على قيم مَلموسة تبدو من سِمات المُجتمعات المُحافظة ، بينما ترتبط القيم المُجردة الَّتي يَسْهُل استخدامها في النَّقد لتبرير التَّغيير والرَّوح الثَّورية فقضية صِراع القيم هي عنصر مُهم في المُجادلات الحِجَاجيَّة " أي القيم سُلُوك إنسانيّ يحمل المُتلقِّي إليه لأنَّ " نُفُوذ الحِجَاج الإقناعيّ إليه لأنَ " نُفُوذ الحِجَاج الإقناعيّ إنما يتحقّق بقوَّة علاقته بهذه القيم النَّي انطلق منها الحِجَاجيّ ووعيه بها "آلاً فعندما ينطلق المُحاجج من قيم سامية يصل إلى أعلى درجات الإقناع والقبول .

وتظهر قيمة الرَّحمة في قول الله تعالى واصفاً نفسه: ﴿ نُزُلًا مِّنْ عَفُورٍ رَجِيمٍ ﴾ [1] لتكون قيمة الرَّحمة حاملة بشائر المغفرة للمُخاطَب وإقناعه بأنَّ رحمة الله قريبة منه، أو قيمة حرص الوالدين على الأبناء كما في قوله: ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ ﴾ [5] وتبرُز قيمة إحسان الله للنَّاس في قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَجَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [6] وعن قيمة العدل يقول تعالى: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا للْعِبَادِ ﴾ [7] ، وقيمة اللطف في قوله تعالى: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا للْعِبَادِ ﴾ [7] ، وقيمة اللطف في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ [8] ، فكان لهذه القيم دور في تقوية الحُجَّة على النَّاس بفضل الله عليهم لِتُشكَّل قوَّة تأثيريّة لتحقق الإذعان لله عز وجلٌ .

^{1.} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 26

^{2.} بروتون ، فيليب ، الحجاج في التواصل ، ص 94

^{3 .} الدكان ، محمد بن سعد ، الدفاع عن الأفكار ، ص 150

^{4.} سورة فصلت ، الآية : 32

^{5.} سورة الأحقاف ، الآية: 17

^{6.} سورة الدخان ، الآية : 30

^{7.} سورة غافر ، الآية: 31

^{8.} سورة الشوري ، الآية: 19

5 ـ الهرميات

يَرتبط مُنطلق الهَرميّات بالقيم ؛ لأنَّ القيم درجات مُنقاوتة ليست مُطلقة ، فهرميّة "القيم في البُنية الحِجَاجيَّة أهمّ من القيم نفسها فالقيم وإن كانت تُسلّم بها جماهير سامعين عدّة فإن درجة تسليمها بها تكون مختلفة من جمهور لآخر وهو ما يعني أن القيم درجات وليست كلّها في مرتبة واحدة "لنا ، وعندها نكون بين قيمتين " والحِجَاج سيكون حول أيهما أولى سواء للفرد أو المجتمع ... وجوهر الأمر في مفتتح المقام الحِجَاجيّ ليس هو في تعيين قيمة ما ، والاتفاق عليها ، وإنّما يكمُن في تسلسلها بعد مسألة قبولها "لنا . ويكثر في سور الحواميم المُقارنة بين القيم الدَّنيوية الفانية وبين قيم الخُلود والنَّعيم في الآخرة ، وحول أيهما أنفع للفرد وللمجتمع ، يقول تعالى : ﴿ فَمَا الرَّبِيثُم مِّن شَيْعٍ فَمَتَاعُ الْحُيَاةِ الدُّنيا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ وَإِن كُلُ لَائِكُ لَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنيًا وَالآخِرةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [4] ، فهرميّة الحِجَاج تدرّجت من الأقل نفعاً إلى الأكثر نفعاً ؛ لإقناع المُخاطَب بترك السّعي للحصول على ملذات الدُّنيا الأقل نفعاً له ، والاهتمام بما يُوصله لملذات الخُلود في الآخرة ، كما أنَّ السّعي لملذات الدُّنيا تعود بالنَّفع على الفرد دون المُجتمع ، وبالمقابل فإنَّ السَّعي لملذات المُنو يَعْود بالنَّفع على الفرد والمجتمع على السَّواء ويغيّر من قيم المجتمعات .

6. المواضع:

تختصُّ بالاستدلال الجدليّ ؛ لأنَّ منابعها فلسفيَّة ، فهي ليست حججاً بذاتها ، بل هي مخازن للحجج أو هي " الأقفاص الّتي يمكن لكُلِّ النَّاسِ أن يذهبوا إليها من أجل أن يأخذوا مادّة خطاب (ما) وحججا حول كُلِّ نوعٍ من الموضوعات ، فما هي إلا تلك الغُرف في ذِهن المُتكلِّم الَّتي تُحفظ فيها الحجج ويستدعيها لحظة انطلاق الحِجَاج. "[5]

^{1.} صولة ، عبد الله ، مقال : الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال " مصنف في الحجاج " لبيرلمان ،ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 310 ك. الدكان ، محمد بن سعد، الدفاع عن الأفكار ، ص 150 ـ 151

^{36 .} سورة الشوري ، الآية : 36

^{4.} سورة الزخرف ، الآية: 35

^{5.} الدكان ، محمد بن سعد ، الدفاع عن الأفكار ، ص 154 _ 155

وتُعد المواضع روافد للقيم وهرميتها عند عملية الإقناع ، فهي بمثابة مقدمات المعاني الَّتي يركن إليها الخطيب وبدونها لا يستمد خطابه أي شرعية عند الجمهور ، وهي مُتمخضة للاستدلال الجداليّ ولأجلها صاغ أرسطو كتاب الطوبيقا^[1] ، فقسمها أرسطو إلى نوعين: "مواضع مشتركة وهي التي يمكن تطبيقها على أي علم كيفما كان نوعه ، ومواضع خاصة وهي الَّتي تكون خاصة بنوع خطابيّ محدد "[^{2]} ، ويعمد المُتكلِّم للمواضع في نصّه الحجاجيّ لكسب التَّصديق من المُتلقِّي .

وتتشعّب المواضع إلى أقسام ، منها مواضع الكمّ الَّتي نتمكن بواسطتها أن نثبت أمرا أفضل من آخر انطلاقا من معايير كمية كقولنا : الكُلّ أفضل من الجزء ، وما يترتب على هذه القاعدة من نتائج في حيانتا اليومية [3] ، ووظف النَّصُ القرآنيّ مواضع الكمّ بما يخدم غرض الآيات الكريمة ، ويقوي من حُجَّتها في إقناع المُتلقِّي ، فيقول الله تعالى : ﴿ فَأَهْلَكنَا أَشَدَ مِنْهُم بَطْشَا وَمَضَى مَثَلُ الأولين ﴾ [4] ، فالحُجَّة مبنية على مقدمة موضع الكمّ من خلال ﴿ أَشَدَ مِنْهُم ﴾ بمعيار كمّي من حيث ﴿ بَطْشَا ﴾ فالكمّ زاد من قوة النَّأثير في المُخاطَب حول قدرة الله ؛ ليقتنع أنَّه مهما كان قوي البطش فإنَّه لن يُعْجِزَ الله تعالى شأنه ، كما اعتمد النَّصّ القرآني على الكمّ في إظهار قدرة الله تعالى في الخلق وأنَّ قدرته لا حدود لها فيقول الله تعالى : ﴿ وَمَا نُريهِم مِنْ عَايَةٍ إلّا قيمًا أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها ﴾ [5].

في المقابل فإنَّ مواضع الكيف التي تعتمد على الكيفية ، وهي ضدّ الكمّ " من حيث إنّها نسيج وحدها ، فهي واحد ضدّ جمع وتستمد قيمتها من وحدانيتها تلك ، وهي من أهمِّ مَدارات الحِجَاج "[6] ؛ أي نهتم بنوعية لا بالعدد فالعبرة بالكيف لا بالكمِّ ، ومن

^{1.} الناجح ، عز الدين ، (2011) : العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ط1 ، ص 82

^{2.} الزماني ، كمال ، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية ، ص 122

^{3.} الطلبة ، محمد سالم الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 113

^{4.} سورة الزخرف ، الآية: 8

^{5.} سورة الزخرف ، الآية: 48

⁶ ـ صولة ، عبد الله ،مقال : الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج ـ الخطابة الجديدة لبرلمان وتتيكا ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ،ص312

جميل استخدام مواضع الكيف في النَّصِّ القُرآنيِّ قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [11، ففي تلك الفترة الَّتي سيطر فيها فرعون كانت هذه الآية حُجَّة قوية لإظهار فضل بني إسرائيل على من وُجِدَ من النَّاس من خلال الاهتمام بالكيف الَّتي هدفت لإقناع المُخاطَب بفضلهم على العالمين لنوعيتهم على من وجد في زمانهم ، لتتقلنا الآية الَّتي بعدها وتقدم حُجَّة جديدة وقوية في أن الاختيار مُعْتَمد على الكيف في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ [2] فاستخدام حرف العطف ﴿ ثُمَّ ﴾ الَّذي يُفِيد التَّراخي الزمني غيَّر من الحُجَّة الكيفية، فعندما فسدت الكيفية الأولى ظهرت كيفية ثانية انمازت عنها ، وأخذت حكمها لتكون إقناعاً قوياً بأنَّ أمة سيّدنا مُحَمَّد هي أفضل الأمم اعتمادا على موضع الكيف بأداة الكيفية الّتي تصل لنتيجة نفى الأفضلية الكيفية عن بني إسرائيل وتوقفها زمن سيدنا مُحَمَّد. واعتمد الإقناع الحجاجي في النَّصِّ القرآنيِّ على إبراز قوة تأثير مواضع الكيف في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ [3] ، فقد جعل النَّصُّ القرآني من الكيف مِسبارا بانتقاء (المقت) وهو أشد أنواع البغض ، ليكشف قدر غضب الله تعالى ممّن يكفر به عندما يدعى للإيمان ، وأنَّ هذا العمل أكبر من كره الإنسان لنفسه عند خُلول العقاب عليه.

وأشار بيرلمان لمجموعة من المواضع الأخرى الّتي تساعد في البناء الحجاجي ، كمواضع الترتيب وفيها يُعدُ القديم من القوانين والأنظمة أفضل وأقوى من المعاصر ، ففي النّصِ القرآنيِ من أنكر رسالة الرُسل والاحتجاج بهذه المواضع مقدمين دليلهم الحِجَاجيّ بأنهم وجدوا من قَبْلَهم على هذه العبادة ، فيقول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أَرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [1] ، فهم يرفضون بأهدَىٰ مِمَّا وَجَدتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أَرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [1] ، فهم يرفضون دعوة سيدنا مُحمَّد بحُجّة أنّهم وجدوا آبائهم على هذا الدّين القديم فابتعدوا عن المُعاصر .

^{1 .} سورة الجاثية ، الآية : 16

^{2.} سورة الجاثية ، الآية: 18

^{3 .} سورة غافر ، الآية : 10

^{4.} سورة الزخرف ، الآية: 24

أمّا موضع التّعادل فيُركز على قيمة المُساواة "فيتعلق الأمر بقاعدة العدل ذات الطّبيعة الصّورية الخالصة الّتي تقضي أن نُعامل الكائنات الّتي تتتمي إلى النّوع نفسه معاملة واحدة "[1] ، فيقول تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [2] ، فالرّسول محمّد عليه السّلام يُخاطب اليهود والنّصارى بأنّه سيعاملهم بالعدل في دعوتهم إلى الحقّ ، ولن يظلمهم بسبب عداوتهم له .

ويتبعه موضع الوجود الَّذي تَخْتَصُّ بمن يفضل المُوجود الواقعيّ الرَّاهن على الممكن والمُحتمل أو المستحيل ، فقال تعالى على لسان كُفَّار قريش : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْاولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾[3] مُعتزين بالحياة الدّنيا مُنكرين وجود حياة الآخرة . ومواضع الجوهر بإعطاء قيمة عُليا للأشخاص كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ ﴾[4].

أمًّا مَواضع الصُورة البلاغيّة فهي تُكْسِب مُقدِّمات المُحاجِج قوَّتها ونَفَاذِها ، وتأتي في صُورة الحُضُور الَّتي تَرمي إلى توضِيح هدف الخِطاب ، وجعله حاضرا في ذِهن المُخاطَب ووعيه ، كما تبرز بعض المظاهر الخاصَّة بواقعة (ما) ويكون هدفها تعزيز مُشاركة المُتاقين في الفعل الحِجَاجيِّ كالتَّعريض أو التَّاميح [5] ، فقد أكسبت الصُّورة البلاغيَّة المحاجِج قوة حجاجيّة بتوظيف التَّشبيه ، والاستعارة ، والمجاز العقلي في قوله تعالى : ﴿ كَذُٰلِكَ يَطْبُعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [6] ، فهدف الخطاب تشبيه طبع قلوب المُجادلين، وتكمن قوته الحجاجيَّة في تهديد كُلّ من يماثلهم في أفعالهم ، كما أنَّ في استعارة ﴿ يَطْبُعُ ﴾ إبراز لقوة الطَّبع في القلوب بما تتركه من أثر ثابت وبارز ، وأظهر المجاز العقلي في ﴿ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ العلاقة السَّبية ؛ فالقلب مركز الكبر والتَّجبر فوصف بها للمبالغة ، فَتَوَضَعَ الهدف من هذا الخطاب بالصُّورة .

^{1.} نقلا عن: بروتون ، فيليب، الحجاج في التواصل ، 97

^{2.} سورة الشوري ، الآية: 15

^{34 .} سورة الدخان ، الآية : 34

^{4.} سورة الزخرف ، الآية: 63

^{5.} الزماني ، كمال، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية ، ص 124

^{6.} سورة غافر ، الآية: 35

تقنيات الحجاج

تهدف التَّقنيات إلى الوُصُول للغاية الاستدلاليّة للحِجَاج ، فما الحِجَاج إلَّا " جُملة التَّقنيات الَّتي تُراعي توظيف الحُجَّة وبناءها بكيفية فنيّة ، إضافة إلى كونه جُملة التَّقنيات الَّتي تُراعي دراسة الاختيارات اللامنطقيَّة والبراغماتيَّة على مُستوى السِّياق اللُّغويّ "[1] ؛ لأنَّ " تلك التَّقنيات الَّتي تُمثلها جُملة اختيارات تُراعي مَقاصِد الكلام وتستجيب لعلاقة المُتكلِّم بالمُتلقِّي ومُقتضيات المقام."[2]

فقام عدد من الباحثين بنتبًع تقنيات الحِجَاج بالدَّرِس لتحديد أنماطها ، وأشكالها، ومجالاتها ، فالتقنيًات الحِجَاجيَّة عند تولمن وجانيك تقع في " تسعة أنماط من الحُجج وهي : حجاج بالنَّماتُل ، أو بالنَّعميم ، أو بالعلامة ، أو بالسَّبب ، أو بالسَّلطة ، أو بالمأزق ، أو بالنَّصنيف ، أو بالمُتعارضات ، أو بالدَّرجة "[3] ، كما حاول الباحثان بالمأزق ، أو بالتَّصنيف ، أو بالمُتعارضات ، أو بالدَّرجة "اللَّا التَّاليف بين الإبعاد التَّداوُليَّة والمعياريَّة من خلال " التَّاليف بين الوصف النَّقني للحِجَاج وتقييمه ، وقدَّما وصفا لسير النَّقاش النَقدي ليتطوَّر الحِجَاج تبعا لأربع مراحل مُتتالية هي : المُجابهة ، والبداية ، والجِجَاج ، والخاتمة... فوضعا قواعد للنَّقاش النَّقدي، فصاغا عشر قواعد "له ، وأطلق عليها الباحثان بيرلمان وتيتكاه مُسَمَّى (تقنيات الحِجَاج) ودار فلكها حول طريقين : طرائق الاتصاليّة أو الوصل نحو : الحجج شبه المنطقيّة ، والحجج المُؤسِّسة على بنية الواقع ، والحجج المُؤسِّسة لبنية الواقع ، والحجج المُؤسِّسة ملى حجج مُجرَّدة بهدف الاستدلال لبنية الواقع ، والطَّرائق الانفصاليَّة ، وتُطرح على شكل حجج مُجرَّدة بهدف الاستدلال من خلال تقنيَّات للحِجَاج تسير في نوعين من الشَّعاب ، شِعاب الوصل، وشِعاب الفصل، وهذه التَّراسة وسنقوم بتتبُّع تَقْصِيلاتها .

^{1 .} حلاسة ، هناء ، (2016) : بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين . دراسة وصفية لنماذج خطابية ، مركز الكتاب الاكاديمي . عمان ، ط 1 ، ص 29

^{2.} الدريدي ، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 88

³ ـ نقلا عن : الغامدي ، عادل بن علي ، (2016) : الحجاج في قصص الأمثال القديمة مقاربة سردية تداولية ، دار كنوز المعرفة . عمان ، ط 1 ، 1437 ه ، ص 144

^{4.} نقلا عن: بروتون ، فيليب، جيل جوتييه ، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 93 _ 96 . 4

1 . طرائق الوصل :

وتقوم تقنيات الوصل بالرَّبط والتَّقريب بين " العناصر المُتباعدة سواء كان الرَّبط مَوْجُودا سلفا في الواقع ، أو تَمَّ خَلْقُه من كُلِّ المُكوِّنات من أجل مُناسبة اللَّحظة "أنا ، وتتجاذب بين منبعين ، منبع عقلي يُؤدِّي لحجج شبّة منطقيَّة ، ومنبع واقعي تُشكّل الحجج المُؤَسسة على بنية الواقع .

1 . 1 : الحجج شبه المنطقية :

هذه الحِجَج تَسْتَمِدُ " قوّتها الإقناعيّة من مُشابهتها للطَّرائق الشكليّة ، والمنطقيّة والرِّياضيّة ، والبَرهنة ، وتعتمد البُنى المنطقيّة مثل التَّاقُض والتَّماثُل التَّام والجُزئي ، وقائُون التَّعدية ، والعلاقات الرِّياضيّة مثل علاقة الجُزء بالكُلِّ وعلاقة الأصغر بالأكبر "[2] وتكون ذات مرجع عقلي استدلاليّ برهاني ، فهي مُتوافقة مع مبدأ القياس المُضمر عند أرسطو لكنّها "لا ترتقي إلى مُستوى المَنْطِق الرِّياضي الصّرف، ولكنها تمارس سُلطتها على مُتقبِّل الحِجَاج ، سلطة تحمله على التَّسليم بوضُوحها المنطقيّ ونجاعتها الرِّياضيّة "[3]، وهي :

1 . 1 . 1 : الحجج شِبْه الْمَنْطِقِيَّةِ النَّتِي تَعْتَمِد الْبُنَى الْمَنْطِقِيَّة :

هي حُجج ليست منطقيّة خالصة ولكنّها حُجج تعتمد على مبدأ منطقيّ ، نحو النتّاقُض وعدم الاتّفاق ، ويُقْصَد بالتّناقُض أنْ يشتمل الخطاب على قضيتين تكون إحداهما نقيضاً للأخرى ، ويكون النّظام الّذي بَنَى عليه المُتكلّم حُججه غير مُتناسق وبالتّالي غير صالح ، فتَسْهُل إدانته ورده وبيان خطئه ؛ لأجل ذلك يقوم المُتكلَّم بإبراز ما يراه غير مُتوافق في خطاب خَصْمه في شكل علاقة غير منطقيّة هي التّناقيض ؛ التّني من شأنها تقويض الخِطاب وهدم حُججه [4] ، يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ التّني من شأنها تقويض الخِطاب وهدم حُججه [4] ، يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ

^{1.} بروتون ، فيليب، جيل جونييه ، تاريخ نظريات الحجاج ، ص 47

^{2.} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 42

^{3.} العطار ، مصطفى ، (2017) : لغة التخاطب الحجاجي ـ دراسة في آليات التناظر عند ابن حزم ، دار كنوز المعرفة للنشر ، عمان ، ط 1 ، ص 164

^{4.} الغامدي ، عادل بن على ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة ، ص 146

بِآيَتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمًا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا ﴾ [1] ، فالخطاب الرَّبانيّ أشتمل على قضيتين مُتتاقضتين ، الأولى الصَّادرة عن الله وهي : تسلّح سيّدنا مُوسى بالحُجَّة والبُرهان والحقِّ القاطع ، ﴿ بِآيَاتِنَا وَسُلُطَانٍ مُبِينٍ ﴾ ، والثَّانية الصَّادرة عن فِرعون ومن معه وهي : جعل مُوسى ساحرا مُمَوِّهَا كاذبا ﴿ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ فالنَّظام الَّذي بَنى عليه فِرْعَون حُجَّته غير مُتتاسق بوصف مُوسى بساحر كذَّاب مع أنَّهم خَيروا أعمال السَّحرة الَّتي لا تنطبق عليه ، فكانت حُجَّتهم باطلة وفاسدة لا تصلح لإطلاقها على سيّدنا موسى ، فجاءت القضية الأولى نفيا ونقيضا لها فهدمت حجتها ، فظهر ذلك في قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ القضييّة الثانية ، الَّتي يَراها مَدْعَاة للهُزء . اللهُ ورفض القضيّة الثانية ، الَّتي يَراها مَدْعَاة للهُزء .

وظَهر التَّاقُض جليًا في الدَّواعي النَّفسية للإنسان في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِيهِ وَإِذَا مَسَهُ الشَّرُ قَدُو دُعَاء عَرِيضٍ ﴾ [2] واصفاً تتاقُض حال الإنسان بمَوقفين مُختلفين ، فالقضية الأولى تتمثّل في (إنعام الله على الإنسان بنِعَم لا تُحصى) ، والثَّانية (إعراض الكافرين عن شُكر الله والابتعاد عنه) ؛ فالأولى نفي للثانية وابتعاد عنها ، فالحُجَّة شِبه المنطقيَّة النَّي تَحْتَاج للاستدلال العقليِّ والقياس المُضمَّر للوُصول للحالة التَّكوينيَّة للنَّفس الإنسانية وتُوضَّح مَنحى الإقناع عند المُتلقي وإذعانه لفكرة إنكار الكافرين لنعم الله وجُحُودها والابتعاد عن منهج المُسلمين في تعامُلِهم مع نِعَم الله ،ومن خلال القياس المُضمر تتشكّل مُتناقضة جديدة رئيسة ، فتكون القضية الأولى حال المُؤمِن الَّذي يشكر الله في السَرّاء والضَّرّاء، والثَّانية إنكار الكافر الكافر في حالة الرَّخاء ، والدُّعاء غير المُنقطع في حالة السُّوء، فتكون القضية الأولى نفي للثَّانية ، ومن خلال التَّحليل العقليّ نستدل على المُقارنة فتكون القضية الأولى نفي الثَّانية ، ومن خلال التَّحليل العقليّ نستدل على المُقارنة فتكون القضية النَّول الكافر الظَّاهرة في الآية وحال المُؤمِن المُضمرة في الآية التَّي نصلها من خلال إعمال العقل لِتَصِل بهذا الخطاب للإقناع والإذعان للفكرة الَّتي تحملها ، فأظهر خلال إعمال العقل لِتَصِل بهذا الخطاب للإقناع والإذعان الفكرة الَّتي تحملها ، فأظهر خلال إعمال العقل لِتَصِل بهذا الخطاب للإقناع والإذعان الفكرة الَّتي تحملها ، فأظهر

^{1 .} سورة غافر ، الآيات : (23 _ 25)

^{2 .} سورة فصلت ، الآية : 51

الله عزّ وجل " وهن خَصْمِه من خلال إبراز نتاقُض أفعال الخصم نفسه وفي أكثر هذه المواضِع يكون المُتكلِّم صاحب سُلطة عُلْيًا على خصمه وليس نِدًّا مُساويا له فيستطيع بذلك تفنيد حُججه والاستهزاء بها من خلال ردِّها إلى التَّناقُض ، وقد يأتى ذلك في حِوار مُباشرة بين الشخصيتين "[1] ، في حين أن عدم الاتفاق أو التَّعارض يكون " بين ملفوظين يتمثَّل في وضع الملفوظين على مِحَكِّ الواقع والظّروف أو المقام الختيار إحدى الأطروحتين واقصاء الأُخرى فهي خاطئة "[2] ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلِّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [3] فقد قدَّمت الآيات أطروحتين ، الأولى طرح الضُّعفاء (بادِّعاء أنَّهم تبع للمستكبرين) وأطرُوحة زعمائهم (بعجزهم عن حمايتهم) بما دار بينهما من حوار مباشر، فمقام الأَطرُوحة الثَّانية أبانت أنَّ الأولى خاطئة فأقصتها ،كما أنَّ "سِلاح الحِجَاج هو الهُزء "[4] فمقام التَّعارض هُزء ، فسخر المستكبرون من طرح الضُّعفاء الأنَّهم جميعا في النَّار . ويظهر التَّعارُض جَليّا في تتاقض عقائد قريش العلنية وما تحمله الملفوظات من اقتضاء ضمنى حول قضية خالق هذا الكون، وما يعانون من صراع داخلى برزت آثاره النَّفسيَّة في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾[5] ، فطرحهم الخارجيّ هو أنَّ أصنامهم خَلَقت الكون ، بينما يُشكّل طرحهم الدَّاخلي أنَّ الله هو خالق الكون ، فتمسكوا بالأطروحة الظّاهرة ، واقصاء الضِّمنية ؛ ما جعلهم مَثار سُخرية وهُزء . وفي مَوْقع آخر يقول تعالى على لِسان مُؤمِن آل فرعون : ﴿ يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ [10] ، فالأُطْرُوحة الأولى وهي دعوته لهم إلى النَّجاة ، أقصت دعوتهم له للكفر الأنَّها خاطئة.

^{2.} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 43

^{3 .} سورة غافر ، الآيتان : 47 ، 48

^{44.} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 44

^{5.} سورة الزخرف ، الآية: 9

^{6 .} سورة غافر ، الآية : 41

ويُعدُ النّمائُل القائم على النّعريف من الحجج شبه المنطقية ؛ لأنّ مداره أن "يكون فيه المُعرَّف والمُعرَّف مُتماثلين لفظا ، الأمر الّذي يجعلنا نعتبر الثّاني مَحْمُولا على المجاز "[1] ، وتُحْمَل العبارة على المجاز حتَّى لا تكون من حَشْو الكلام أو تحصيل حاصل ، ولا تَحْمِل دلالة حِجَاجِيّة "إلا في مقام بعينه فهذا المقام هو الذي يُعطي لهذه العبارات دلالتها الحِجَاجِيّة "أنا ، وتمثّل في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا يُغْرِقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مَنْ عِنْونا ﴾ أقرا من أرزاق وآجال وجميع شؤون العباد بما فيه من حكمة الله في تدبيره ، ويفصل من أرزاق وآجال وجميع شؤون العباد بما فيه من حكمة الله في تدبيره ، وحملت كلمة (أمر) الثّانية على المجاز ، والغاية الحجاجيّة من هذا التّماثل تعظيم وحملت كلمة (الأمر) منتقلاً من الإجمال إلى التفصيل ، فكان النّماثل في موضوعين أو شأن هذا (الأمر) منتقلاً من الإجمال إلى التفصيل ، فكان النّماثل في موضوعين أو موقفين لهما خواص مُشتركة ، و" نجد اللفظ الثّاني دائما هو الّذي يحمل القيمة الدّلاليّة شأن ما يحدث في ظاهرة التّكرار "[14] ، ومن أمثلة التّماثل استخدام (سيّئة) الثّانية مجازا للدّلالة على القصاص في قوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيّئةٌ سَيّئةٌ مَثْلُهَا ﴾ [15] ؛ لإقناع مجازا للدّلالة على القصاص في قوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيّئةٌ سَيّئةٌ مَثْلُهَا ﴾ [15] ؛ لإقناع المُخاطَب بالعدل في القِصاص دُون زيادة .

وتشكل العلاقة التبادلية إحدى الحجج القائمة على البُنَى شبه المنطقية ، وهذه الحُجج تتمثّل في مُعالجة وضعيّتين إحداهما بسبيل من الأُخرى مُعالجة واحدة وتماثلهما ضرروري لتطبيق قاعدة العدل ، والَّتي منها يستمِدُ قُوته الاقناعيّة ، فهي قائمة على حجج عكسيَّة ودعوة لتطبيق قاعدة العدل على وضعيّتين متناظرتين أن والتبادليّة علاقة منطقيّة خالصة " غير أنَّ الحُجَّة تظلُّ شبه منطقيّة فحسب لأنَّها إسناد للحُكم ذاته إلى أمرين ندّعي أنَّهما مُتماثلان والحال أنَّنا لو أخضعناهما إلى الدِّراسة الدّقيقة لانتهينا إلى

^{1.} الطلبة ، محمد سالم الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 128

^{2.} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 45

^{3 .} سورة الدخان ، الآيتان : 4 ـ 5

^{4.} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 45

^{5.} سورة الشوري ، الآية : 40

^{6.} نقلا عن : صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 45 _ 46

فروق عديدة بينهما "الله وتظهر العلاقة التبادلية في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [2] في آياتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وهي التَّرهيب ، والوضعيَّة التَّانية سبيل من والتَّانية ﴿ مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وهي التَّرغيب ، والوضعيَّة التَّانية سبيل من الأولى وتُعالج معها بتبادلية حول محور القضية في ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا ﴾ ، فالإنسان الَّذي يلحد ويميل عن الاستقامة في شأن آيات الله سيكون يخفُونَ عَلَيْنَا ﴾ ، فالإنسان الَّذي يلحد ويميل على الوعيد والتهديد ، فإن لم يلحد تَنْهَار الحُجَة التَّرهيبيَّة وتتبدَّل الوضعيَّة الأولى مع الوضعيَّة الثَّانية فيكون مصيره نعيم الجنَّة وفي جميع الأحول تتمُّ التَبادلية تحت قانون العدل.

ومن أمثلة العلاقات التبادلية في بناء الحجج شبه المنطقية، قوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَانِفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [3] ، فالوضعية الأولى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَانِفْسِهِ ﴾ ، والثّانية : ﴿ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ ، فمن أراد النّجاة والفوز لنفسه قدَّم الوضعيَّة الأولى وعمل صالحا ، ومن أراد الهلاك والخُسران بدّل الوضعيَّة الأولى بالوضعيَّة الثّانية ، ويتم اختيار الإنسان لإحدى الوضعيَّتين الّتي تستلزم نوعاً من التّشارُط بينهما وفق قانون العدل ﴿ وَمَا رَبُكَ بِظَلّامٍ لللْعَبِيدِ ﴾ الّذي يقدُم قُوّة إقناعيّة للمُخاطَب ليُحسِن الاختيار .

وتعتبر حجج التّعدية خاصيّية شبه منطقيّة شكليّة لأنّها تقوم على استنتاج علاقات عن طريق عنصر ثالث يتم المُرور من خلاله لتأكيد صدق العلاقة بين العُنْصُرين الأول والثّاني، كما في قولنا: (عدو عدوّي صديقي وما يُستنتج منها أنّ صديق عدوي عدوي)، بمعنى أنه إذا كان (أ = ب) و (ب = ج) فان (أ = ج) ، ومبدأ التّعدية يعتمد على القياس في تطبيقه ، ولا يطبق كثيرا على وقائع إنسانية $^{[4]}$ وتشمل العلاقات الاستنتاجية والعلاقات الضّمنية وعلاقات التّقوق .

^{1.} الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، ص 201

^{2 .} سورة فصلت ، الآية : 40

^{3 .} سورة فصلت ، الآية : 46

^{46 .} نقلا عن : صولة ، عبدالله ، في نظرية الحجاج ، ص 46

ومن العلاقات الاستنتاجية الَّتي نتوصل لها انطلاقا من حُجج التَّعدية قوله تعالى في قصة قوم سيّدنا هود: ﴿ فَلَمَّا رَاوهُ عَارضًا مُسْتَقْبِلَ اودِيتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ريحٌ فِيهَا عَذَابٌ ﴾ [11] فبعد أن حُبسَ عنهم المطر شاهدوا سحابا يأتى نحوهم فاعتقدوا أنَّه مطرُ خير وكذبوا سيّدنا هودا بأنَّه عذابٌ ، لِتُبْنَى علاقة التَّعدية من خلال توظيف عُنصر العذاب لتكون (السَّحاب المُمطر = أ) ، (الرّبح = ب) ، (العذاب = ج) وتُمثل ب (السّحاب المُمطر = الرّبح) في حَمْلِها للمطر والخير للنَّاس ، (الرِّيح = العذاب) في تصيرها أداة عذاب ، لنصل إلى أنَّ (السَّحاب المُمطر = العذاب) ، فالعُنصر الثَّالث وهو العذاب أكَّد استتتاج وظيفة العُنصئرين الأول والثَّاني ، وهُما السَّحاب المُمطر ، والرِّيح في جعلهما أدوات عِقاب ، لتزيّد من إقناع المُخاطَب بأنَّ الله قادر على توظيف كُلِّ عناصر الطّبيعة لإرادته فيجعل من عناصر الخير عناصر عذاب، و(المطر) يوظُّف في النَّصِّ القرآنيِّ للعذاب، فتزيد هذه الحُجَّة من قوة التَّأثير في المُخاطَب وزياده إذعانه، ومن أمثلة حُجج التَّعدية ما يكون على أساس التَّفوق وهي علاقة تستخدم عادة المُقارنة والمُفاضلة نحو: أفضل من ، وأكثر من ، في إقامة حُجَّة الإقناع كما في قوله تعالى: ﴿ اولَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [2] ، وتمثل كما يلي :

- 1. { كُفَّارِ الأُمم السَّابِقة (ب) أَشد قُوَّة من كُفَّارِ قُريش (أ) }
 - 2 . { أباد الله كُفَّار الأمم السَّابقة بالرَّغم من قوتهم (ج) }
 - 3 . { النَّتِيجَةُ: سَيبِيدُ الله كُفَّارَ قريشِ كما أباد مَن هم أقوى منهم }

فالعلاقة الَّتي ربطت بين هذه الأطراف هي علاقة التَّفوق في حُكم الكُفر ، ولا يُمكن اعتبار (أ = ب) أي (كُفَّار قُريش لا تُساوي كُفَّار الأمم السَّابقة) وسبب امتناع المساواة وجود فعل التَّفضيل (أشدّ) ف (ب) زادت عن (أ) في الكفر ، فهي حُجَّة تعدية بُنيت على أساس التَّفوق .

^{1.} سورة الأحقاف ، الآية: 24

^{21 .} سورة غافر ، الآية : 21

ومن أنواع حُجج التَّعدية ما يُبْنَى على علاقة التَّضمن " وهي علاقة منطقيّة تبين أنَّ قضيَّة (ما) تتضمَّن قضيَّة أُخرى يقدم على شكل قياسي يُؤدِّي إلى ظُهور علاقة التَّعدية " أنَّ من خلال الاعتماد على الضَّمير القياسيِّ ، يقول الله تعالى : ﴿ كِتَابُ فُصِّلَتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمِ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] ، وتُحلّل كما يلي :

- . { مُقدمة كُبرى : القرآن كتاب عربي }
- . { مُقدمة صُغرى : القرآن آياته مُفصلة }
- . { النتيجة : جاءت آيات القرآن مُفصلة لأنَّه نزل بلِسَان عربي }

وعلق ابن عاشور عليها بقوله "ومن كَمَال تَفْصِيله أنّه كان بلغة كثيرة المعاني، واسعة الأفنان، فصيحة الألفاظ، فكانت سالمة من التباس الدّلالة، وانغلاق الألفاظ، مع وفرة المعاني غير المتنافية في قلّة التّراكيب، فكان وصفه بأنّه عربيّ من مُكمّلات الإخبار عنه بالتّقصيل "[3]، فالعلاقة في هذه الآية علاقة التّضمُّن، ف (تفصيل) مُتضمِّن في (بلِسَان عربيّ)، لنصل للنّتيجة القياسية القائمة على التضمن وهي: (بأنّ القرآن جاء مُفصيًلا لأنّه بلِسَان عربيّ).

1 . 1 . 2 : الحُجَج شبه المنطقيّة الَّتي تعتمد العلاقات الرّياضيّة :

تَسْتَمِدُ هذه الحُجج طاقاتها الإقناعيّة الحِجَاجيّة من علاقات وقواعد رياضيَّة صُورية شبه منطقيّة يُنْظِّمُها المُتكلِّم من خلال عَلاقات مُعينة حسب حاجاته وأهدافه الإقناعيّة مُستفيدا مِمَّا تتمتع به من طاقات إقناعيّة مُؤثِّرة ، ومن أشكالها : إدماج الجزء في الكُلِّ ومُحور الحِجَاج في هذا النَّوع أنّ ما ينطبق على الكُلِّ ينطبق على الجزء فهو مُنْدَمِج في دائرته لا يُغادرها ، وينظر إليها عادة من زاوية كمية فالكُلِّ يحتوي الجزء ، وتبعا لذلك فهو أهم منه وهو ما يجعل هذا الضرب من الحِجَاج في علاقة بمواضِع الكمِّ أو معاني الكمِّ العرب الوصل الَّذي يحدثه الكمِّ أو معاني الكمِّ العرب القانون " طاقته الاقناعيّة من الوصل الَّذي يحدثه

^{1.} الغامدي ، عادل بن علي، <u>الحجاج في قصص الأمثال القديمة</u> ، ص 159

^{2.} سورة فصلت ، الآية: 3

^{3.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 24 ، ص 231

^{4 .} نقلا عن: صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 47 _ 48

بمبدأ تفضيل الكُلّ على الجزء وهو تفضيل تقضي به طبيعة الأشياء ومبدأ المُقايسة الشَّكلية "[1] ، ويظهر في قوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتُهُ أُمُهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ تَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ [2] ، فاندمج الجزء: وهو الحمل ، ضمن الكلّ : فترة الرِّضاعة حتى لو وُلِد على ستّة أشهر ، من خلال علاقة كمية فالجزء واقع في دائرة الكل ؛ لأنَّ الكلّ أهم منه .

. الجزء 1: فترة الحمل ، الجزء 2: فطمه (بنية صغرى)

. النتيجة : فترة الحمل مع الرَّضاعة حتّى فطمه ثلاثون شهرا

ويظهر أثر إدماج الجزء بالكُلِّ في قوله: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ [3] . الكُلِّ : كبائر الإثم

. الجزء: الفواحش

. النتيجة : اجتناب كبائر الإثم كبيرها وصغيرها

فالجزء (الفواحش) ومن مثله الزِّنا ، واقع ضمن الكُلّ (كبائر الإِثم) ، فالقرطبيّ يرى أنَّ "الفواحش داخلة في الكبائر "^[4] ، واستخدام العلاقة الرِّياضيّة في دمج الجزء في الكُلِّ لإقناع المُخاطَب بأنَّ ما ينطبق على الكُلِّ ينطبق على الجزء لتزيد من قوتها الاقناعية في نفس المُخاطَب بالابتعاد عنها .

أمًّا الشكل الثَّاني من الحجج الّتي تعتمد العلاقات الرّياضية فهو "تقسيم الكُلّ إلى أجزاء مكونة له أو ما يسمى حجّة التّقريع ، وهو أنْ يُعدِّد الأجزاء تعديدا شاملا دُون أنْ يُعدِّد منها شيئا بهدف البرهنة على وجود المجموع ومن ثمَّة تقوية الحُضور ، بمعنى إشعار الغير بوجود الشّيء موضوع التَّقسيم من خلال التَّصريح بوجود أجزائه "[5] ،

^{1.} العطار ، مصطفى، لغة التخاطب الحجاجي ، ص 168

^{2.} سورة الأحقاف ، الآية: 15

^{37 .} سورة الشوري ، الآية : 37

^{4.} القرطبي، الجامع المحكام القرآن، ت: عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، 2006، ج18، ص485

^{5.} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 48

فالمُتكلِّم من خلال تعديده لتلك الأجزاء يقوي من حُجَّته ، ففي قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [11] ، فالله عز وجلً أراد أنْ يُدلِّل على قدرته في إدراك كُل ما يخطط له الكُفَّار ، فذكر أولا أنّه يسمع كُلَّ أحاديث الكُفَّار ولتقوية هذه الحُجَّة ذكر الكُلَّ وهو (اطلاعه على كُلِّ ما يدور عندهم) من خلال السَّمع ، فدعوى السَّمع تحتاج إلى إثبات وجود أو تقوية حُضور، فقام بتفريع السَّمع إلى أجزائه ، وذلك بالتَّعداد الشَّامل لجميع مراحل حوار الكُفَّار ، دُون أنْ يُسْقِط منها أي جزء ؛ لأنَّ في إسقاط أي جزء انهيار للعمليَّة الحِجَاجيَّة ، وفي عملية تقسيم الكُلِّ وهو السَّمع المتناهي إلى أجزائه وهي : أنَّه يسمع سرهم وهو حديثهم مع أنفسهم ، ويسمع نجواهم وهو ما تكلم به بعضهم مع بعض دون أن يطلعوا عليه أحدا غيرهم ، وفي هذا إثبات لعظمة الخالق.

ووُظّف مبدأ التَّوريع في مُعالجة مسألة وجود الإنسان وبعثه ، فيقول تعالى : ﴿ قُلِ اللّه يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [2] ، للرّد من خلالها على من أنكر البعث ، فأراد الله عزَّ وجلَّ استيفاء جميع أقسام وجود الإنسان ، ولم يبطل الله حجج من أنكر البعث بعد الموت بالاستدلال " لأنَّ أدلة هذا تكررت فيما نزل من القرآن فاستغني عن تفصيلها ولكنّه إبطال بطريق الإجمال والمعارضة "[3] ، فهو إبطال من خلال تقسيم الكُلّ إلى الأجزاء المكونة له لتكون أداة إقناعيّة بالبعث ، فالكُلّ هو وجود الإنسان فتناولها الله بالتَّقصيل من ﴿ يُحْيِيكُمْ ﴾ فالله تعالى هو خالق الإنسان وذكر ﴿ يَجْمَعُكُمْ ﴾ إبطال لمن ينكر البعث ، فذكر الأجزاء دُون أنْ يُسْقِط منها أي وذكر ﴿ يَجْمَعُكُمْ ﴾ إبطال لمن ينكر البعث ، فذكر الأجزاء دُون أنْ يُسْقِط منها أي جزء لتقوية حُضور المجموع وإثبات لوجوده من خلال تقسيمه لأجزائه المكونة له ، ويستدعي الله بالتَّقسيم قضيَّة وهب الأبناء النَّاس باستيفاء جميع أقسامه ، فيقول تعالى ويعَدُلُ مَنْ يَشْنَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشْنَاءُ النَّاكُونَ * أو يُزَوِّجُهُمْ أَهُ المُنْ يَكُمُ الْمَن يَشَاءُ الْمَنْ يَشَاءُ المَنْ المَن يَعْمَاءُ الْمَن يَهْمَاءُ المَن يَعْمَاءُ المَن يَعْمَاءً اللَّاس باستيفاء جميع أقسامه ، فيقول تعالى ويهمُ مُنْ أَلُقُ مَا يَشَاءُ المَن يَهَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكُونَ * أو يُزَوِّجُهُمْ

^{1.} سورة الزخرف ، الآية: 80

^{2 .} سورة الجاثية ، الآية : 26

^{365.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 365

ذُكْرَانًا وَإِنَاتًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [1] ، فذكر الله أجزاء ما يَهَبُ للنَّاس من إناث أو ذكور أو ذكور وإناث أو من يجعله الله عقيما، فذكر الله جميع الأجزاء واعتماد آليه التّقريع لم تكن غاية في ذاتها ، بل مَسْلَكا بُرهانيا من خلال العلاقات الرياضيّة لتفصيل طرق تواصل الله عزّ وجلّ مع الرُّسل في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاعٍ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا لِبَسَاءُ ﴾ [2] ، فحدد طرق التّواصل مع الأنبياء ومنها الوحي كما كان مع سيّدنا مُحمَّد عليه السّلام ، أو يكلمه من وراء حجاب كما كان مع موسى عليه السّلام ، أو يرسل رسولا كما كان من الملائكة الّتي تكلم الأنبياء عليهم السّلام .

1 . 2 : الحجج المؤسسة على بنية الواقع :

وهذا النّوع من الحُجج يكتسب قُوته الإقناعيّة من خلال اتّصاله بعناصر واقعيّة لأنّه يُحاول " الرّبط بين أحكام مُسلّم بها وأحكام يسعى الخِطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مُسلما بها ، بحيثُ لا يُمكن التّسْليم بإحداها دُون أنْ يسلم بالأخرى وهذه الحجج ما هي إلا طريقة لعرض الآراء المُتعلّقة بهذا الواقع "[13] ، ويعتمد "هذا الصِنف من الحُجج على الواقع باعتباره أساس البناء وقاعدة التّقويم . "[15]

1.2.1 حُجج الاتصال التّتابعي:

وتقوم هذه الحجج على العلاقة الّتي تتكون بين ظاهرة ما وبين مُسبّباتها أو نتائجها ، ومنها الحُجَّة السّببية وهي من حُجج الوَصل الَّتي تقوم على التَّابُع ، وتُعَدُّ من أبرز العلاقات الحِجَاجيّة وأقدرها على التَّأثير في المُتلقي من خِلال تبرير الأفعال وتَدْعِيم المَوَاقف ومن ضروبها حُجج تَسْعى إلى الرَّبْطِ بين حَدَثين مُتتابعين بواسِطة عَلَاقة سَبَبِيَّة ففي هذه العلاقة يُحاول المُتكلِّم ربط السّبب بالنَّتيجة برباط سببي ، كما في

^{1 .} سورة الشورى ، الآيتان : 49 ، 50

^{2.} سورة الشورى ، الآية :51

^{3 .} المجاشعي ، علي بن فضال ، (2007) : النكت في القرآن الكريم ، دراسة وتحقيق عبدالله عبد القادر الطويل ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط1 ، ص437

^{4.} صولة ، عبد الله، مقال: الحجاج أطره ومنطلقاته ، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج، ص331

^{5.} قادا ، عبد العالى ، <u>الحجاج في الخطاب السياسي</u> ، ص 190

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُتُونَ ﴾ [1] ، فالأحداث تترابط برباط سببي ، فالنَّتيجة ﴿ هُمْ يَنكُتُونَ ﴾ ترتبط بالسّبب ﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ ﴾ لقد دعا موسى عليه السّلام ربه أن يكشف عن قومه العذاب ، فنحن أمام قضيتين : الاولى رفع العذاب ، والثانية نقض الوعود ، وما بينها من علاقة تتابع .

وتظهر هذه العلاقة في قوله: ﴿ وَأَمَّا تُمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [2] ، فربطت الحجج بين حدث النَّتيجة ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ وبين حدث السَّبب الذي برّر حدث النَّتيجة في ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ بواسطة علاقة سببيّة باستخدام أداة ربط سببيّة وهي الفاء ؛ للتَّأثير في المُخاطَب حول هول العقاب ، فأعطت العلاقة السَّبييَّة قُوَّة إقناعيه من استخلاص النَّتيجة.

وثاني ضُروب الحُجّة السّبية ، حُجَج تسعى للكشف عن سبب معين ويحاول المُتكلِّم في هذه الحُجَج " الكشف عن سبب وقوع حدث معين أو استنتاج سبب ظاهرة معينة "[ق] ، فيكشف الله لنا سبب حرمان الكُفَّار من نعيم الآخرة ، فيقول تعالى : ﴿ وَيَوْمَ معينة "[ق] ، فيكشف الله لنا سبب حرمان الكُفَّار من نعيم الآخرة ، فيقول تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُنْيَا وَاسْنَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ يُعْرَضُ الدِّينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُنْيَا وَاسْنَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ لَيُعْرَوْنَ عَذَابَ اللهُونِ ﴾ [4] ، فالله لا يربط بين حدثين بعلاقة السَّبية بل يستخدم حُجَّة السَّبية لاستظهار سبب هذا الحرمان ؛ لأنَّهم استوفوا ما لهم من الطّيبات في الدّنيا ، وتمتعوا بها فلم يبق لهم طيبات في الآخرة ؛ لأنَّهم لم يعلموا ما يوجب حصولهم عليها ، ومن باب هذه العلاقة قوله تعالى : ﴿ وَهَمَّتُ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِي الْحَقَ ﴾ ليغذوه ويحسوه ، كما أنَّ حُجَة السَّبية ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ بينت لنا سبب هذا الهم ﴿ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ ليعذبوه ويحسوه ، كما أنَّ حُجَة السَّبية ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ بينت لنا سبب جِدالهم لرسلهم وهو ﴿ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقّ ﴾ لإقناع المُتلقّي بفساد أفعالهم .

^{1 .} سورة الزخرف ، الآية : 50

^{2.} سورة فصلت ، الآية: 17

^{3.} الغامدي ، عادل بن على، <u>الحجاج في قصص الأمثال القديمة</u> ، ص 172

^{4 .} سورة الأحقاف ، الآية : 20

^{5.} سورة غافر ، الآية: 5

كما يكشف لنا الحجاج عن طريق الحُجَّة السَّببية سبب ظاهرة إرسال الوحي من الله على من يشاء من أنبيائه في قوله تعالى : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ الله على من يشاء من أنبيائه في قوله تعالى : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَقِ ﴾[1] ، فالحُجَّة الَّتي ساقها الله تعالى من إرسال الرُسل للنَّاس أنَّه يهدف لإنذارهم من يوم الحِساب ، فكشف أسرار هذه الظَّاهرة مدّ الخِطاب بطاقة إقناعيّه تبين حكمة إرسالهم .

والضرب الثّالث من ضروب الحجج السّبية هي حُجَج تَسْعَى إلى استنتاج الأثر الَّذي سيظهر من حدث معين ، وفي هذا النّوع " تظهر الحُجَّة السّبية في شكل استنتاج الأثر الَّذي سيظهر من حدث مُعين ، فهو نوّع من التَّكَهُنِ أو الاستنتاج المُرتبط بالمُستقبل "[2] ، فيقول تعالى : ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ [3] ، فاستنتج سيّدنا موسى بعد أن جاء إلى قوم فرعون بالرّسالة من الله بأنّه سيتعرض للرَّجم لأنَّ عاداتهم كانت تقتضي الرَّجم بالحجارة لمن يخالف دينهم ، فالاستنتاج الَّذي بُنِيَتْ عليه هذه الآية أنَّ قوم فرعون لن يؤمنوا بما جاء به سيِّدنا موسى ، ومن هذا الحدث وصل سيِّدنا موسى لاستنتاج أنَّه سيرجم لهذا استعاذ من الرَّجم ، وهذا ما حدث معه بأن رُجمَ باللسان بالشَّتم واتهم بأنَّه ساحر ، وحاول فرعون قتله .

ومن أنماط حُجج الاتصال التَّتابعي تظهر الحُجَّة البراغماتيَّة وهي الحُجَّة " الَّتي يكون عِمَادها نتائج الحدث وآثاره ، لا لكونه سببا لها وإنَّمَا لأنَّها تحمل صفة القبول أو الرَّفض ، تلك الَّتي يتم تحويلها إلى الحدث أو الشيء ذاته، ليكتسب حُكما قيميا إيجابيًا كان أم سلبيًا ، فهي عملية تثمين الأحداث بناء على نتائجها ، ويمكن أن تكون النَّتائج للحُجَّة البراغماتيّة مُلاحظة أو مُتوقعة ، مضمُونة أو مُقترضة " [4] ، وبالتالي " لا يكون المقصود من هذه الحجة مجرّد التَّثمين ، بل توجيه العمل أيضا " ، ولقد عرَّفها ليونال

^{1 .} سورة غافر ، الآية : 15

^{2.} الغامدي ، عادل بن علي ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة ، ص 175

^{3 .} سورة فصلت ، الآية : 44

^{4.} قوتال ، فضيلة ، (2017) : حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية ، دار كنوز المعرفة للنشر عمان ، ط 1 ، 1438 ه ، ص 221

^{5.} صولة ، عبدالله ، في نظرية الحجاج ، ص 50

بلنجي بقوله "ببساطة شديدة يُمكِّن الحِجَاج البرغماتيّ من تقويم قرار أو حدث أو رأي باعتبار نتائجه الإيجابيّة أو السَّلبية "الله فتقويم السُّلوكيات أساسها ؛ لأنَّها "تعتمد التَّقييم بذكر العواقب والمآلات ، لتَحُثّ على ظاهرة أو تدعو لحدث من خلال إنشاء علاقة بينه وبين عواقبه ونتائجه وتوجُهها حسب نتائج إيجابية ، وإن كان يريد التَّغير منها قرَنها بِعَواقبها الوَخِيمة وإخفاقاتها "ائا ، ومن أمثلة الحُجَّة البراغماتيّة ما جاء على لِسان فرعون من رغبة في قَتْلِ سيّدنا مُوسى ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ فَرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبدِّلَ دِينَكُمْ أو أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [13] ، والسَّي وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبدِّلَ دِينَكُمْ أو أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ والتَّي فالحدث الَّذي يَعْمَد إليه فِرعون هو (قتل موسى)، والنَّتيجة الَّتي يَحْصُل عليها من هذا العمل (حتَّى لا يبدل دينهم ، ويفسد في الأرض) فيئمِّن فرعون هذا الحدث بما يجني من نتائج إيجابيّة بالنِّسبة له ولقومه ، ولتقويم قرار فرعون من قومه اعتمادا على النَّتائج التَّتى يحصلون عليها من هذا الحدث.

وتبرز حُجَّة التَّبذير الّتي تقوم " على الاتصال والتّتابع دون الاعتماد على السّببية "[14] ، فهي لا تهتم بالسّبب بل تُركز على الغاية أو الغائية " يقول أوليفيي روبول تضطلع الغائية الّتي يستبعدها العلم بدور أساسيّ في الأحداث الإنسانيّة ، منها نستطيع أنْ نشتق حُجَجا كثيرة تؤسّس كُلّها على الفكرة القائلة بأنَّ قيمة الشّيء تتصل بالغاية الَّتي يكون لها وسيلة : حججا لم تَعُد تعبيرا عن قولنا : بسبب كذا ، وإنّما من أجل كذا "[5] ، وهذه الحُجَّة " أداتها الأساسيّة (بما أنَّ) أو ما يقوم مقامه "[6] ؛ لأنَّ هدفها الوصول للغاية ، "ويجب أن لا يُفهم من التّبذير معناه السّلبي الّذي يعني الإسراف في سرد الحُجَج الزائدة ، وانّما يجب فهم النّبذير بالمعنى الّذي تتحدد بمقتضاه

^{1.} الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، ص 216

^{2.} الغامدي ، عادل بن على ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة ، ص 177

^{3 .} سورة غافر ، الآية : 25

^{4.} قادا ، عبد العالى ، بلاغة الإقتاع ، ص 171

^{5.} الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه ، ص 221

^{6 .} بوقرة ، نعمان ، (2008) : مدخل إلى التحليل اللساتي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ـ إربد ، ط1 ، ص 107

النجاعة الحِجَاجيّة ، والقوّة الإقناعيّة "[1] ، وكشفت حُجّة النّبذير النّكوين النّفسيّ عند الكُفَّار في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ [2] ، فعندما نزل العذاب بهم لجأ الكُفَّار إلى سيّدنا موسى لدفع هذا العذاب عنهم دُون الاهتمام بالسّبب الَّذي جعل من سيّدنا موسى مصدرا لهذا اللجوء، بل ركّزوا على الغاية من هذا السُّلُوك ، فخاطبوه بلفظ فيه توقير له ليخدم غايتهم حينما نعتوه بالسّاحر قاصدين به (العالم) إدراكا منهم بأهمية هذا العلم الَّذي يأتيه من الله في صنع الأحداث ، فكان هذا السُّلُوك حُجّة عليهم ، فتقدير الآية (يا أيها العالم أدع لنا ربك بما أنَّه قد عَهِد لك بشيء من علمه) أو بسبب ما لديك من العلم ، فبرروا هذا النَّهج الَّذي سلكوه وصولا لغايتهم .

وتتمثّل حُجّة التّبذير في أنَّ المُتكلِّم لمّا بدأ عملا (ما)، وأنّه سيخسر تضحيات تجسّمها في سبيلة لو تخلى عن المُهمّة، فعندها ينبغي عليه المُواصلة في الاتّجاه ذاته [13] فهذه الحجة " وإن لم تكن ليُعْتمد فيها أساساً على السّبييّة "[14] بل يعتمد فيها على ضرورة مواصلة انجاز العمل دون التفكير في الرجوع، نحو تمسّك سيّدنا إبراهيم بدينه ومُحاربته قومه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنّنِي بَرَاعٌ مّمًا تَعْبُدُونَ ﴾ [13]، فهي حُجّة تقوم على ضرورة استكمال سيّدنا إبراهيم ما بدأ به، وإتمام ما شرع بَعْدُ في القيام به، فسيّدنا إبراهيم يبرر سبب البراءة مِمّا يَعْبُد قومه ، فهو يؤكد أن براءته قد غدت فضيلة على قومه ، وعُرِفَ بها وسار عليها ، فلا يمكنه بأيّ حال أن يُعْرِض عنها ، فضيلة على قومه ، وعُرِفَ بها وسار عليها ، فلا يمكنه بأيّ حال أن يُعْرِض عنها ،

ومن الاتصال التتابعي حُجَّة الاتجاه ، وهذه الحُجّة تقوم على فكرة التَّحذير لأنَّها "تهدف إلى التَّحذير من مَغَبّة اتبًاع سياسة المراحل التَّنازُليَّة ،أو مَغَبَّة انتشار ظاهرة "¹⁶¹

^{1.} بوقمرة ، عمر ، (2018) : نظرية الحجاج في اللغة ، منشورات ألفا ـ الجزائر ، ط1 ، ص97

^{2.} سورة الزخرف ، الآية: 49

^{3.} الدريدي ، سامية، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، ص 224

^{4.} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 50

^{5.} سورة الزخرف ، الآية: 27

^{6.} قادا ، عبد العالى ، بلاغة الإقناع ، ص 171

فهذه المراحل إنْ بدأت لا تتتهى من التَّازُلات ، ويُطلق عليها ظاهرة العدوى ؛ لأنَّها تحذر " من انتشار ظاهرة (ما) بحُجَّة أنَّها قد تُصِيب المُجاور لها بالعَدْوَى ، ويكثر هذا النَّوع الحِجَاجِيّ خاصّة في القضايا الأخلاقيّة ، لأنَّ التَّنازل فيها خطير ، بإدخال ما ليس منها فيها سيُصيب المنظومة القيميّة كُلّها بالفساد "[1] ، فيُلاحظ في هذه الحُجج أن المُتكلِّم يطلب شيئاً فإن أعطى طلب شيئا آخر ، وهكذا فإن قدمت تتازُلا في أول مرة ينطلق شلال التّنازُلات ، وتوظيفها في سُور الحواميم نادرة لأنَّ جميعها تدور حول محورين الأول تمستك من آمن بالله بعقيدته والدّفاع عنها ، والثّاني عِناد المشركين ، وظهرت سياسة المراحل التتازليّة في مُتوالية تعاقبية في استسلام بني إسرائيل لأحكام فرعون والقبول بالتتازُلات يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسِمَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ [2] ، فقدم بنُو إسرائيل النتّازُلات تِلو الأخرى ، في البداية استسلموا لقتل أبنائهم ، فطلب فرعون أكثر من ذلك بجعل نسائهم سبايا له ، ثُمَّ طلب أكثر بأن طلب قتل سيدنا موسى ، فقد طلب (أ) وعندما حصل عليه طلب (ب) وعندما ناله طلب (ج) " ولذلك يكون القرار الحكيم في منعه من الحصول على (أ) ويكون ذلك ومفهوما لدى المُخاطَب "[3] ، ومن أمثلة ذلك قوله: ﴿ وَقَيَّصْنَا لَهُمْ قُرَبًاءَ فَزَيَّتُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم ﴾ [4] ، ففي البداية قبلوا بالقُرناء واتبعوهم ، فارتفع مُستوى التّنازُل فطلبوا أمور الدّنيا ، وأخيرا تتازلوا عن الآخرة كما فعلت أمم سابقة .

1 . 2 . 2 : حُجج الاتّصال التّواجُدي :

استُخْدِم مُصطلح تواجُديّ لعِله مُقابلته بمصطلح التّتابعيّ ، حسب المعيار الزّمني فالعناصر الَّتي يتم الجمع بينها ضمن رابطة تواجديّة تجمع بين الجوهر وتَمَظْهراته [5]

^{1.} الطلبة ، محمد سالم الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 130

^{26 ، 25 :} سورة غافر ، الآيتان

^{3 .} الغامدي ، عادل بن علي ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة ، ص 183

^{4.} سورة فصلت ، الآيتان: 25

^{5.} قوتال ، فضيلة ، حجاجية الشروح البلاغية ، ص 265

ومن أهم حُجج الاتّصال التواجُديّ تظهر حُجّة الشّخص وأعماله: ذلك أن الإنسان في الدّرس الحِجَاجيّ " ذو صفات معينة ، مُنشئا لأعمال وأحكام معينة ، وكذلك هو موضوع تقويم من قبل الآخرين في ضُوء تلك الصّفات والأحكام ، فالشّخص هو مُجْمَل المعلوم من أعماله، فهو العلاقة بين ما ينبغي أن نعتبره جوهر الشّخص ، وبين أعماله الّتي هي تجليات ذلك الجوهر "[1]، فهي تعطي وزنا للعلاقة بين الشّخص وأعماله وتحث على ضرورة معرفة الشّخص معرفة جيدة " فالمعرفة الجيّدة للفاعل تكون معينة للمُحاجج على التَّكهُن بما سيقوم به من أفعال من جهة ، وعلى تكوين فكرة شاملة عن مقاصده المُحركة له عادة نحو أفعاله ومواقفه من جهة ثانية "[2] ، فالأحداث تكشف لنا أسرار الإنسان أو تؤدي لمعرفته من خلال أعماله .

وهذا الحِجَاج ينطلق " من مبدأ أنَّ الأعمال تكشِف جوهر الشّخص ، وبالمقابل قد يكون الشّخص وما نعرفه عنه يفسر لنا أعماله "[3] ، ومن مبدأ أنَّ الأعمال تكشف لنا جوهر الشّخص الَّتي يُعبَر عنها بالرّسم البياني (عمل شخص) فالحِجَاج في هذه الحالة تتبع مسار عمل أدى لمعرفة هذا الشّخص ، فمُؤمن آل فرعون غير معروف ولكنَّ أعماله كشفت لنا عن جوهره ، وتوظيف أعمال هذا الرّجل زادت من القوّة الإفناعيّة ، يقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيّئاتِ مِن رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفِ كَذَّابٌ * يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن ينصُرُبًا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَتَا ﴾ [4] ، لكمُ المُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن ينصُرُبًا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَتَا ﴾ [4] ، فأعمال هذا الرجل كشفت لنا عن جوهره بأنّه كان ناصحا لقومه مُدافعا عن سيّدنا فأعمال هذا الرجل كشفت لنا عن جوهره بأنّه كان ناصحا لقومه مُدافعا عن سيّدنا موسى مؤمنا بما يحمل سيدنا موسى من رسالة ، ويمكن تقويم شخصه من خلال أعماله ، والحكم عليه من خلال ربط أفعاله بشخصيته .

^{1.} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 51

^{2.} الطلبة ، محمد سالم الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 131

^{3 .} قادا ، عبد العالى ، بلاغة الإقناع ، ص 172

^{4 .} سورة غافر ، الآيتان : 28 ـ 29

أمّا مبدأ الشّخص الَّذي يكشف أعماله ويمثل (شخص - عمل) فيتحول الشّخص فيه إلى " معين سياقي لتأويل العمل وتوجيهه ، ويقربنا من مفهوم القصديّة أو النيّة وهو معطى مهم في الحِجَاج وتوجيهه ؛ لأنَّه يربط العمل بصاحبه ويعيننا على فهم عمله وامكان تقويمه "[1] ، ويظهر مثال ذلك في شخصية (فرعون) ، فمع اختلاف العلماء لليوم في اسم فرعون مصر إلا أنّنا نعرف عن شخصيته من خلال النّصوص القرآنية الشريفة ، أو التّوراتية ادّعاءه أنّه من سلالة الآلهة وأنّه حارب بني إسرائيل واستعبدهم ، وكان حريصا على عدم خُروجهم من مِصرَر وأنَّه نصرب العداء لموسى قبل أن يُولد هذه المعرفة تقودنا لفهم تصرفاته في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فَرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْن لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَمْنِبَابَ * أَمْنِابَ السَّمَاواتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسِنَىٰ وَاتِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ [2] ، فهذا العمل الجنوني ليس مُستغربا ممن يدّعي أنّه إلهه ولا يريد أن يُنازعه أحد في تلك الألوهية ، وظهر البناء النَّفسيِّ لشخصية فرعون القائمة على التّجبر والاستعلاء والتّكبر على ربه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾[3] ، فكشفت الآية عن مدى تجبّر فرعون عندما وظّف ﴿ مِن فِرْعَوْنَ ﴾ بدلا مطابقا لـ ﴿ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهين ﴾ مِمَّا شكَّل انسجاما تاما بين فرعون وكُلِّ مظاهر الشِّدة والتَّجبر والغُلو في العذاب، لتكون شخصية فرعون أقرب للرَّمز الدَّال على شدَّة العنف ، بل حمل اسم فرعون بالنسبة لبنى إسرائيل اقتضاء معجميًّا جعل توظيفها في أي نصِّ يحمل دلالة الشَّقاء والعذاب والتّشرد ، فعكست أعماله ماهية ذاته .

أما حُجّة السُّلطة فهي من حجج التَّواصل التَّواجديّ الَّتي تقوم على استحضار القوّة السُّلطويّة " باعتماد التَّهديد والتَّرهيب كأسلوب للإقناع الخطابيّ خاصَّة النُّصوص الدّينيّة والسِّياسيَّة "[14]؛ لأنَّها " حُجَج عدَّة تغذوها هيبة المُتكلِّم ونُفُوذه وسطوته ، وتستعمل

^{1.} الغامدي ، عادل بن علي ، <u>الحجاج في قصص الأمثال القديمة</u> ، ص 183

^{2 .} سورة غافر ، الآيتان : 36 _ 37

³¹ ـ 30 : سورة الدخان ، الآيتان

^{45.} عمران ، قدور ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، ص 45

أعمال شخص حجة على صِحَة أُطروحة ما ، وقد تكون السُلطة بالإجماع وقد يعمد فيها إلى ذكر أشخاص بأسمائهم على أن تكون سُلطتهم مُعْتَرفا بها من قبل الجمهور "[1] ، فجمَاج السُلطة " نَمَط من الجِمَاج المُوجِز والفعّال ، وهي حجج لا تُحاول إنشاء مُحَاوُرة مع المُخاطَب ، وإنِّما تُحاول حمله على الإذعان بإخضاعه لسُلطة يقرّ بها سَلَفا ويعترف بنُفُوذِها "[2] ، فقد اعتمد فرعون على حُجَّة السُلطة في حمل المُخاطبين على الإذعان له لامتلاكه سُلطة القوّة في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [3] . وتتجلى حُجَّة السُلطة الإلهية لإظهار قوته السُلطويَّة خصوصا على مَن يتهرّب من الدَّعوة المُحَمَّديّة في قوله : ﴿ وَمَن لَا يُحِب دَاعِي اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ ﴾ [4] ، في خطاب مركب ظهرت قوة الإلزامية بإبراز القوة السُلطويَّة شه تعالى وعباده ليست " علاقة تماثُل وتساو بين الطّرفين ، بل أضحت علاقة تراتبيّة ، فالله تعالى يتكلّم وعلى الثّاني أنْ ينصت ويصدق في علاقة تبعيّة . "[5]

ولا تعتمد حجّة السُّلطة على القوّة وامتلاك السُّلطة، فقد تعتمد على سُلطة الإجماع لتكون حجّته أقوى إقناعا لأصحابها كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ [6] فقد اعتمد الكُفَّار على إجماعهم برفض فكرة البعث . كما جعل كفار قريش من هذا الإجماع سُلطة تسعى للتَّأثير في الرَّسول الكريم وردِّ دعوته ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهُذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [7] فقد اجمعُوا على عدم الاستماع للقُرآن والتَّشويش على الرَّسول الكريم عند تلاوته، جاعلين فقد اجمعُوا على عدم الاستماع للقُرآن والتَّشويش على الرَّسول الكريم عند تلاوته، جاعلين

^{1.} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 52 ، 53

^{2.} الغامدي ، عادل بن علي ، <u>الحجاج في قصص الأمثال</u> ، ص 187

^{3 .} سورة الزخرف ، الآية : 54

^{4.} سورة الأحقاف ، الآية: 32

^{5.} الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي ، ص 235

^{6 .} سورة الجاثية ، الآية : 24

^{7 .} سورة فصلت ، الآية : 26

من إجماعهم مصدر قوّة لهم للضّغط على الرَّسول الكريم ، كما يظهر اعتماد المُشركين في كُلِّ العصور على سُلطة الإجماع في رفض دعوه الأنبياء يقول تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُ مِنَّا قُوّةً ﴾ [1] ، فقوم عاد اعتمدوا على قوتهم الجسديّة إذ كانوا ذوي أجسام طوال ، منطلقين من إجماعهم على المتلاكهم القوة جاعلين منها أداة تأثير وحُجَّة لرفض دعوة سيِّدنا هود .

كما قامت حُجّة سُلطة العلم بدور إقناعيّ للتَّأثير في المُخاطَب ، فالله سُبحانه وتعالى يمتلك سُلطة العلم والَّتي وظَفت في النَّصِّ القرآنيّ للإقناع والتَّأثير لأنَّها صادرة من لَدُنْ عالم كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَغَلَّمَ الَّذِينَ يُجَدِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَحِيطٍ ﴾ [2] ، باستعمال ملفوظ وصفيّ تقريريّ من أفعال الإثبات مُشْبَع بقوة حجاجيّة من خلال الطَّاقة الاقتضائية لهذا الملفوظ والَّتي تُضْمِر أنَّ علم الله شامل لكُلَّ شيءٍ ، كما أنَّ الله أخبر عن نفسه بالملفوظ الخبريّ بأنَّه يمتلك العلم الذي لا حُدود له كما أنَّ الله أخبر عن نفسه بالملفوظ الخبريّ بأنَّه يمتلك العلم الذي لا حُدود له كما أنَّ الله تخميّ لكلمة ﴿ آيَاتِنَا ﴾ أشارت للقرآن وأكدت علم الله بما دار حوله من العقاب . جدل في خفايا نُفوس الكُفَّار ، مُلَمَّحا لقضية البعث وأنَّ لا مهرب لهم من العقاب . كما اعتمدت حُجّة السُلطة في النَّصِّ القرآنيِّ على ذكر أشخاص مُعينين بأسمائهم لهم سُلطة مُعترف بها عند جمهور المُستمعين، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدُ آتَيُنَا مُوسَى اللَّهُ لَهُ اللهُ المؤطئة لجواب القسم وهذا البناء يوظَف في النَّصَّ القُرآنيُّ للدَّلالة على رفِعْة درجة الأنبياء ، ما دلَّ القسم وهذا البناء يوظَف في النَّصَّ القُرآنيُّ للدَّلالة على رفِعْة درجة الأنبياء ، ما دلً على سُلطة هذا الاسم الذي ذُكِرَ ؛ ليحمل طاقة إقناعيَّة مُضْمَرة من خلال هذا الملفوظ لسيّدنا مُحمّد عليه السَّلام بأنَّ الله سينصره على قومه كما نصر موسى على فرعون .

وآخر حجج التواصل التواجديّ هي حُجَّة الاتصال الرمزيّ ، الذي يجعل من الرّمز لبّ للفكرة الحجاجيّة ، الّتي يتفق عليها أفراد مجتمع الرّمز ، وتنطلق هذه الحُجج من مبدأ " الانتقال من الرّمز إلى ما يرمز إليه ، وتعتمد على ما تُثيره هذه الرّموز من

^{1.} سورة فصلت ، الآية: 15

^{2 .} سورة الشورى ، الآية : 35

^{3 .} سورة غافر ، الآية : 53

عواطف وأحاسيس تحكُمها العلاقة بين الرَّمز والمَرْمُوز إليه "[1] كالانتقال من القرآن إلى الإسلام ، ويجب أن تكون العلاقة بين الرّمز والمَرْمُوز له علاقة تبرير ، وتكون مقبُولة ، أو مُؤهلة ؛ لأنْ تكون كذلك من خلال ما تقوم عليه من أُسس معرفية وسياقات"[2] ، فاستخدام شجرة الزَّقُوم فيه اتصال رمزيّ يجعل من هذه الشَّجرة رمزا لجهنّم كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ شَبَجَرَتَ الزَّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ [3] ويكون الانتقال من الرَّمز (شجرة الزَّقُوم) إلى المَرْمُوز له (جهنّم) لزيادة الإقناع ببشاعتها ، فتمَّ توظيفها بطريقة تمكن من حمل المُتلقِّي على الإذعان " فالرَّمز يتَّخذ بُعْدًا ذاتيًا يصنعهُ المُتكلِّم ضمن ويمنحُه مكانة خطيرة في خطابه " [4] ، فيتوسع مفهُوم الرَّمز بحسب غاية المُتكلِّم ضمن مجتمعه للتأثير فيهم.

1 . 3 : الحجج المُؤسِّسة لِبُني الواقع :

هي من حُجج الاتّصال المُرتبطة بعناصر الواقع ، دون أن تتأسّس عليه أو تبنى عليه ، بل هي الّتي تؤسّس الواقع أو تكمّله ، وتظهر ما خفي منه ، وتشمل تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة من المثل أو الاستشهاد أو النمذج وعكسه ، والاستدلال بواسطة التمثيل .

1 . 3 . 1: تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة :

ينطلق من مثال مفرد يعتمد لتعميم حكم ما فيتأسّس الواقع على ظاهرة مفردة يتمّ توسيعها بحيث تصبح حالة عامّة لا مجرّد حالة خاصّة أن ومن أنواع الحالات الخاصة: (المثل)، فالحِجَاج الَّذي يقوم على المثل "يقتضي وجود بعض الخِلافات في شأن القاعدة الخاصّة الَّتي جِيء بالمثل لدعمها وتكريسها، ويُمكن للمثل أن تُبنّى عليه قاعدة تكون عامّة وتشكّل قانونا "[6]، وفي هذا النّوع " قد يتأسّس الحِجَاج على

^{1.} قادا ، عبد العالى ، بلاغة الإقناع ، ص 172

^{2.} قوتال ، فضيلة ، حجاجية الشروح البلاغية ، ص 292

^{3 .} سورة الدخان ، الآيتان : 43 ـ 44

^{4.} الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي ، ص 237

^{5.} المرجع السابق ، ص 243

^{6.} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 54

مثال خاص يُحاول المُتكلِّم توسيعه وتعميمه حتَّى يغدو قاعدة عامّة ليؤسّس بذلك واقعا جديدا يحتكم إليه ويوجه به أطروحته ويدعمها "[1] ، فقد احتجّ الله تعالى بقوله : ﴿حَتَّىٰ إِذًا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِنْسَ الْقَرِينُ ﴾ [2] ، على القاعدة الخاصّة الَّتي تربط الكافر بقرينه الشَّيطان ، فتستمر العلاقة في الدُّنيا بإغواء الشَّيطان للكافر وتقاربهما في الأهداف والغايات ، وتحدث خلافات في بناء هذه العلاقة ، فيوم الحساب يتبرأ كُلَّ طرف من الآخر وتتباعد العلاقة بينهما ، ولدعم هذه القطيعة بينهما مثل الله سبحانه على شدّة البعد بينهما بالبُعد بين المشرق والمغرب واستحالة إلتقاء كُلِّ منهما ، كما قيَّم العلاقة بينهما بالذَّم ، وشكَّل المثل قانونا يكشف للمُتلقِّي بشاعة قيام علاقة بين الكافر وشيطانه " والمقصود من حكاية هذا تفظيع عواقب هذه المقارنة الَّتي كانت شغفَ المتقارنيْن ، وكذلك شأن كُلِّ مقارنة على عمل سيّىء العاقبة ، والمقصود تحذير النّاس من قرين السوء وذمّ الشَّياطين ليعافهم النّاس ."[3]

ومن الحالات الخاصة الاستشهاد وتدعى البيّنة أو التبيين ، ووظيفة الاستشهاد الحِجَاجيّة " تقوية درجة التّصديق بقاعدة ما ، ويُوتى به للتّوضيح وجعل القاعدة المُجرَّدة حسيّة وملمُوسة "[4] ، فالاستشهاد يقوي درجة حُضور الحُجّة بدعمه القاعدة وتُوضيّحها ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلُ أَرَأَيْتُم مّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَرُونِي مَاذَا وَتُوضيّحها ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلُ أَرَأَيْتُم مّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السّمَاوَاتِ ﴾[5] ، فالقاعدة النّي أراد الله تقويتها بالاستشهاد أنّه هو الإلهة المتفرد بها ، وهدم اعتقاد الكُفّار بأنَّ الأصنام لها صفة الإلهية من خلال استخدام أسلوب المناظرة بين الرّسول الكريم والكُفّار ، فجاء الاستشهاد إلجاءً لهم بالاعتراف بالعجز عن نفي القاعدة ، فالله يستشهد بخلقه للكون مطالبا المُناظِر له بتقديم استشهاد على دعواه ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ فدعّم الله بهذا الاستشهاد قضية بطلان الإلهية عن أصنام قريش وإثباتها لله وحده .

^{1.} الغامدي ، عادل بن علي ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة ، ص 194

^{2 .} سورة الزخرف ، الآية : 38

^{3.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 213 ـ 214

^{4.} قادا ، عبد العالى ، بلاغة الإقناع ، ص 173

^{5.} سورة الأحقاف ، الآية: 4

ويُعَدُّ النّموذج وعكس النّموذج من الحالات الخاصة لأنّه " كائن يصلُح سُلوكيا ليس لتأسيس قاعدة وتكريسها فحسب ، وإنّما يصلُح للحضِّ والتّحريض على عمل ما ، من باب الاقتداء والأسوة وإن بدرجة غير مُطلقة ، أمّا حُجّة عكس النّموذج فيها يكون الحثّ لا على الاقتداء والتّأسّي بل على العكس من ذلك ،إنّها تدعو للقطيعة والانفصال عن الكائن الَّذي يمثل عكس النّموذج "[11] ، فقد جعل الله من سيّدنا عيسى أنموذجا للعبد المُؤمِن العابد في سُلُوكه داعيا المُخاطبين من بني إسرائيل للاقتداء به ﴿إِنْ هُوَ إِلّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[2] وتأكيد قاعدة عامّة وهي أنّه عبد من عباد الله من خلال قصر عيسى على العبودية ، وأنّ فضله على الناس بما يحمل من رسالة وإبطال نمُوذجهم بجعله ابن الله ، بإثبات النّموذج ورفض عكسه .

1 . 3 . 2: الاستدلال بواسطة التمثيل

يهتم التَمثيل بإبراز تشابه العلاقات ، ما يجعل منه أداة حِجَاجيّة تقدّم لنا تصورا للشياء ، فالتَمثيل أداة برهنة ذو قيمة حِجَاجيّة حين ننظر إليه على أنّه تماثل قائم بين المبنى ، وصيغة هذا التّماثل العامّة هي : إن العنصر [أ] يمثل إلى العنصر [ب] ما يمثله العنصر [ج] بالنسبة إلى العنصر [د]، ومعنى ذلك أن التّمثيل مواجهة بين بنى مُتشابهة ، فالعلاقة بين العناصر ليست [علاقة تشابه] بل [تشابه علاقة] ذلك أن علاقة [أ] بر [ب] تشبه علاقة [ج] بر [د] ويسمى العنصران (أ، ب) الموضوع ، كما يسمى العنصران (ج، د) الرافعة أو الحامل ، ولتنظيم العلاقة بين الموضوع والحامل سن ميدانين الموضوع والحامل " يشترط في حُجّة التّمثيل أن يكون الموضوع والحامل من ميدانين مختلفين ، فإن كانت العلاقتان ؛ أيّ العلاقة بين عنصري الموضوع من ناحية وبين عنصري المام من ناحية وبين عنصري المام من ناحية أخرى ، تنتميان إلى مجال واحد وتشملهما بنية واحدة لم عنصري الحامل من ناحية أخرى ، تنتميان إلى مجال واحد وتشملهما بنية واحدة لم تسم الظّاهرة تمثيلاً ، وإنّما هي استدلال بواسطة النّمثيل "141

^{1.} بوقمرة ، عمر ، نظرية الحجاج في اللغة ، ص 99

^{2 .} سورة الزخرف ، الآية : 59

^{3 .} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 56 ، 57

⁴ . الغامدي ، عادل بن علي ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة ، ص

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ اللّهُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [11] ، حيث نجد أن: أ = خلق السماوات والأرض ، ب = بالحق [الموضع] ج = أعمال الإنسان ، د = بالحق - مضمر - [الحامل] ، ذلك أنَّ علاقة (ج بد) أي علاقة جزاء الإنسان على أعماله بالحق ، تشبه علاقة (أ بب) أي علاقة خلق السّماوات والأرض بالحق ، وعلاقة الموضع أشهر من علاقة الحامل ، فعملت على توضيح بنيتها العلائقية ، فعلاقة المماثلة قائمة على أساس النَّوع ؛ لأنَّ خلق السّماوات والأرض قائم على الإتقان والنَّظام الَّذي لا يحتمل الخطأ ، لأنَّه من الخالق فلا يشوبه الخلل ، كذلك علاقة جزاء الإنسان يوم القيامة قائمة على العدل والإتقان والنَّظام في الحساب فلا ظلم ، وعلاقة المماثلة قائمة على تشابه علاقة الموضع بالحامل في (العدل) لا على علاقة تشابه .

2. الطّرائق الانفصالية:

تُؤدِّي الطَّرائق الانفصاليّة في الدّرس الحِجَاجِيّ وظيفة الفصل بين المفاهيم، ويحدث الانفصال الحِجَاجِيّ في " العناصر الّتي تُؤلف وحدة يتم تجزيئها لغايات حِجَاجيّة ، من ذلك توظيف عناصر الرّبط والوصل والعطف النّحويّ في الخِطاب الحِجَاجيّ ، وكذلك استخدام جمل اعتراضية تحمل أفكارا معينة مُؤكّدة أو ناقصة لما قبلها أو بعدها ، وغالبا ما يستخدم ذلك في الحدود والتّعريفات ، لأنّ الهدف من الفصل بين عناصر الحدِّ الواحد أو البُئية القوليّة الواحدة إسقاط أحد العنصرين المفصولين ، ثُمّ التّأكيد على الباقي منها "[2] ، ويكون الفصل باستخدام بعض الأفعال غير اليقينيّة مثل يزعم ، ويتوهّم ، ويظنّ ، ويخال ، ويشك ، أو وضع بعض العبارات بين أقواس ، أو بعض الجمل المُعترضة مثل : إن هذا الفوز ، إن صحّ أنّه فوز ، وغيرها .

ويُمكن القول أنَّ هذه التعابير" تستمد مظهرها الحِجَاجيّ من فصلها داخل المفهوم الواحد بين ما هو ظاهري يَسِمُهُ وما هو حقيقة ليسنّ له على نحو يصبح المفهوم الواحد مُنْقَسِما إلى حدّين حدّ (11) وحدّ (11) ويتمثّل دور الفصل الحِجَاجيّ بواسطة الطّرائق

^{1.} سورة الجاثية ، الآية : 22

^{2.} الطلبة: محمد سالم الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 132 ، 133

اللّغوية والكتابيّة في حمل السّامع أو القارئ على تمثّل مظهرين اثنين للشّيء الواحد أو المعطى الواحد مظهر زائف ظاهري خداع براق من حيث أنّه أوّل ما تصادفه الحواس وبراه الفكر ومظهر هو الحقيقة عينها ، على أنَّ طريقة الفصل هذه لا تعين المُخاطَب على تمثّل حقيقة الأشياء فحسب ، بل هي تدعوه بإلحاح إلى معانقتها فهي الحقيقة "[11] ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمِنْالُ ذلك قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمِنَا لَا ذلك قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمِنْا لَا لَكُولُ وَلَا اللّه عَلَى اللّه وَلَا اللّه وَاللّه وَلَا اللّه وَلَا الللّه وَلَا اللّه وَلَا الللّه وَلَا اللّه وَلَا اللّه وَلَا اللّه وَلَا اللّه وَلَا اللّه اللّه وَلَا اللّه الللّه وَلَا اللّه وَلَا اللّه

وتظهر تقنيات الفصل في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاعً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [3] ، فالحدّ (1) زَعْم المشركين أن الأصنام تستجيب لدعائهم وتحميهم ، أسقطه الحدّ (11) بالتهكم والسخرية منهم بأن الله تعالى سينطق هذه الأصنام يوم القيامة وتتبرأ منهم، وقام بناء الفصل على الطّاقة اللهوية لجملة الشَّرط ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ ﴾ الَّتي أفادت نفي الاستجابة لهم، فجواب الشَّرط ﴿ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ أسقط الفرضية الأولى بأن تنفعهم الشرط ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ ﴾ الله على المضمر غير اليقينيّ (زعم) يوم الحشر باستدلال عقليّ شرطيّ ، كما أكد الفعل المضمر غير اليقينيّ (زعم) قضية الفصل ، لأن ادِّعاء الكُفَّار مبني على الزَّعم دون تيقن ، فخدم الفصل غاية حجاجيّة وهي التَّوحيد لله عزّ وجلّ.

^{1 .} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 63 _ 64

^{2 .} سورة غافر ، الآية : 50

^{3 .} سورة الأحقاف ، الآيتان : 5 _ 6

وظهر الفصل في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَجُوا السَيِّئَاتِ أَن نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1] فالمفهوم الواحد للآية جزاء الكافرين يوم القيامة ، فالحدّ (1) (اعتقادهم بأنهم سيكونون في الجنَّة مثل المُؤمنين) وهو اعتقاد زائف خادع ظاهريّ ينافي الحقيقة والحدّ (11) (ساء مصيرهم وهو نار جهنّم) وهي الحقيقة ، فطريقة الفصل قوّة الاقتتاع ببطلان (الحدّ 1) وإسقاطه من خلال الأفعال اليقينيّة (حسب) وتأكيد تحقّق (الحدّ 11) .

ويمكن اخضاع أمثلة الفصل الحِجَاجِيّ لبنية الاستدراك بر (لكن) وهي البنية اللّغويّة الّتي تصاغ حِجَاجِيّا في ما يُسمى بالمُربعات الحِجَاجِيّة ، حيث نصطلح على القضيّة الواردة قبل لكن بر (ق) والقضيّة الواردة بعدها بر (ك) ، والقاعدة الحِجَاجِيّة تقول في هذه الحالة: من (ق) أستتج (ن) ومن (ك) أستتج عكسها أيّ (-ن) ومن (ق لكن ك) استتج (-ن) استتج (-ن) مما في قوله تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3] ، نجد (ق) تشير إلى أن خلق السّماوات والأرض أعظم من خلق الإنسان ، ونستتج منه (ن) وهي أن الله قادر على كُلِّ شيءٍ ، بينما تشير (ك) إلى أن الإنسان لا ينظر في هذه الأدلة وتكون (-ن) الذين يجادلون في البعث لا يقرون بهذه الحقائق ، ونستتج أن (-ن) هي : أن (الله قادر على بعث النّاس لأن خلق الكون أعظم من إعادة بعث الإنسان) ، وتمثل بالمربع الحجاجيّ النّالى :

---- إذن (- ن)¹ الله قادر على بعث النّاس لأن خلق الكون أعظم من إعادة بعثهم

^{1.} سورة الجاثية ، الآية :21

^{2.} صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 105 ، 106 . 2

^{3 .} سورة غافر ، الآية : 57

المُنَاظرة الحِجَاجيّة

المُنَاظرة فنّ قديم الظُّهور، استخدمها أفلاطون في حواراته الفلسفيّة من خلال نقاشات كان بطلها سُقراط مُعالجا قضايا فلسفيّة هامّة، ومع بُزوغ فجر الإسلام ازدهرت المناظرة في التُّراث الإسلاميّ معالجة قضايا كُبرى في العقيدة والمنطق والنّقد من مجالات التّفاعل مُرتبطة بشكل ما بالحِجَاج ؛ لأنَّ من أهدافها تقديم الحجج والبراهين والدّفاع عن فكرة آمن بها مُعتقدها .

ويُعرَفها ابن منظُور لُغة بقوله " والمُناظَرَةُ : أَن تُناظِرَ أَخاك في أَمر إِذَا نَظَرَتُمُ فيه معاً كيف تأتيانه ، والتَّناظُرُ : المَيْلُ "المَّا ، ففي قول ابن منظور (تناظر أخاك) إشارة له في المُخاطبة ، والنَّظِيرُ : المِيْلُ "المَّا ، ففي قول ابن منظور (تناظر أخاك) إشارة منه إلى آداب المُناظرة واحترام المُناظِر ، كما يبرز دور التّفاعل الحواري فيها من خلال النَّدية بين أطرافها ، ويُشير التَّراوض إلى فكرة اللِّين في طرح الأفكار والتَّرج في نتائجها ، ويُقارب ابن خلدون بين المُناظرة والحِجَاج عند القدماء " فإنّه لمّا كان باب المناظرة في الرَّدِ والقبول مُشَيعا وكُلِّ واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ "الله ، جاعلا الاحتجاج مادَّة المُناظرة وأساسها ، رابطا بين الجدل والمناظرة لتكون المناظرة من مرادفات مادَّة المُناظرة وأساسها ، رابطا بين الجدل والمناظرة لتكون المناظرة من مرادفات الحِجَاج والجدل، والمناظرة بمفهومها الحديث " فعل لغوي تواصئليّ ذو صبغة تداؤليّة يقوم على عدّة عناصر هي الادِّعاء ويعني وجود دعوى ، والتّدليل وهو عرض دليل على الدّعوى ، والمنع وهو الاعتراض عليها "الله ، ذلك بأنّه " للاقتراب من مفهوم المناظرة يمكن البدء بالوقوف على مفهوم الجدل "الها ، على أن المناظرة ذات المَنْحَى المناظرة يمكن البدء بالوقوف على مفهوم الجدل "الله ، على أن المناظرة ذات المَنْحَى المِخَاجيّ تهتم بالنَّواصئل والتَّفَاعُل والاستدلال للوُصُول إلى الغاية الاقناعيّة .

^{1 .} ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، مادة نظر ، م 5 ، ص 217 _ 219

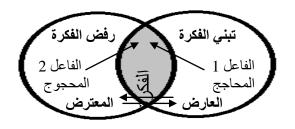
² ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، دار الجيل ـبيروت ، د . ط ، د .ت ، ص 506

^{3 .} المغامسي ، آمال يوسف ، الحجاج في الحديث النبوي ، ص 29

^{4.} بوقمرة ، عمر ، نظرية الحجاج في اللغة ، ص61

وإذا كان بعض نُظًار المسلمين ربط بين الجدل والمُناظرة فإنْ " بعض الدّراسات الحديثة ميّزت بين الميدانين معتبرة أنَّ الفارق بينهما فارق أخلاقي يتَّصل بالهدف ، فهدف المناظرة الكشف عن الحقيقة أو الصَّواب ، وهدف الجدل التَّغلُّب على الخصم "[1] والمناظرة في حقيقتها " تبادل الكلام والآراء المُتعارضة في موضوع ما يُثير الجدل ، كبعض الموضئوعات السَّياسيّة أو الأدبيّة "[2] ، وأطلق العرب على المناظرة مجموعة من التسميّات الَّتي تشير لعلاقتها بالجدل ومنها " المُناظرة ، والمُحاورة ، والمُجادلة ، والمُحاججة ، والمُناقشة ، والمُنازعة ، والمُذاكرة ، والمُباحثة ، والمُجاسة، والمُراجعة ، والمُطارحة ، والمُساجلة، والمُناقضة ، والمُداولة ، والمُداخلة ، وغيرها. "[3]

وللمناظرة أركان تجعل منها نشاطاً حِجَاجيّا وهي " الفكرة الَّتي تتمثّل لدى طرف من أطراف الحِجَاج ، وتُمثِل إشكالا بالنِّسبة لشخص من حيث مشرُوعيته ، وثانيها الفاعل (مُحاجج) يلتزم بهذه الفكرة ، يُراهن على نَجَاعتها ونفاذها ، وثالثها عاعل آخر (محجوج) : مُهْتَمُّ بالفكرة نفسها ويكون هدف الحِجَاج ، ويسعى المُحاجج لاستدراجه نحو مُقاسمة الحقيقة نفسها "[4] ، وتمثل بالرَّسم التَّالي :



وهي ما تُسمَى بالمُحاورة القريبة من حيث " النَّظر من جانبن في مسألة من المسائل قصد إظهار الصنواب، فالمُناظِر هو من كان عارضا أو مُعترِضا وكان لعرضه أو اعتراضه أثر هادف ومشروع في اعتقادات من يحاوره سعيا وراء الإقناع برأيه ."[5]

^{1.} عادل ، عبد الليف ، بلاغة الإقتاع في المناظرة ، ص 130

^{2 .} وهبة ، مجدي، كامل المهندس ، (1984) : <u>معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب</u> ، مكتبة لبنان . بيروت ، ط2 ، ص 390

^{3 .} عبد الرحمن ، طه ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 69

^{4.} الدكان ، محمد بن سعيد ، الدفاع عن الأفكار ، ص 100

^{5.} عبد الرحمن ، طه ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 46

فالمُناظرة تفاعُل حِجَاجِيّ ذات أبعاد استدلاليّة إلا أنّ خِطاب المُناظرة "خِطاب إقامة الدّليل على الدّعوى بناء على فعل التّوجيه الّذي يختُص به المُستبِل ، حين يعتقد بالقضايا الضّرورية والبديهيّة والمُسلَّم بها ؛ علاوة على اعتقاده الرّأي الّذي يعرضه على مُناظِره ومُحاوِره ، ويعتقد كذلك صحّة هذا الاعتقاد وما يلزم عنه من صحّة الدّليل الّذي يقيّمه على رأيه إضافة إلى انشغاله بإيصال حُجّته إلى غيره، فيُولي عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة ويقابل هذا من قبل المُستدل له بحق الاعتراض عليه "الما ، ولا بد للمناظرة من أصول تنظّم منهجها ، حدّدها طه عبد الرّحمن بشروط عامّة وهي: " لا بد لها من جانبين ، ودعوى ، ومآل يكون بعجز أحد الجانبين ، ولكُلً من الجانبين آداب ووظائف "أنا ، فضاء الحجاج في المناظرة هو البُنى القوليّة المُتداولة بين المتناظرين والمتفاعلين باللّغة خارج إطار المنطق الصّوري الرّياضيّ إلى منطق آخر يعيد الاعتبار للذّات المُتفاعلة بالحِجَاج والمتذافعة بالدّليل وبواسطة اللّغة "أذا ، ويتميز أسلوب المناظرة " بمزجه بين الأدلة الّتي تكفل الإقناع ، والإثارة التي تُحقّ الاستمالة ، كما يحاول إثارة العواطف فيتّجه إلى الوجدان." [14]

وللسُّوال دور حِواري مهم في المناظرة فهو مُنطقها " يُنْتِج حوارا بين طرفين لهما وجهتا نظر مختلفتين في النّظر إلى موضوع ما ، "[5] ، وتبرز أهميته إذ " بتوجيهه تَنْفَتِحَ الْمُنَاظَرَةُ ، وقد عُدِّل السؤال عن أصل معناه المُعَبِّر عن فراغ عرفاني في ذهن السّائل إلى معنى آخر قرين له مُتعلِّق به وهو قرع الفكرة بالفكرة ."[6]

^{1.} اتزكنرمت ، أحمد، مقال : الحجاج في المناظرة ، مقاربة حجاجية لمناظرة سعيد السيرافي لمتى بن يونس ، ضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج2 ، ص 301

^{2.} عبد الرحمن ، طه، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 74

³⁰ اتزكنرمت ، أحمد، مقال : الحجاج في المناظرة ، مقاربة حجاجية لمناظرة سعيد السيرافي لمتى بن يونس ، ضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج2 ، ص302

^{4 .} اجعيط ، نور الدين ، مقال : مناظرة علي للخوارج مقاربة تداولية ، ضمن كتاب التحليل الخطابي للحجاج ، دار كنوز المعرفة ، ط1 ، 2016 ، ص 397

^{5.} كمال ، الزماني، مقال : الحجاج في المناظرات ، ضمن التحليل الخطابي للحجاج ، ص366

^{6.} البهلول ، عبد الله ، (2016) : الحجاج الجدلي ، دار كنوز المعرفة ، ط1 ، ص 306

وللمُناظرة طرفان هما العرض والاعتراض فأحد المتناظرين يأخذ دور المُدَّعي ، أو المُعلّل ، والآخر دور المُعترِض أو السَّائل أو المانع في تَعاقُب لعمليتي المنع ودفع المنع ، كما أن الاعتراض على مضمون الدّعوى يضع المانع في ثلاثة أوضاع وهي : "المُناقضة حيث يعترض المانع على الدّعوى غير المُرتكزة على دليل أو يعترض على إحدى مُقدِّمات الدّليل ويتَّخِذ المَنْع في المُناظرة صيغتين ، المُنْع المُجرَّد من الشَّاهد حيث يعترض المانع على الدَّعوى دون تبرير لاعتراضه ، والمنع المقرون بالسَّندِ بما يذكره لتقوية منعه ، والنَّقُض حيث يلجأ المانع إلى إبطال الدَّليل الَّذي أقام عليه المُعلّل دعواه ويكشف وجوه فساده ، والمُعارضة : فيقوم المانع بمقابلة الدَّليل بدليل آخر مُمَانع للأول في ثبوت مُقتضاه "[1] ، والنَّاس " يتأثَّرون بمشاعرهم أكثر مِمًا يتأثَّرون بعقولهم ، فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحُجَّة "[2] ، على أن للمناظرة أركان أربعة وهي : " الموضوع : وهو نُقطة البحث تجري حوله المناظرة ، وفريقان يتحاوران حول موضوع المناظرة ، والحكم من أهل الخبرة ، والمُستمعون ."[3]

وللقرآن الكريم أثر في بناء المناظرة وصقل مُقوّماتها ، من خلال جدله مع المُشركين ساعيا لإقناعهم بتقديم الحُجَج والبراهين الاقناعيّة ، وتنويع أساليب الخِطاب وإقامة المناظرات ، " ولجأ الإسلام للجدل القائم على الحوار المُباشر الّذي ينطلق من طرح الفكرة في ميدان الصيِّراع من أجل إشغال السيَّاحات بعلامات الاستفهام الَّتي يطرحها الإسلام مع أجوبتها ليوفر على المُتصارعين جهد البحث عن السيَوال ، قد لا يجدونه جاهزا" أ ، يمكن القول إنَّ " اهتمام القرآن بالحوار والجدل وتفضيله للعديد من عناصرها وشُروطها ، جعله مصدرا رئيسا مُنْشِئا للمناظرة ومُحدِّدا لقواعدها "[5] ، وازدهرت المُناظرة في ظلال النَّصِّ القرآنيِّ الحجاجيِّ .

^{1.} عادل ، عبد اللطيف، بلاغة الإقتاع في المناظرة ، ص 169

^{2.} العمري ، محمد، في بلاغة الخطاب الاقناعي ، ص 97

 ^{3.} السويكت ، عبد الله، البنية الحجاجية في المناظرات الأدبية ، مجلة العلوم الإنسانية و الإدارية ، ع 7 ، يونيو 2015 ، شعبان ، 1436ه ، ص 44

^{4 .} فضل الله ، محمد حسين، الحوار في القرآن ، دار الملاك . بيروت ، ط 5 ، 1996 ، ص 51

^{5.} عادل ، عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 155

ومن أهم المُناظرات النّتي حَفِلت بها سور الحواميم مناظرة فرعون مع مُؤمِن آل فرعون ، لما فيها من طاقات حِجَاجيّة وحِوارية ، هادفة للإقناع بما تحمل من فكرة :

1 . المناظرة : نصها و تأطيرها

نص المناظرة:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أُو أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّر لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (27) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوح وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (31) وَيَا قَوْم إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ (33) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (34) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْر سُلْطَان أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرِ جَبَّارِ (35) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْن لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاواتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَن السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابِ (37) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرِ أو أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْر حِسَاب (40) وَيَا قَوْم مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزيزِ الْغَفَّارِ (42) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (43) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (44) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46) ﴾ (سورة غافر، من الآية 26 إلى الآية 46)

تأطير النَّصّ

هذه الآيات من وسورة غافر ، وهي سورة مكيّة ، وسُمّيت بغافر ؛ لأنَّ الله ذكر في أولها أنَّه ﴿غَافِرِ الذَّنبِ ﴾ وسُمّيت أيضا بـ (حم المؤمن) " ووجه التسمية أنها ذكرت فيها قصنّة مُؤمِن آل فرعون ، ولم تذكر في سورة أخرى بوجه صريح ، وتُسمى أيضا (سورة الطّول) لوروده في أولها ﴿ في الطّول ﴾ "[11].

مكان انعقاد المُناظرة:

ثبتعند أكثر المُفسرين أنَّ هذه المناظرة دارت في مجلس فرعون، ورجّح ابن عاشور أنَّ هذه المناظرة لم تكن مُحاورة مع فرعون ولم تكن في مجلسه الاستشاري لوجود حرف العطف في ﴿ وقال رجل مؤمن ﴾ عطف قول هذا الرّجل يقتضي أنَّه قال قوله هذا في غير مجلس شُورى فرعون ، لأنَّه لو كان قوله جارياً مجرى المُحاورة مع فرعون في مجلس استشارته ، أو كان أجاب به عن قول فرعون : ﴿ ذَرُونِي اَقْتُل موسى ا ﴾ لكانت حكاية قوله بدون عطف على طريقة المُحاورات [2] ، أمًا الطّبريّ فرجح أنَ كلامه دار في مجلس فرعون " والصواب عندي القول الّذي قاله السّدي من أنَّ الرّجل كان من آل فرعون ، قد أصغى لكلامه ، واستمع منه "[3] ، وأرجح قول الطّبريّ وأطمأن له ، فهي مناظرة مُكتملة الشُرُوط ، كما أنَّ حرف العطف الواو يفيد المشاركة والجمع في الحكم أيّ مشاركة في القول وحكم المناظرة ، ولا تفيد الترّلخي وانعدام المُحاورة ، فالمُناظرة لم تكن بين المُؤمن وفرعون مباشرة ، بل تناظرا من خلال الجمهور .

أطراف المناظرة وموضوعها

دارت هذه المناظرة بين فرعون باعتباره (عارضا)، وبين رجل مُؤمن من آل فرعون باعتباره (مُعترِضا)، فأمّا فرعون فقد اختلفت المصادر في اسمه وذهبت فيه مذاهب ، وأمّا الرّجل المُؤمن فقيل إنّه ابن عم فرعون، وقيل من المقربين لمجلس فرعون، وموضوع المناظرة الّذي يمثل (الدّعوى) مدار الخلاف هو (تكذيب موسى ومحاولة قتله).

^{1.} ابن عاشور ، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ، ج 24 ، ص 75

^{2.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 24 ، ص 128

^{3.} الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج 12 ، ص 74

2 ـ البراهين

حدَّد أرسطو نوعين من البراهين سماها التصديقات فيقول: " فأمّا التصديقات فمنها بصناعيّة، ومنّها بغير صناعيّة، وقد أعني بالاتي بغير صناعيّة تلك اللاتي ليست تكون بحيلة منّا ، ولكن بأمور مُتقدِّمة ، كمثل الشُهود ، والعذاب ، والكتب والصُّكوك وما أشبه ذلك ، وأما اللاتي بالصِّناعة فما أمكن إعداده وتثبيته ، على ما يبغي بالحيلة بأنفسنا. "[1]

وتقسم البراهين في المناظرة الحجاجية لنوعين: البراهين الجاهزة (غير الصِّناعيّة)، وانطلاقا من تعريف أرسطو يبرُز هذا النَّوع من الحُجج من خلال توظيف الشَّاهد الأدبيّ، حيث يُؤخَذ من سِياقه الأصليِّ (قرآن، حديث، شعر...) ويُدْرَج في سياق المُناظرة لتحقيق الإقناع، لأنَّها تمتلك من السُّلطة ما يجعلها قادرة على إقناع الخصم وإفحامه [2]، وخلت هذه المناظرة منها سواء عند العارض أو المُعترِض، كما أنّ هذا النّوع من البراهين لا يتناسب مع خصوصية النّصّ القرآنيّ.

أمًّا البراهين غير الجاهزة (الصِّناعيّة)، فجعلها أرسطو في ثلاثة أقسام حيث قال: " فأمّا التَّصديقات الَّتي نحتال لها بالكلام فإنّها أنواع ثلاث، فمنها ما يكون بكيفيّة المُتكلِّم واستدراجه نحو الأمر، ومنها بكيفيّة المُتكلِّم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة المُتكلِّم واستدراجه نحو الأمر، ومنها بالكلام نفسه قبل التَّبيت "[3]، لذا ينبغي على صاحب الحُجج الباثية أو الإيتوس " أن يكون مَوضع قبول عاطفي لدى المُتلقِّي لحظة بثِّ الخِطاب، إذ هنالك ثلاثة أسبّاب من غير البراهين تدفعنا إلى الثَّقة هذه هي السَّداد والفضيلة والبرّ "[4]، وتوظّف في المناظرة إذ " يبرز هذا النَّوع من الأدلة من خلال قُدرة المناظر على بناء حُججه وبراهينه بتوظيف المادّة اللُّغويّة "[5]، واتَّخذت هذه الأدلة في هذه المناظرة شكل القياس المُضْمَر، والشَّاهد التَّاريخيّ.

^{1.} طاليس ، أرسطو ، الخطابة ، ص 9

^{2 .} كمال ، الزماني، الحجاج في المناظرات ، ص 370

^{3 .} طاليس ، أرسطو ، الخطابة ، ص 10

^{4.} الولي ، محمد، مدخل إلى الحجاج ، مجلة عالم الفكر ،ع2 ، م40 ، أكتوبر 2011 ، ص 28

^{5.} كمال ، الزماني، الحجاج في المناظرات ، ص 372

ومن الأدلة القائمة على البراهين غير الجاهزة يظهر القِياس المُضْمَر عند العارض ، فقد بنى العارض حُججه على القِياس المُضْمَر لأنَّ الإضمار " يستمدّ مشروعيّته من مفهومه ، فهو إخفاء بعض أجزاء الدّليل بحذفها من التّركيب بعد التّأكد من ثُبُوت ما يُحِيل إليها "[1] ، وهو ما عبر عنه الجُرجانيّ بـ " إسقاط الشّيء لا معنى ، أو ترك الشّيء مع بقاء أثره"[2] ، فما الإضمار إلا " حذف لا عن جهل ، بل حذف يُطالَب فاعله بإثباته "[3] ، ولكي يثبت العارض ادّعاءه (بتكذيب موسى) وإنكار وجود الله تعالى في السماوات ، عمد فرعون لتوظيف قياس مضمر في محاولة لتأكيد ادّعائه بعدم وجود إله في السماء ، واثباتها لنفسه .

* القياس الأول:

قال تعالى على لسان فرعون : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسِى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ (26) . المقدمة الكبرى : إذا كان موسى نبى الله سيحميه من القتل .

- . المقدمة الصُّغرى: لا بوجد ربِّ في السّماء.
- . النّتيجة : موسى كاذب لا يوجد له نصير يحميه من القتل .

* القياس الثاني:

قال تعالى على لسان فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْمُنْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاواتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ (36 - 37)

- . المقدمة الكبرى : ادِّعاء موسى بوجود إله في السَّماء .
 - . المقدمة الصُّغرى: لا يوجد إله في السَّماء.
 - . النَّتيجة : موسى كاذب لا يوجد إله في السَّماء .

ومن النَّتيجة الَّتي تَوصَّل لها العارض من المقدِّمات بنى حجته لتكذيب موسى ، لكنَّها حُجّة باطلة ؛ لأنَّ التَّصديق بالمُقدمة الصُّغرى مُستحيل الحُصُول ، فيختل توازن القياس المضمر وتبطل النّتيجة ، ذلك لما عُرِف عن فرعون من ادِّعاء انَّه إله وهو

^{1.} حلاسة ، هناء ، بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين ، ص 131

^{2.} الجرجاني ، على بن محمد السيد ، معجم التعريفات ، ص 27

^{3.} عبد الرحمن ، طه ، اللسان والميزان ، التكوثر العقلي ، ص 146

القائل ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [1] في محاولات " استعراضية للتَّأثير على مشاعر قومه بالإعلان لهم أنه باستطاعته الصُعُود لإله موسى "[2] لتظهر لنا الدَّوافع النَّفسيّة خلف هذا الادِّعاء الفرعونيّ " فدلّ على فورة من فورات النَّفس الطَّاغية المُتكبرة في لحظة انفعال مُتجبِّر يُخَيَّل له الوهم أنَّ المُستحيل في متناول يديه "[3] ، فتبطل قياساته وإن اتكأت على قوة سلطوية ، مِمَّا سهل على المُعترِض التَّصدي لها بإعلانه أنّ فرعون ما هو ألا مُسرف كذّاب.

ووظف المعترض (مؤمن آل فرعون) القياس المضمر في مجموعة من الأمثلة للتَّأثير على قومه منها قوله تعالى على لسان مُؤمِن آل فرعون: ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْمُلْكُ الْمُلْكُ الْمُلْكُ الْمُلْكُ الْمُلْكُ الْمُلْكُ الْمُلْكُ الْمُلْكُ إِنْ جَاءَنَا ﴾ (29)

- . المقدمة الكبرى : تمكّن قوم فرعون من مُلك مصر على بني إسرائيل
 - . المقدمة الصُّغرى: زوال هذا المُلك بقتل موسى .
 - . النَّتيجة : سينال قوم فرعون غضب الله وعقابه إن قتلوا موسى .

فقدم المُعترِض دليلا اقناعيّا بأن لقوِّم فرعون السُّلطة والسُّيطرة على بني إسرائيل فما حاجتهم لقتل موسى عليه السَّلام وهو لا يهدف لمُلّك، بل لتوحيد الله تعالى مستخدما معهم الترهيب بأن قتله سيغضب الله وسيعاقبهم كما عاقب كُلّ من حاول قتل الأنبياء بفنائهم، فنجح المُعترِض في قياسه المضمر مع قوّمه عندما حذرهم من زوال ملكهم وسخط الله عليهم، فسارع العارض لقطع الحوار والتَّدخّل عندما استشعر علامات التَّاثير عليهم " فقاطعه كلامه وبيَّن سبب عزمه على قتل موسى ، وأن في خلك نفعا لهم ، ولا يستصوب غيره وكأنّه أراد ألا يترك لنصيحته مدخلا إلى نفوسهم خيفه أن يتأثّروا به "^[4] ، مِمَّا شكل نجاحا للمُعترض على العارض من خلال البُعد الحجاجيّ للقياس المُضمر.

^{1.} سورة النازعات ، الآية: 24

^{2.} فضل الله ، محمد حسين، الحوار في القرآن ، ص 378

^{3 .} درانة ، صباح عبيد، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية ، ص 283

^{4.} ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التنوير والتحرير، ج 24، ص 133

كما تُبنى البراهين غير الجاهزة على (الشَّاهد التَّاريخيّ) ؛ لأنَّ الاستدلال بواسطته يعتمد على حقائق واقعيّة حاصلة ، توظُف لمقارنة حالة في الحاضر بتلك الحالة في السَّابق للوُصَول بالشَّاهد إلى نتيجة قياسيّة حِجَاجيّة " مُستدا إلى شواهد ملموسة مِمَّا يمنح المُحاجة القيِّمة التَّحققية المُتَّصلة بالواقع ومن ثُمِّ قوّة الاستدلال به"[1] ليكشف عما يتمتع به الشاهد التاريخي من قوة برهانية يصعب دحضها .

وعجز العارِض (فرعون) عن تقديم شواهد تاريخيّة تدعم صدق ادِّعاءه بتكذيب سيّدنا موسى وإنكار وجود الله ؛ لأن كُلّ الشّواهد التَّاريخيّة تؤكّد صدق الرُّسل وصدق رسالاتهم ، وأمام عجزه حاول فرعون قتله ، ليكون هذا الضّعف في انعدام حججه دليل كذب الادِّعاء الذي انطلق منه .

وأمًا المُعترِض (مؤمن آل فرعون) فقد عمد لتوظيف الشّاهد التّاريخيّ ليدعم حجته بعدم التّعرض لسيّدنا موسى، فقدم شاهدين هما:

* الشاهد الأول:

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ (30 -31)

يظهر جليًا من خلال الشّاهد التّاريخيّ خوف المُعترِض على مصير قومه والجزاء الّذي سيحل بهم إن همّوا بقتل سيّدنا موسى ، ذلك أن مصيرهم سيكون كمصير الّذين تحزّبوا على رسل الله نوح ، وهود ، وصالح عليهم السّالام ، فأهلكهم الله ، وقد قدَّم لهم شاهدا مِمّا خبروه ، " فأمّا قوم نوح فكان طوفانهم مشهوراً ، وأما عاد وثمود فلقرب بلادهم من البلاد المصريّة وكان عظيماً لا يخفى على مجاوريهم " [2] ، وليذكرهم بأحداث تاريخيّة كُبرى تُدْخِل الهلع في قلوبهم ، وتكون طاقة حِجَاجيّة توظف الشّاهد التّاريخيّ لإدخالهم في دائرة الإفهام لما حصل للأمم السّابقة ، لتنقلهم لدائرة الاقتتاع ؛ لإقناعهم بالعدول عن تبنى فكرة العارض من قتل سيّدنا موسى عليه السّلام .

^{1.} الدهري ، أمينة ، (2011): الحجاج ويناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، شركة النشر والتوزيع المدارس ـ الدار البيضاء ، ط 1، ص 153 ـ 154

^{2.} ابن عاشور ، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ، ج 24 ، ص 135

* الشَّاهد الثَّاني :

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسِنُفُ مِن قَبْلُ بِالْبِيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ (34)

لجأ المُعترِض إلى هذا الشَّاهد عندما " توسّم فيهم قلة جَدْوَى النُّصح لهم وأنَّهم مُصمَمِّمُونَ على تكذيب موسى فارتقى في موعظتهم إلى اللّوم على ما مضى ، ولتذكيرهم بأنّهم من ذريّة قوم كذّبوا يُوسف لمّا جاءهم بالبيّنات "[1] ، ويمكن تمثيل شواهد المُعترِض على السّلم الحِجَاجيّ ، فالمُعترِض حاول من خلال تقديمه الشواهد التَّاريخيّ (ش1 + ش 2) الوصول للنّتيجة (ن) ، والشَّاهد الثَّاني أقوى حُجّة على السلم واقرب إلى النتيجة المرجوة :

(ن) منع قتل سيدنا موسى ش2 جزاء الأمم السَّابقة الَّتي حاولت قتل رسلها ش1 موقف أجدادهم من سيّدنا يوسف

3 . الاشتغال الحِجَاجيّ في المُناظرة :

3 . 1 البناء الحواري:

المناظرة في أساسها فعالية حِواريّة تجري بين طرفين أو أكثر ، وتدور حول قضيّة خلافيّة ، يطرح كُلّ طرف بالحوار ما يحمل من حُجج تدعم موقفه من الدّعوى ، مراعيا آداب الحوار ، ذلك أنَّ " الحوار أهمّ أشكال التّفاعُل اللّفظيّ ، وهو المجال الطّبيعيّ الّذي يقع فيه الحِجَاج بامتياز ."[2]

ومن أبرز أشكال البناء الحواري الاعتماد على الحوار سواء أكان مباشراً أو غير مباشر ، واشتهرت المناظرات في الآداب العربيّة على مرّ العصور بالحوار المباشر ، بل ربطت بالمُواجهة ، حتَّى الخياليَّة منها رسمت حواراً مباشراً بين أطرافها ، ونادرة هي

^{1.} ابن عاشور ، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ، ج 24 ، ص 138

^{2.} عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 183

المناظرات التي تعتمد الحوار غير المباشر ، حتَّى هذه عللّها النُّقاد بأنّها مُتحوّلة عن حوار مباشر " فيمكننا أنْ نفترض أنَّ هذا الحوار كان في الأساس مباشرا ، ولأسباب معينه قام الرّاوي بتحويله إلى حوار غير مباشر ، هذه الأسباب تتعلّق في رأينا من جهة بالبناء الحكائي للنّصِّ "لنّا ، وبالرّغْم من ذلك فقد جاء الحوار غير مباشر في المناظرة موضوع دراستنا فقد أجمع جلُّ علماء التَّقسير على أنَّ الحوار في المناظرة لم يكن مباشرا ، وأن العارض والمُعترض لم يتقابلا ، وفي البناء الفني للمناظرة ما يُويّد هذا الاعتقاد ما " يثبّت الطّابع المباشر لحوار المناظرة هو اعتمادها المكتَّف على السُّوال والجواب وهما مُؤشران على حاليّة النّقاش وحضور الذّوات المُتفاعلة "لكا ، وهذا ما خلت منه هذه المناظرة فلم يرد السُّوال في طياتها إلّا في موضعين مِمَّا يرجح فرضية الحوار غير المباشر ، ويلاحظ أنَّ متانة بنائها القصصيّ قوى من حواريتها .

ويرى الباحث أنَّ الحِوار غير المُباشر (بين الرجل المؤمن و فرعون) كان مُناسباً لبناء هذه المناظرة ؛ لأنّه لم يكن من أهداف المُعترِض (مُؤمِن آل فرعون) توجيه خطابه لفرعون لرسوخ الاعتقاد عنده بأن لا فائدة تُرْجَى من محاولات إقناعه ، فركّز المَعترِض حواره المباشر على الجمهور محاولا إقناعهم بحجج تحمل طاقة إقناعية ، كما أنَّ العارِض (فرعون) كان يُدْرِك قُصُور حججه أمام المُعترِض فسار نحو الجمهور مستغلاً حجج السُّلطة وما فيها من قوة سُلطوية ، فقامت الذَّوات في هذه المُناظرة بتوظيف الحوار لإقناع الجمهور والتَّقارب معه ، في حين كان الحوار بينها أذاة لتعميق الخلاف حول قضيية قتل سيّدنا موسى وتعميق تباعد مساراتها ، ففرعون يسعى بالحوار لإقناعهم بضرورة قتل موسى ، ومؤمن آل فرعون يسعى كذلك بالحوار لإقناعهم بالعُدُول عن هذه الفكرة وتغريبها عن أهدافهم ، كما برز من خلال الحوار (الأنا) عند فرعون وفي ضمائره الَّتي استخدمها في حواره بينما كثرت ضمائر المُخاطَب عند المُعترِض في خطابه لقومه لاستمالتهم لما يطرح عليهم من حجج ، ويجعل من الحوار وسيلة للإقهام ومن ثُمَّ الإقناع والتَّاثير .

^{1.} الصديق ، حسين ، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي ، ص 245 ، 246

^{2.} عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الاقتاع في المناظرة ، 183

يعتمد البناء الحواري للمناظرة على أدوار الكلام ، ويتمّ عن طريق انتظام التّناوب بين المُتدخِّلين فإدارة الحِوار في المُناظرة " يتم عبر تناوب المُتدخِّلين على أدوار الكلام ويُؤشِّر على هذا التّناوب الاستعمال المُستمر لمادّة (قال) بوصفها خَطًا يفصل في كُلِّ مرُة مُداخلة كُلِّ طرف في الحوار عن مداخلة الطّرف الأخر "[1] ، وتمّ رصد الأدوار السَّت التَّالية في هذه المناظرة وهي :

د1- ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلُ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ (26)

- د2 ـ ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا ﴾ (28)
- د3 ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (29)
 - د4 ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ (30)
 - د5 ـ ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ (36)
 - د6 ـ ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (38)

ليظهر الدّور الحِجَاجيّ الّذي قدمه الحوار للمناظرة من خلال تتاوُب الأدوار، ففرعون يُقرّر قتل سيدنا موسى فحمل حواره دوافعه ومُبرّراته ، ليردّ عليه المُعترِض ببيان خطأ قراره وعواقبه بما يلزم من الحجج والشَّواهد عن طريق انتظام التّناوُب الحواري في التّفاعُل اللّفظيّ بينهما ، فكلا المتحاورين أعطى للآخر فرصة لتقديم حججه " من خلال ثنائيّة الإرسال والاستقبال الّتي تنظمها أدوار الكلام يتمظهر الطّابع الإشكاليّ للقضايا المطروحة ويسعى كُلّ مشارك إلى بناء وتعزيز موقفه حجاجيا ، إذ في غمرة الأخذ والردّ تتشكّل الآراء، فكانت أدوار الكلام تجسيد للصّفة الحِجَاجيّة للمناظرة ."[2]

وظهر خرق للتوزيع المنتظم لأدوار الكلام في المناظرة من خلال " الصَّمت " ويحدث الصَّمت بتوقُف أحد المُتناظرين بين دورين كلاميّين و" يعكس في المناظرة عجز أحد المتحاورين عن تأمين التّسلسلُ الحواريّ "[3]؛ ليمنح نفسه فُرصة لإعادة ترتيب

^{1.} عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 188

^{2.} عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 189

^{3 .} عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الإقتاع في المناظرة ، ص190

حججه الاقناعيّة ، ففرعون في مناظرتنا صمت بين المدّة الحوارية (د2 - د3) ، لياتقط أنفاسه ، ويُعيَّد ترتيب حججه مِمَّا أعطى للمُعترِض دفعة حواريّة امتدّت لخمس آيات مُشكلة رُبْع المناظرة ، فَصَمْتُ العارض قوّى موقف المُعترِض وأعطاه فرصة للاستطراد في تقديم حججه في الرَّدِ على خطأ قتل سيدنا موسى ، وزيادة في التَّفاعل مع الجمهور ، كما صمت فرعون مرّة أخرى بين المدّة الحواريّة (د4 . د5) لعجّزه عن الرَّدِ على مُؤمِن آل فرعون فكان صَمْتُه تعبيراً عن عجزه ، وليصمت فرعون مرّة ثالثة بعد الحواريّة (د5) ليدلّ صمته على رغبة في التَّنصُل من نتائجها والتَّهرُب من إلزام الحُجّة الّتي قادت إليه خاصّة أن صَمْتَهُ جاء في آخر المُناظرة ليعكس لنا عن عجزه النِّهائي أمام المُعترض.

ويتمّ خرق التوزيع المنتظم لأدوار الكلام من خلال " قطع الكلام " لأنّ المُناظِر يهدف من اللُّجوء إلى قطع كلام خصمه لإرباكه للحيلُولة دون مُواصلته إيراد حججه وكسبّ المُناظرة ، ومن ذلك ما نجده من قيام فرعون في الدّور الثّالث (د3) من قطع كلام المُعترِض ، إذ نلحظ أنّ جميع الأدوار بدأت بحرف العطف (الواو) باستثناء (د3) للدّلالة على قطع فرعون للحوار ، ذلك لمّا شعر بقبول حجج (مؤمن آل فرعون) في نُفُوس قومه فأراد أن يُرْبِك المُعترض حتّى لا يكسب المُناظرة .

ويقع الخرق " بانشباك الكلام " لأنّ الانشباك قد يرتبط " بتدخُل طرف ثالث في المُناظرة بحيث يخترق بكلامه مجرى مداخلتي المتناظرين "[1] ، فقد تدخّل سيّدنا موسى في المُناظرة بعد (د1) وقبل (د2) : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ في المُناظرة بعد (د1) وقبل (د2) : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ﴾ لم يكن موسى حاضرا في مجلس فرعون فلم يكن تدخلًا مباشرا في المناظرة لكن هذا التَّدخّل منذ البداية شكَّل دعما حجاجيّا للمُعترض للانطلاق في مناظرته ، كما يشكل الاستبداد بالكلام أحد أشكال الخرق ، وهو أن ينتزع أحد الأطراف أطول مُدّة حواريّة مِمَّا يشكّل " ترجيحا لكفّته ، وتقوية لموقفه ، الأمر الّذي يجعل من الاحتفاظ بالكلام وحيازة مبادرته آليه إقناعيّة " [2] ، فقد أمتلك المُعترِض (مُؤمِن آل فرعون)

^{1.} عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 193

^{2.} عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 193

المساحة الأوسع في المُناظرة ، وجاءت أقواله أطول وأكثر تفصيلا ، فتحكّم بالمُناظرة كما يظهر ذلك في (د2 ، د4 ، د6) فتحدّث في (ثماني عشرة) آية ، بينما تحدّث خصمه في (أربع) آيات، مِمَّا أعطاه فرصة للرَّدِ عليه بالحجج المُقنعة.

وتختتم أدوار الكلام بضرورة "إغلاق الحوار "في المناظرة ، فلابُدّ للمُناظرة من نهاية ذلك أن كُلَّ مُناظرة يجب أن تؤوّل إلى (إلزام المانع) أو (إفحام المُدَّعِي) ويلزم المانع إذا عجز عن التَّعرُض لدعوى المُدَّعِي، ويفحم المُدَّعِي إذا عجز عن إقامة الدّليل على دعوى من دعاويه المُعترَض عليها [1] وفي هذه المناظرة تمّ إغلاق حوارها بإفحام المُدَّعِي (فرعون) ؛ لأنَّه عجز عن إقامة الدَّليل على إنكار وجود الله تعالى وتكذيب موسى عليه السَّلام ، فغرر فرعون بقومه بالمكرِّ لسيدنا موسى ومُحاولة قتله ، لتتدخَّل العناية الإلهية وتحميه .

3 . 2 الاستفهام واشتغاله الحجاجي في المناظرة :

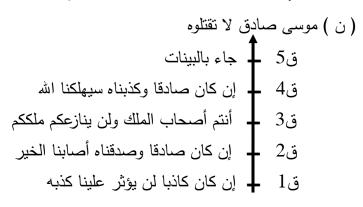
يُوظّف الاستفهام في المناظرة لغايات حجاجية ، لأنّه " مُحرك للسّجال والاستدلال ، أي منتجا للعديد من الأقوال الّتي تقدم نفسها (حسما) للسُّوال أو على الأقل الجوَّاب المُناسب عنه ، لذلك يقول ميشال مايير (إذا لم يكن هنالك سُوِّال ، لن يكون هنالك سِجال ، لأنّه لن يكون هنالك إلا جواب واحد) "[2] وفي مناظرتنا موضوع الدِّراسة، بدأ المُعترض كلامه بطرح سُوِّال افتتاحي إنكاري ، وظَّفه لإنكار ادِّعاء العارض لتَشْهير بهذا العمل وهو قتل موسى وليوضّح حجم فداحته ولتوبيخهم عليه ليرتدعوا ويرجعوا عن فعلهم ، حيث سأل المُعترض : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُوْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكُتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبِيِّنَاتِ مِن رَبِّكُمْ ﴾ لقد استخدم المعترض أداة الاستفهام الهمزة وهي " من أحرف الاستفهام الّتي تختصُ بطلب حصول التَّصديق ، وتكمن القوّة الانجازية لهذا النّوع من الأسئلة في قدرته على توريط المُخاطَب ببيان فساد رأيه "[3] ، فاستخدم معه

^{1.} عد الرحمن ، طه ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 78

^{2.} نقلا عن : عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الإقتاع في المناظرة ، ص 207

^{3.} اجعيط ، نور الدين، مناظرة على للخوارج ، ضمن كتاب التحليل الحجاجي، ص 402

أسلوب "استدراج المُخاطَب فقد أراد الانتصار لموسى بطريقة يخفى عليهم أنه متعصب لهم فجاءهم بطرق النُصح والملاطفة "[1]، ليكون مُنْطلقا حجاجيا للمُعترِض ليقدم من خلاله طائفة من الأدلة الإيجابية، وليكون هذا السُّؤال قاعدة المُناظرة وأساسها الحجاجيّ الإقناعي بتوظيفه "المعاني الضّمنيّة، الّتي تعلو توظيف ألفاظه الحقيقيّة، لأن المُتكلِّم لا يلجأ إلى توظيفها إلا لوثوقه في أنّها الأبلغ حجاجيّا "[2] فأعطت طاقة إقناعية للُغة من خلال سبره غورها للوصول للإجابة الضّمنيّة المستقرة في أعماقهم بصدق موسى، فوظف (أن) في ﴿ أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ "لتدل على أن القتل إنّما كان من أجل الإيمان، ولو حذفت لدلّت على قتل رجل مؤمن لا من أجل إيمانه "[3]، فكشف السُّؤال السِّتار عن هذه المكنُونات الضّمنيّة الخفية، وعندما شعر فرعون أن السؤال حقق هدفه واستمال القوى الضّمنيّة الخفيّة لقومه سارع لقطع الحوار عندما قال ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَشَادِ ﴾ .



3 . 3 : النَّفي واشتغاله الحجاجيّ في المناظرة

يهدف كُلُّ طرفٍ من أطراف المناظرة لإبطال آراء خصمه وردها ، ومن الأساليب النّي تساعده على ذلك النّفي الّذي " يشتغل بوصفه آليه للنّقض تفتت أسس الرّأي المضاد ،أو تتزع عنه المصداقيّة وتثبيت بدله الرّأي المُتَبنى "[4] ، ويقوم النّفي في المناظرة بوظيفة " قلب اعتقاد الخصم ، وتقطع مع ادّعاءاته لدفع بخصمه لتشكيك في أفكاره

^{1.} يوسف ، عبد الكريم محمود، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، ص 127

^{2 .} كمال ، الزماني، الحجاج في المناظرة ، ضمن كتاب : <u>التحليل الحجاجي</u>، ص 380

^{3 .} المجاشعي ، على بن فضال ، النكت في القرآن الكريم ، ص432

^{4.} عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، 223

وكشف مغالطاته مِمًا يُوقِّعه في الارتباك ويصيب بناءه الحجاجيّ بالاضطراب"[1] ، كما يقوم النّفي " بالتّعويض الّذي يتمثّل في إبطال معلُومة الخصم وإمداده بمعلومات أخرى يعتبرها المناظر صحيحة "[2] ، ومن الوظائف الحجاجيّة الَّتي يقوم بها النَّفي داخل النَّصِّ وظيفة " الجحد " ، ويقصد بالجحد " الأنكار والإبطال والاعتراض ، وهو وظيفة أصيلة في النّفي ، تتجلّى نجاعتها الحجاجيّة في محاصرة الخصم ، لأنّ إنكار دعواه يعيده إلى نقطة البداية بعبء التّدليل والإثبات "[3] ، ومن أمثلته : ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ ، فوظف مُؤمِن آل فرعون النّفي بقصد الجحد بالنكر علمه بصحة أو بوجود إله غير الله ، فيبطل دعواهم بوجود آلهة غير الله ، معترضا على هذه الدّعوة ، فهذا الجحد حاصر خصمه وأربكه فيما طرح من حجج ، وألزمه العودة لنقطة البداية ليجهدوا أنفسهم بتقديم أدلة وإثباتات تدعم موقفهم .

وتتمّ فعاليّة التّقويم في النّفي من خلال عدم التّسليم بادّعاء الخصم ، بل إخضاعها الفحص والنّقد ، مع إسناد قيمه سُلُوكيّة مُعينه لها ، فيصدق أو يكذب ويشتغل في المناظرة بوصفه فعلا ارتجاعيا ، إذ يصدر من صاحبه كردّ فعل على قول خصمه عندما يتّخذ المُعترِض من قول العارض موقفا مُلتزما وموجّها [4] ومن أمثلته في هذه المناظرة : ﴿ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيّنَاتِ مِن رَبّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا للمناظرة : ﴿ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيّنَاتِ مِن رَبّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذَبّهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا للمناظرة : ﴿ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيّنَاتِ مِن رَبّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذَبّهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا للمناظرة : ﴿ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيّنَاتِ مِن رَبّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذَبّهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا للمنافِق مَن الله فرعون الله وسي كاذب ، واخضع ادّعاءه للفحص فرعون لم يُسلّم بادّعاء فرعون بقيمة الكذب ، مزكيا سيّدنا موسى بقيمة الصّدق ، فكان النّفي فعلا ارتجاعيّا كردً فعل على ادّعاء فرعون ، فيبدي موقفه من قول فرعون ويوجه المُثلقي لاتخاذ الموقف عينه ، فيقدم مؤمن آل فرعون موقفه من هذه الأحداث .

^{1 .} كمال ، الزماني، الحجاج في المناظرة ، ضمن كتاب <u>التحليل الحجاجي</u>، ص 383

^{2 .} عادل ، عبد اللطيف، بلاغة الإقتاع في المناظرة ، 225

^{3 .} قادا ، عبد العالي ، (2015) : الحجاج في الخطاب السياسي ، كنوز المعرفة ، ط1 ، ص279

^{4.} عد الرحمن ، طه ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 43

ويقوم النّفي بدور تشكيكي " من خلال كشف مغالطة الخصم ، ومن ثمّ التّشويش على دعواه بغيّة إرباك بنائه الحجاجيّ ، مِمّا يضطرّ الخصم إلى مُضاعفة جهده في القامة دعواه "أنا ، فيطالبه خصمه بعد أن يوقعه في الاضطراب ويدفعه للشّك في حججه " بالتّدليل أو إبطال دليله "أنا ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلّا سَبِيلَ الرّشَادِ ﴾ لقد وظّف فرعون النّفي في مُحاولة منه لكشف مُغالطة خصمه ، وإنكار ما قدمه المُعترض لقوم فرعون من حجج بهدف إرباكه وفتح تغرات في بنائه الحجاجيّ ، فما أن قدّم المُؤمِن طائفة من الحجج المُقتعة للجمهور بضرورة العُدُول عن قتل موسى من حيث إنّه جاءهم بالبيّنات ، وإنّ لهم مُلك مصر ولا يهدف موسى لمنازعتهم ملكهم ، حتّى تدخّل فرعون قاطعا الحوار للتّشويش على يهدف موسى لمنازعتهم ملكهم ، حتّى تدخّل فرعون قاطعا الحوار للتّشويش على خصمه مُدّعيا للجمهور بأنّه يريد لهم ما يريد لنفسه كما أنّه ينقلهم إلى طريق الرّشاد خصمه مُشكّكا في حجج خصمه وبنائه الإقناعي الّذي يستند إليه.

ويبرز التَّعويض كوظيفة مهمّة في النّفي ؛ لأنّه" يتمثّل في إبطال معلومات الخصم ، وإمداده بمعلومات أخرى يعتبرها الخصم صحيحة "[3] ، وبهذا البديل الّذي يقدمه الخصم بالتّعويض" يُحقّق النّفي عملية الاستبدال ومن ثُمّ فهو يحول الاتّجاه الحجاجيّ لصالح أطروحة النّافي مع دفع الغير لمشاركته اعتقاده "[4] ، كما في قوله تعالى : ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعُوةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الْآخِرةِ ﴾ ، فالرَّجل المُؤمِن عمل على إبطال دعوى خُصُومه من دعوتهم له بالإشراك بالله ، فرد عليهم بأنّه يدعوهم للعزيز الغفار ، فالنّفي ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ تعويض عن ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ﴾ محوّلا مسار الحِجَاج في قوله ﴿ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الْآخِرة ﴾ لصالحه .

^{1 .} قادا ، عبد العالي ، الحجاج في الخطاب السياسي ، ص 281

^{2.} عبد الرحمن ، طه ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 43

^{383 .} كمال ، الزماني ، الحجاج في المناظرة ، ضمن كتاب التحليل الحجاجي، ص 383

^{4.} قادا ، عبد العالى ، الحجاج في الخطاب السياسي ، ص 280

3 . 4 النَّداء واشتغاله الحجاجيّ في المناظرة :

ويقوم النّداء بتحفيز المُتلقّي للاهتمام بما يأتي بعده من إشكال ، وهذا الإشكال يُكسب النّداء قوة إنجازيّة تُحْدِث التّواصُل ومن ثُمّ يقع الحِجَاج بعد أن يقوم النّداء بمدّ النّصِ بقوة حِجَاجيّة ترفع من مستوى التّفاعُل فيه ، ومن أدوات النّداء (يا) والّتي "يُنادى بها البعيد وهي في سياق الخطاب التّنبيه والتّأكيد والتّدرج من الإبهام إلى التّوضيح ... "اا ومُؤمِن آل فرعون لا يخاطب قومه إلا بنداء واحد (يا قوم)، نحو: ﴿ يَا قَوْمِ النّبُعُونِ ﴾ ، ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنّي اللّهُ عَلْمُ المُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ ، ﴿ وَقَالَ الّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتّبِعُونِ ﴾ ، ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنّي أَخَافُ ﴾ مُستخدما أداة النّداء (يا) البعيد ليُنادي بها قريب منه التّأكيد على اعتنائه بما يدعى لأجله المنادى وهو تصديق سيّدنا موسى ، وتقديم النصح لهم بأسلوب فيه تقريب وتلطف ، مركّزا في النّداء على قومه ليكون تفاعلا حواريا حجاجيًا معهم ، وجاء المنادى (قوم) محذوف الياء حاملا طاقة إقناعية موجهة نحو المكنونات الوجدانيّة المنادى (قوم) محذوف الياء حاملا طاقة إقناعية موجهة نحو المكنونات الوجدانيّة الإنسانيّة بما فيه من قوة إنجازية بالتّلطف في الدَّعوة ، والتّودد للمُتلقِّى .

3 . 5 الأمر واشتغاله الحجاجي في المناظرة :

فوظّف فرعون الأمر في هذه المناظرة لخدمة الادّعاء الّذي حمله ودافع عنه ، كما أظهرت القُوّة الإنجازيّة في الأمر في قوله تعالى: ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا ﴾ قدرا من التّحدِّي وإلزام الجمهور بالاقتتاع بقدرته على تحدِّي موسى ، وما أفضى إليه من الثّقة القويّة بقدرته على التَّحدي مقدِّمة للموقف دفقة حجاجيّة أثرت في المُتلقِّي وزادت من إذعانه وثقته في فرعون ، واستثمر المُعترض فعل الأمر ﴿ اتّبِعُونِ ﴾ في إدراك واع منه للمقام الحجاجيّ في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ لإلزام المُتلقِّي بضرورة الانصياع له لما يحمل من نصح لهم وتحفيزهم على انباعه من خلال القوة الانجازية لفعل الأمر وهي (الخير) لهم ، ولتشكل بُعْداً حجاجيا اقناعيًا لقومه .

^{1 .} عكاشة ، محمود، (2014) : تحليل الخطاب ، دار النشر للجامعات ـ مصر ، ط1 ، ص 320

الفصل الثاني: الحِجَاج البَلاغيّ

توطئة:

يَرْتَكِزُ هذا النَّوع من الحِجَاج على البلاغة في الوُصُول للإقناع، مُتَّخِذًا البلاغة أداة من أدواته الحِجَاجية؛ "لاعتمادها الاستمالة والتَّأثير عن طريق الحِجَاج بالصُّورة البيانيَّة والأساليب البيانيَّة ؛ أيّ إقناع المُتلقِّي عن طريق إشباع فِكره ومَشاعره معا "[1]، فالغرض من مَدار البلاغة عند ابن الأثير " استدراج الخصم إلى الإذعان والتَّسليم ؛ لأنَّه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرَّائقة ولا المعاني اللَّطيفة الدَّقيقة دون أن تكون مستجلبة للنُوغ غرض المُخاطَب بها ، وكما يتصرَّف صاحب الجدل في المُغالطات القياسيَّة، فكذلك البلاغيّ يتصرَّف في المُغالطات الخطابيّة "[2] ، فالبلاغة " تدعم طاقة القول الحِجَاجيّ، وتثبت قدرته الإقناعيّة فَتُعَدّ عندها من وسائل التَّأثير والاستمالة."[3]

وتُؤصن البلاغة بأنّها أقدم نظريات النّصِّ ، وتقوم بوظيفة جماليَّة إمتاعيَّة إضافة إلى وظيفتها الإقناعيّة ، فمتى نَهَضَتُ الأساليب البلاغيّة لتحقيق غاية جماليَّة بأسلوب ينحو نحو الإمتاع كانت بلاغة تقليديّة تخييليّة ، وإن هدفت إلى الإقناع كانت بلاغة تداوُليَّة حِجَاجيَّة ، وهذا ما دفع محمّد مشبال في مشروعه الحِجَاجيّ لِتَبنّي نظريَّة البلاغة الحِجَاجيَّة تهتم بالوظيفة التَّواصليَّة البلاغة الحِجَاجيَّة تهتم بالوظيفة التَّواصليَّة الإقناعية الَّتي تنطوي عليها الخطابات التَّداوُليَّة ، بينما تهتم البلاغة الأدبيَّة بالوظيفة الجماليَّة التَّي تقوم عليها الخطابات التخييليَّة 14 ، فمتى قامت الأساليب البلاغيَّة بدور الإقناع وزيادة درجة الإذعان كانت أداة حِجَاجيّة .

وللمُقاربة بين المفهوم الأدبيّ للبلاغة ، الّذي يهتم بالأسلوب والتَّزيين والإمتاع والمفهوم الحجاجيّ المهتم بالجانب الإقناعيّ اقترح محمَّد العُمريّ "المفهوم النَّسقيّ" الّذي

^{1.} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 47

^{2.} ابن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر ، ج2 ، ص 68

^{3.} الدريدي ، سامية، الحجاج في الشعر العربي ، ص 120

^{4.} مشبال ، محمد، في بلاغة الخطاب ، ص 15

يجعل للبلاغة جناحين إحداهما التَّخييل والآخر الحِجَاج وبهما تَرتقي البلاغة من خلال المنطقة الَّتي يتقاطعان فيها مُوسِّعا هذه المِنطقة أقصى ما يمكنه التَّوسِّع، بعد أن تقلص البُعْد النَّسقيّ التَّداوُليّ للبلاغة ، وتوسع البُعْد الأسلوبيّ حتَّى صار الموضوع الوحيد لها فكانت نهضة البلاغة حديثا مُنَصْبة على استرجاع البُعد المفقود في تجاذب بين المجال الأدبيّ حيث يُهيمن التَّذاول، وقد الأدبيّ حيث يُهيمن التَّذيول، والمجال الفلسفيّ المنطقيّ واللِّسانيّ حيث يُهيمن التَّداول، وقد بعث العُمريّ الحياة في مقولة الحِجَاج هو عمود البلاغة، الذي تعرض له ابن رشد في محاولة منه لتوضيح أهمية الحجاج للبلاغة [1].

وتحدث صلاح فضل عمّا يُمكن أن يُسمّى " بالبلاغة البُرهانيّة " ودورها في رصد الطواهر " فطبقا للمنظور العلمي الّذي تتبناه بلاغة الخِطاب الحديثّة سواء كانت أدبيّة أو بُرهانية فإن رَصندها الظّواهر وتفسيرها ومُحاولة الوُصول للأبنية العقليّة والفِكريّة الّتي تعتمدها والوظائف الفنيّة المَنُوطة بها يتجاوز مجرَّد الحكم بالقيِّمة لأثّه يعمد إلى تحليل الواقع والكشف عن مراتبه ومكوِّناته ودرجة تفاعُله مع السيّاقات الثقافيَّة الَّتي يندرج فيها "أن يوجد حجاج غير بلاغيّ؛ ليصل فيها اللها العلاقة الحميمة بين البلاغة والإقناع، ويرى أنَّ البلاغة لم تعد لباسا خارجيّا للحِجَاج بل إنَّها لتنتمي إلى بنيّته الخاصيّة "أنّا ، فالبلاغة العربيَّة قامت على معايير حجاجيّة وإقناعيّة وجماليّة ، وإن كان هنالك من فرَّق بين النَّوظيف الأسلُوبيّ لفنون البلاغة والتَّوظيف المسلُوبيّ الفنون البلاغة متى هدفت التَّميق والنَّرين كانت ذات نزعة جماليّة ، إلا أنَّنا نرى أنَّه يمكن توظيف الفنون البلاغيَّة ذات الصبّعة الجماليّة لخدمة الدَّرس الحجاجيّ باستغلال ما فيها من طاقة إقناعيّة تُخاطب العواطف الجماليّة لخدمة الدَّرس الحجاجيّ باستغلال ما فيها من طاقة إقناعيّة تُخاطب العواطف والأحاسيس " فالبلاغة الجديدة لا نتأتى لمن يمتلك فقط سحر البلاغة ، بل لمن يمتلك المن يمتلك فقط سحر البلاغة ، بل لمن يمتلك إلى جانب ذلك ، فنّ الجدال وقوة الإقناع والتَأثير وسُلطة الحِجَاج. "لاًا

^{1.} العمري ، محمد ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، ص 12

^{2.} فضل ، صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 111

^{3 .} نقلا عن : العمري ، محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، ص 216

^{4.} علوي ، حافظ إسماعيلي ، الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج 1 ، ص 11

1 . الالتفات

الالتفات من المبَاحِث البَلاغيَّة الَّتي استُخْدِمت في الدَّرس الحِجَاجِيِّ لِمَا لها من أثرٍ في المُتلقِّي ، وهو لغة " لَفَتَ وَجْهُهُ عن القوم : صَرَفَهُ ، والتفت التفاتاً والتلقَّت أكثر منه "[1] ، اصطلاحًا يعني " نَقْل الكلامِ من أُسْلوب إلى آخر تطرية واستدرارا للسَّامع وتَجْدِيدًا لِنَشَاطه ، وصيانة لخاطره من الملال والضَّجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه "[2] ، وأقدم ذكر له ما ورد في مجاز أبي عبيدة مُعمّر بن المُثنّى (ت210) إذ قال فيه "ومن مجاز ما جاءت مُخاطبة مخاطبة الشَّاهد، ثُمَّ تُرِكَتْ وحُولت مخاطبة إلى مخاطبة الغائب " [3] ، وقدَّم ابن المُعتز (ت 296) أول تعريف علميّ لمصطلح الالتفات فعرَّفه "انصراف المُتكلِّم عن المُخاطبة إلى الإخبار ، وعن الإخبار إلى المُخاطبة وما يشبه ذلك ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر "[4] .

وأقرب التعريفات للدَّرس الحجاجيّ ما قدَّمه أبو هلال العسكريّ (ت395) في تعريفه " الالتفات على ضربين ؛ فواحد أن يَفْرَغَ المُتكلِّم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتقت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به ، والضَّرب الآخر أن يكون الشّاعر آخذاً في المعنى وكأنه يعترضه شكّ أو ظنَّ أنَّ راداً يردَّ قوله أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً إلى ما قدَّمه، فإما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يُزيل الشَّكَّ منه "[5] ، ففي الضَّرب الثَّاني يتقاطع الالتفات مع الدَّرس الحجاجيّ في نُقطة الافتراضات المبنية على السَّوال الضَّمني ، فالمُتكلِّم وهو يقدّم مجموعة من المُلفوظات الإخباريّة يعتريه شعور بتراجع إذعان المُتلقِّي لها ، فيطرح سُؤالا ضمنيا يُحْدِثُ إشكالا نفسيّا عند المُتكلِّم ممّا يُوجب عليه البحث عن جواب لذلك السُّؤال فيلجأ للالتفات .

^{1.} ابن منظور ، محمد بن مكرم ، السان العرب ، مادة (لفت)

^{2.} الزركشي ، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 314

^{3 .} أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، (1988) : مجاز القرآن ، علق عليه : محمد فؤاد سركين ، الناشر مكتبة الخانجي . القاهرة ، د . ط ، ج 1 ، ص 11

^{4.} ابن المعتز ، عبد الله ، (1982) : كتاب البديع ، ت : إغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار الميسرة . لبنان ، ط3 ، ص 58

^{5.} العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ، كتاب الصناعتين . الكتابة و الشعر ، ص 392

واهتمّ بيرلمان وتيتكاه بالالتفات وربطاه " بالحجاج ولا سيما وجوه ارتباطه بمستوى الضّمائر أو الزّمان؛ لتعزيز الموضوع الواقع تحت الالتفات في ذهن المُتلقِّي من خلال التَّبوع في الضّمائر ، وأزمنة الأفعال في الخِطاب من أجل أن يتفاعل المُتلقِّي معه "التَّفع فمن خلال هذا التَّفاعُل نحقق التَّواصُل، والَّذي يقودنا إلى التَّاثير في المُتلقِّي عن طريق التَّلاعُب بالضَّمائر أو الأفعال والَّتي من شأنها أن تحقق الانتباه أولا ، ومن ثمَّ التَّأثير فيه فهو " طريقة للضغط على ذهن المُتلقِّي ولفت انتباهه إلى مواطن مخصوصة في الرِّسالة "أن الما للالتفات من طاقة تأثيرية في الذِّهن وإبعاد المُتلقِّي عن الملل ليبقي منتبها ؛ لأن الالتفات الحجاجي " يقوم على مُقتضيات التَّخطي والانحراف عن الأنماط المعتادة وهو خاصية تعبيريّة ذات طاقات إيحائيّة يُبْنَى على الانزياح عن النَّسق اللّغوي وتجاوزه معتمداً اللّغوي المألوف فهو ظاهرة أسلوبيّة تعتمد على انتهاك النَّسق اللّغوي وتجاوزه معتمداً على الانزياح "أنا الذي يحقق غاية جمالية واقناعية .

وهو ما عبر عنه القرطاجنيّ بقوله "والصّورة الالتفاتية: هي أن يجمع بين حاشيتي كلامين مُتباعدي المآخذ والأغراض، وأن ينعطف عن إحداهما إلى الأخرى تكون توطئة للصّيرورة من أحدهما إلى الأخر على جهة من التّحول "ك!. هذا التّحول يمنح للمُتكلّم فرصة لنقل أفكاره للمُتلقّي بطرق متنوعة تزيد من دور التّفاعُل مع الخطاب، ما دفع أوليفيي روبول ليعبر عن مدى الخسارة الّتي تلحق بالخطاب ما لم يقم على شيء من الالتفات" فهي خسارة في الأثر إن لم تكن في المعنى، فلو أن الخطيب حذف الالتفات لكان الأثر الاقناعيّ أقل "كأ. وللالتفات وظائف حجاجيّة في النّص القرآنيّ منها تقوية الحُضور، واعتبار الشّيء مدار الالتفات كأنه قد تحقّق، والتّشنيع على الخُصوم أما.

1. نقلا عن : صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي ، ص 189

^{2 .} يعمرانن ، نعيمة ، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود يعمري . تيزي وزو ، الجزائر ، 2012 ، ص 70

^{3.} محمد ، عبد الله خضر ، جماليات النص القرآني ، دار القلم للنشر ، بيروت ، ص 21

^{4.} القرطاجني ، أبو الحسن حازم بن محمد ، مناهج البلغاء وسراج الأدباء ، 315

^{5.} نقلا عن : العمري ، محمد ، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، ص 214 ، 215

^{6.} صولة ، عبد الله ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية ، ص 457

وينتوع الالتفات في سُور الحواميم بين التفات في الضَّمائر والعدد والأزمنة ، شكلت ما نسبته (54%) من مجموع الفنون البلاغيّة الحجاجيّة ، أمَّا الالتفات في الضَّمائر فقد بلغ سبعة وأربعين التفاتا ، فشكَّل ما نسبته (55 %) من مجموعها، ونرى أنَّ سبب ارتفاع هذه النسبة يعود للطَّاقة الحجاجيّة الَّتي يحملها عُدول الضَّمائر في السُّور المكّية ؛ لأنَّه يهدف للتّعظيم من شأن الخالق ، والتَّخصيص ، وتوبيخ الكافرين ، وأكثر التفاتات الضَّمائر استخدماً هو الالتفات من المُتكلِّم للغيبية [1] فقد ورد في أربعة عشر موضعا مشكلا ما نسبته (30 %) ؛ لأنَّه أكثر أنواع العُدول الَّتي يظهر فيها تعظيم شأن الله وما له من مهابة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقَيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [2] ، فوقع الالتفات من ضمير المُتكلِّم { نا } في ﴿ وَآتَيْنَاهُم ﴾ ، إلى ضمير الغيبية { هو } في ﴿ يَقْضِي ﴾ فاستخدم ضمير المُتكلِّم ليُؤكد تحقّق الفعل وهو أنَّ الله أعطاهم دلائل واضحة ، وشرائع بينة تتعلق بأمر دينهم ، فاختلفوا في هذه الأمور عن علم راسخ لا عن جهل ، كما أفاد الالتفات تخصيص هذه الفئة من قوم موسى بهذا العمل ، ودلّ مفهوم الكلام على أنَّ مِمَّا اختلفوا فيه أمر سيّدنا مُحمَّد مع علمهم الجازم من خلال البراهين والحجج الواضحة في عقيدتهم الّتي تشير لصدقه ، ثُمَّ عَدَل لضمير الغائب بعد أن ثبُتَ حُدوث الفعل للتَّعظيم من شأن ذاته سبحانه وأنَّه سيقضى بينهم ويكون الحكم ، فوقعت المهابة لله في نفس المُتلقِّي.

كما زاد الالتفات من مهابة الله عزَّ وجلَّ في نفس المُتلقِّي في قوله: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأُوا بَأْسَنَا سُنْتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾[3] ، فنقل الالتفات من المُتكلِّم في ﴿ بَأْسَنَا ﴾ إلى الغيبية في ﴿ عِبَادِهِ ﴾ الخطاب إلى مستوى التَّرهيب والوعيد للكُفَّار ببيان قوة الله في العقاب، وكشفت اختصاصه بمعرفة نوايا الخلق ومقاصد توبتهم إن حدثت عند معاينة العذاب ، فهو المُختص وحده بقبول التَّوبة من عباده .

² ـ سورة الجاثية ، الآية : 17

³ ـ سورة غافر ، الآية : 85

ويبرز العُدُول من ضمائر الغيبية إلى المُتكلِّم الله في أحدَ عشرَ موضعا مشكلا ما نسبته (24%) من التفات الضَمائر كما في قوله تعالى : ﴿وَبَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقَهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّر فِيهَا أَقُواتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اثْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرَها قَالْتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يؤمّيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيتًا السَّمَاءَ الدُنْيَا فَقَصَابِيحَ وَحِفْظًا ﴾ فصمير الغيبية { هو } في (جعل ، بارك ، قدر ، استوى ، قضى ، أوحى) حقق عُدُولا نسَقِيا بالتفاته إلى ضمير المُتكلِّم { نحن } في (زينًا) لوجود مُقتضى حجاجيّ منع استمرار الغيبية ، ومنح النَّصَّ تَواصلُية حضور (الخالق) ليؤدي دورا حجاجيًا يتلاءم مع مظاهر عظمة خلق السَّموات ، رابطا بين عظمته وأشياء ملموسة في السَّماء تظهر للعيان وتكون حُجَّة عليهم ، لتتناسب الضَّمائر مع توالي الأحداث ؛ فالبشر كانت غائبة ولم تشهد لحظة خلق الأرض والجبال ، فكنًا عولي الأحداث ؛ فالبشر كانت غائبة ولم تشهد لحظة خلق الأرض والجبال ، فكنًا عند ظهور مظهر كونيّ ماثل للمُتلقِّي فإذا كان هنالك من لا يستطيع استيعاب ما عند ظهور مظهر كونيّ ماثل للمُتلقِّي فإذا كان هنالك من لا يستطيع استيعاب ما حصل من خلق سابق لوجوده ، لا يستطيع أن ينكر ما يراه ، فهذه النُّجُوم المعلقة في حصل من خلق سابق ذلك أن الحدث مُتَحقق لا مجال لإنكاره.

واستخدم ضمير المُتكلِّم فيه إدخال للاختصاص ، وتجديد لنشاط السَّامعين لطول استعمال طريق الغائب مع إظهار العناية بتخصيص هذا الصُّنع من بين عموم ذلك أن كُلَّ ما خُلِقَ وحدد بضمير الغيبية حدد بزمن ، أمَّا ما رُبِطَ بضمير المتكلم لم يحدّد بزمن لأنَّه لم يقصد الأخبار عن مُدَّه خلقها بل قصد إبراز عظمتها ، كما أن المُتلقِّي عند انتقاله من ضمير لضمير مُتناسب مع خلق الكون يتفاعل مع هذه الأحداث ، ومتى حقق النَّصُّ الحجاجيّ غاية التَّقاعُل وصل بالمُتلقِّي إلى مرحلة ضرورة الإذعان لما يطرح عليه ؛ لأن الله هدف منه تأكيد تحقق الخلق والإخبار عن نفسه .

^{1 .} انظر: فصلت : 15 ، 28 ، الشورى : 13 ، 35 ، 38 ، الزخرف : 11 ، 32 ، 36 ،

^{25 ، 3} _ 2 : الأحقاف

^{2 .} سورة فصلت ، الآيات : 9 ـ 12

وتظهر الغاية الحجاجيّة في الالتفات من الغيبية إلى المُتكلِّم في قوله: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [1] من خلال الاختصاص والدَّلالة على عظمة الله ، فساعد العُدُول النَّسقي في الآية من خلال ضمير المُتكلِّم في ﴿ خَلَقْنَا ﴾ تعريف المُتلقِّي بعظمة الله تعالى في خلقه وبديع صنعه ، ليستدل على كمال خلقه الَّذي يوصله لاستدلال قدرة الله على البعث.

ومن خلال هذه الشَّواهد وغيرها نصل للغاية الحجاجيّة من توظيف الالتفات من الغيبية إلى المُتكلِّم الَّتي تتمثّل في الدَّلالة على القدرة الباهرة لله تعالى ، والتَّعظيم من شأنه بالإخبار عن نفسه ، والاختصاص لله تعالى في أمر يكون له وحده ، وتركيز الاهتمام بقضايا محددة .

وشكل الالتفات من الخطاب إلى الغيبية [2] ما نسبته (21 %) بوروده في عشرة مواضع ، كما في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَبْكُمُ اللَّحْيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيُومْ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [3] ، إذ عَدَل الله عن ضمير الخطاب (بأنكم ، اتّخذتم ، غرتكم) إلى الغيبية (يخرجون) لغرض تحقيرهم والتّشنيع بهم ، وإخراجهم من سياق الخطاب و" كان مُقتضى الظّاهر أن يقال : لا تُخرجون ، بأسلوب الخطاب مثل سابقه ولكن عدل عن طريقة الخطاب إلى الغيبة على وجه الالتفات . ويحسنه هنا أنّه تخييل للإعراض عنهم بعد توبيخهم وتأييسهم وصرف بقية الإخبار عنهم إلى مُخاطَب آخر ينبّأ ببقية أمرهم تحقيراً لهم "[4] فالعدول لضمير الغيبية ينقل الخطاب من العام إلى الخاص ، خاصّة في مواقف التّوبيخ والذّم .

كما يحقّق هذا النَّمط من الالتفات غاية حجاجيَّة من خلال الاختصاص بفئة معينة، فتحقّق العُدُول النَّسقي من المُخاطَب في (أزواجكم) إلى العيبية في (عليهم)

^{1 .} سورة الأحقاف ، الآيتان : 2 - 3

^{2 .} ومن أمثلته : غافر : 63 ، فصلت : 53 ، الشورى : 47 ـ 48 ، الزخرف : 17 ، 68 ـ 69 ـ 0 . ومن أمثلته : 35 ، 33 . ومن أمثلته : 35 ، 35 . ومن أمثلته : 35 ، 35 . ومن أمثلته : 35 ، 35 .

^{35 .} سورة الجاثية ، الآية : 35

^{4.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 376

في قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهم بصِحَافِ مِّن ذَهَبِ وَأَكْوَابٍ ﴾ [11] ، وكان حَقُّها أن تكون (يُطاف عليكم) ليَنْقُل الالتفات المُتلقِّي في السِّياق الحجاجيّ من مرتبة المُخاطَب إلى مرتبة المُخْبَر لما فيه من علو لدرجتهم بقصد تعظيم شأن المُخاطَب ، ما يحقّق تَفَاعُل المُتلقِّي مع النَّصِّ ، واستحضر الالتفات الحجاجي صورة الموقف المستقبلي وتقريبه لذهن المُتلقِّي لاقناعهم بِعِظَمِ الجائزة التي تتنظره يوم القيامة .

كما يُؤدي الالتفات وظيفة حِجَاجيّة مدارها التّوبيخ والإهانة ، كما في قوله تعالى: ﴿ ذُلِكُم بِأَنَّكُمُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوا وَغَرَّتُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا مِنْهَا ﴾ [2] ، فقد عدل عن الخطاب في ﴿اتَّخَذْتُمْ ﴾ إلى ياء الغيبية في ﴿ يُخْرَجُونَ ﴾ وكان حقها (تخرجون) ، وتبرز قيمتها الحجاجية في " الإعراض عنهم بعد توبيخهم وتأييسهم وصرف بقية الإخبار عنهم إلى مخاطب آخر تحقراً لهم "[3] للمبالغة في توبيخ الكُفَّار .

ويتم العدول النَّسقى من الغيبية إلى الخطاب[4] ؛ لأهداف حجاجيّة تتمثل في حضور ذات الشَّخص ، وتقديم النَّصيحة مع المُلاطفة في تقديمها ، والتَّوبيخ في مواقف محددة وإنكارها ، ووردت في سبعة مواضع وشكلت ما نسبته (15 %) من مجموع الالتفاتات ، كما في قوله : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ * إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾[5] ، فقد عدل عن الغيبية (هم) في ﴿ تَوَلُّوا ﴾ إلى الخطاب في ﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾، للمبالغة في توبيخ الكافرين على مواقفهم وعدم التزامهم بوعودهم ، فوبّخ الله تعالى شأنه الكُفَّار الادّعائهم أنَّهم سيؤمنون بالله إن رفع الله عنهم العذاب والقحط ، وفي العدول للخطاب إنزال المتكلم منزلة الحاضر ، فيكون توبيخ الحاضر أشد تأثيرا في نفس المُتلقِّي ، وأبلغ في إيقاع الإهانة عليه مع ما تضمر من مناصحة له .

^{1 .} سورة الزخرف ، الآيتان : 70 ، 71

^{2.} سورة الجاثبة ، الآبة: 35

^{3.} ابن عاشور ، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 376

^{4.} ومنه: فصلت: 23 ، 24 ، الشورى: 25 ، الزخرف: 71 ، 85 ، 88 ـ 89 ، الدخان: 14

^{5 .} سورة الدخان ، الآيتان : 14 _ 15

والالتفات في القُرآن على مُستوى الضّمائر كثير الورود ، وحصر حسن طبل ثلاثمائة واثنين وأربعين مثالا على الالتفات في القرآن الكريم ، وإذا اعتمدنا دراسة حسن طبل تكون نسبة الالتفات في سور الحواميم (14 %) بالنسبة لمجموع الالتفات في القرآن الكريم ، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بحجم الحواميم الَّتي تقارب أربعمائة آية وتشكل ما نسبته (4%) من حجم القرآن، ويعود في تقديرنا سبب هذا الارتفاع لطبيعة القضايا الَّتي تتناولها سور الحواميم من حديثها عن تنزيل القرآن وبالتَّالي الحديث عن شأن ذات مُنْزِله ، وخطابها للرَّسول الكريم وللأنبياء وللأمم السَّابقة ، وجدل الكُفَّار على مدار العصور للرُّسل وما ترتب عليه من توبيخ لهم وإنكار لتصرفاتهم ، ممّا استوجب تنوعا في الضَّمائر .

وحصر الهيشري استخدام الالتفات في القرآن في مائة وسبع وخمسين مرة ، وخلص إلى أن سبب استخدام الالتفات في القرآن " لملاءمة هذا الأسلوب موضوع الكفر والكُفَّار ، وغاية الالتفات الانتقال من تعبير رتيب درج عليه نظم الكلام وأنس إليه المُتلقِّي إلى تعبير جديد على غير ما يتوقعه "[1] ، فارتباطه بموضوع الكفر والكُفَّار يُشير بوضوح للقوة الحجاجيّة للالتفات من خلال الاستحضار ، أو التَّحقّق ، أو التَّشنيع وبهذه الصورة " أمكن لنا أن نعتبره طريقة في الضَّغط على ذِهن المُتلقِّي ، ولفت انتباهه إلى مواطن مخصوصة في الرِّسالة "[2] .

وشكّل التفات العدد ما نسبته (18 %) من الالتفاتات وورد في ستة عشر موضعا موضعا ، ونلحظ أن الالتفات من الإفراد إلى الجمع قد وقع في ثلاثة عشر موضعا فشكّل ما نسبته 81 % من مجموعها ، ومنها قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم ﴿ وَاللهِ: ﴿ أَن يَشْهِدَ عَلَيْهُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ [5]

^{1.} الهيشري ، الشاذلي، مقال: الالتفات في القرآن ، **حوليات الجامعة التونسية** ، ع 32 ، 1991

^{2.} صولة ، عبد الله ، الحجاج في القرآن ، ص 459

 ^{30 .} ومن أمثلته : غافر: 5 ، 40 ، فصلت : 20 ، 22 ، الشورى : 41 ، 48 ، الزخرف: 24 ، 30 . ومن أمثلته : 31 ، 45 . الأحقاف : 15 ، 16 - 17 ، 16 - 15 ، الأحقاف : 15 - 16 ، 17 ، 16 - 18 ، 36

^{4 .} سورة فصلت ، الآية : 20

^{5.} سورة فصلت ، الآية : 22

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ﴾[1] ، فقد أفرد السَّمع وجمع الأبصار والجلود والأفئدة ، فتشكل نسق الالتفات في الانتقال من المفرد إلى الجمع، وتحمل هذه الظاهرة في النَّصِّ القرآنيِّ دلالات تشير إلى " توحد وسيلة الإدراك في حاسة السَّمع وتعددها في حاسة البصر - واللمس - فقد أثبت علماء التَّشريح أنَّ مركز الحسّ السَّمعيّ في المخ يمدّه عصب دماغيّ واحد يسمى العصب الثَّامن "[2] ، فظهر بالالتفات قدرة الخالق وإبداع خلقه وما فيه من تحدِّ للبشر .

ووظُّف النَّصِّ القرآني الالتفات في العدول عن الجمع إلى الإفراد في موضعين مشكلا ما نسبته 12 % من مجموع التفاتات العدد ، ففي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [3] تحققت غاية حجاجية بإفراد طفلا " لأنَّه موضع تصغير لشأن الإنسان وتحقير الأمره "[4] ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُبينٌ ﴾[5] ، ففيه قوة توبيخية من خلال العُدُول عن الجمع في ﴿ وَجَعَلُوا ﴾ إلى الإفراد في ﴿ الْإِنسَانَ ﴾ فشكَّل تذييلا دلَّ على استنكار زعم المشركين معرفة الخالق ومع هذا جعلوا له شركاء .

وتم العدول عن التَّثنية إلى الجمع في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [6] ، فقد أسند فعل الإتيان إلى ضمير المثنى ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا ﴾، وفعل الطَّاعة إلى الجمع ﴿ طَائِعِينَ ﴾ ، وتكمن طاقته الحجاجيّة في تأكيد الطَّاعة لكُلِّ ما خلق الله بما فيها من دلالات مجازية " وجاء الإخبار عن طاعتهما متضمنا هذا العدول التَّعريض بهؤلاء الذين ضلت عقولهم "[7].

^{1.} سرة الأحقاف ، الآية : 26

^{2.} طبل ، حسن ، (1990) : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، المدينة المنورة ، ص 112

^{3.} سورة غافر ، الآية: 67

^{4.} ابن جني ، أبو الفتح عثمان (1986): المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ت: على النجدي ، عبد الحليم النجار ، عبدالفتاح شلبي ، دار سركين ، ط2 ، ج2 ، ص267

^{5.} سورة الزخرف ، الآية: 15

^{6.} سورة فصلت ، الآية :11

^{7.} طبل ، حسن ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 129

كما يقع الالتفات في الصيغ ضمن دائرة الزّمن ، فقد رصدنا ثلاثا وعشرين حالة التفات شكلت ما نسبته (27 %) من ظاهرة الالتفات الحجاجيّة في سور الحواميم ، النّي توزعت على الأفعال المختلفة ، ومن خلال إحصاء النّماذج وجدنا أنَّ الالتفات من الفعل الماضي إلى المضارع شكَّل ما نسبته (74 %) من التفات الصيغ ، فقد تتبعنا سبع عشرة حالة ، ويعود سبب ارتفاع هذه النسبة ـ في رأينا ـ لما تمتعت به التفاتات الصيغ من قوة حجاجيّة تمثلت في إثبات القضية الحجاجيّة من خلال الماضي ، وعند تيقن حدوثها يتم العدول للمضارع لتقريب الصبُّورة لذهن المُتلقِّي كأنَّه يُشاهدها أمامه ، فمن خلال آليات هذا الالتفات يتم استحضار صورة تسيطر على المُتلقِّي بسحبه إلى دائرة الإفهام للوصول به إلى دائرة الإقناع ، ومن ثم الاذعان والتسليم للفكرة ، الَّذي هو غاية كُلِّ حجاج .

وتم الانتقال من الماضي إلى المضارع [1]، في قوله تعالى: ﴿ وَهَادَوْا يَا مَالِكُ لِيقضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [2] فقد انتقل الخطاب من الماضي في ﴿ وَهَادَوْا ﴾ مع أن هذا الحدث سيقع في المستقبل فاستُخْدِمَ الماضي لتأكيد حُدُوثِه ، ثُمُّ عَدَل عنه للمضارع في ﴿ لِيَقْضِ ﴾ ليحقق للمُتلقِّي فُرْصَة تخيل حال الكُفَّار في النَّار وهم يتصارَخون ويتمنون الموت للخلاص من العذاب، وجعل الانتقال من الصُّورة كأنَّها تُعرض علينا الآن ممًّا يحقق أعلى درجات التَّفاعُل مع الصُّورة والتَّأثر بها ، ووضَّح ابن الأثير هذه العلاقة " اعلم أن الفعل المستقبل إذا أتى به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ في الإخبار بالفعل الماضي ، وذلك لأنَّ الفعل المستقبل يُوضِّح الحال التَّي يقع فيها ، ويستحضر تلك الصُّورة ، حتَّى كأنَّ السَّامع يشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضي "[3] ، ومن حالات هذا التَّوظيف قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا قَدُل الماضي "[3] ، ومن حالات هذا التَّوظيف قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِن السَّمَاءِ مَا قَدَل الماضي "[3] ، ومن حالات هذا التَّوظيف قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِن السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْبًا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذُلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [4] ، فاستخدام الفعل ﴿ نَزَّلَ ﴾ والفعل مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْبًا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذُلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [4] ، فاستخدام الفعل ﴿ نَزَّلُ ﴾ والفعل

^{1 .} ومن أمثلته : غافر : 5 ، 12 ، 22 ، 66 ، 67 ، فصلت : 30 ، الشورى : 11 ، 27 ، 1 . ومن أمثلته : 34 ، الزخرف : 6 ـ 7 ، 11 ، 50 ، 77 ، الجاثية : 12 ، 22 ، الأحقاف : 33

^{2.} سورة الزخرف ، الآية :77

^{3.} ابن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر ، ج2 ، ص14

^{4.} سورة الزخرف ، الآية: 11

﴿ فَأَنْشَرْنَا ﴾ بصيغة الماضي أكّد قُدْرَة الله على إحياء الأرض بعد موتها وتَحَقّق حدوثه وليَعْدِل به للمضارع ﴿ تُخْرَجُونَ ﴾ ، فتحرَّك الالتفات من الماضي للمضارع ليُحقّق التَّأثير والإقناع بالبعث ، كما أنَّ الالتفات للمضارع كان له دور في تقريب صنورة البعث في ذِهن المُتلقِّي، ليستثمر الصنُّورة الَّتي رسمها الماضي وأكَّد حُدُوثها من إحياء الأرض لتنطبق على الإنسان بعد موته ، وليستحضر صورة البعث وكأنَّه يراها فيستوعبها .

كما وقع الالتفات من الماضي إلى المضارع في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُطْفَةٍ ثُمَّ مِن عُلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن عُلَقَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقة عُرِها للخلق ، ﴿ خَلَقَكُم ﴾ اللَّذِي أفاد تحقق خلق الإنسان بالكيفية الني ذكرت ولا كيفية غيرها للخلق ، إلى المضارع في قوله ﴿ يُخْرِجُكُمْ ﴾ لتقريب صورة الخلق في ذهن المُتلقِّي من خلال صورة شاخصة أمامه بعد الإخبار عن كيفية الخلق ليستحضر صورة هذا الخلق في مراحله العمرية ، فربط سبحانه ما لم يُدركه الإنسان من خلقه بالفعل الماضي ، وما يدركه بالفعل الحاضر .

ويرى ابن الأثير أنّه لا يمكن اعتبار كُلّ التفات من الماضي إلى المضارع يقوم باستحضار الصّورة في ذهن المُتلقِّي وهو ما سماه "بالالتفات البلاغيّ "، فثمة ضرب آخر من الالتفات أسماه الالتفات "غير بلاغيّ "، وأراد به " أن ذلك الفعل مستمر الوجود لم يمض ، فهو مستمر يستأنف في كُلِّ حين "[2] وإن كنا نقدر لابن الأثير هذا الجُهد في تقنين دلالات الالتفات إلا أنّه لا بدّ من الإشارة إلى أنّها تبقى اجتهادات لا تعمَّم على الإطلاق ؛ لأنَّ الفيصل في ذلك هو السيّاق فتختلف الدَّلالة باختلاف مقام السيّاق ، ذلك أنَّ الالتفات من الماضي إلى المضارع ما هو إلا مُحرِّكات زمنية داخل الخطاب تحرص على تحقيق الاستمرارية بعد تحقيق الماضي حتمية الحصول كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنًا إلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِنّتُذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [3] ، فقد التفت من الماضي في ﴿ أَقْحَيْنًا إلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِنّتُذِرَ ﴾ وهذا الاستعمال يؤكد

^{1 .} سورة غافر ، الآية : 67

^{2.} ابن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر ، ج 2 ، ص 17

^{3 .} سورة الشورى ، الآية : 7

أنَّ الفعل مُحقَّق الحدوث لا مَجال للشَّكِّ فيه ، فالله قد أوحى القرآن لسيّدنا مُحمَّد أكَّده ألفعل الماضي ، وبعد أن ركن لتحقق ذلك داخل نفوسهم رغم كُلّ محاولات قريش البائسة للتَّشكيك فيه خارجيا مع قناعتهم بأنَّه من عند الله داخليا، التفت الله سبحانه بالخطاب إلى المضارع ليس لمجرد الزَّينة والتَّحسين فقط بل لما لهذا الالتفات من أثر في إيضاح الغاية من إرسال هذا القرآن وكأن الالتفات جاء جوابا عن سؤال (لماذا أنزل الله القرآن عربيًا ؟) فأجاب الالتفات عن هذا السُّؤال وعلل الغاية من كون القرآن عربيًا ؛ لكي يليق بحال المُنذَرين من أهل مكّة، كما أكد المضارع استمرارية الإنذار بالقرآن حتَّى قيام السَّاعة .

كما بُني الالتفات من المضارع إلى الماضي القياق القرآني في ثلاثة مواقع وشكّلت ما نسبته (13%) من مجموع الالتفات، وغايته الحجاجيّة تقبيح أعمال الكُفّار ففي قوله تعالى: ﴿ فَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا ﴾ [2] ، وأفاد المضارع في ﴿ تَأْتِيهِمْ ﴾ استمرار وتجدد إنيان الرُسل، لكنَّ سياق الكلام أوجب الالتفات للماضي في ﴿ فَكَفَرُوا ﴾ ليشير إلى أنَّ الكفر مُتأصِّل في فكر تلك الأقوام، وثابت في عنادهم ليتمم المعنى المقصود، وكأن الكفر ماض أزلي لا يتغير ولا يتبدل عند الكُفّار في كُلِّ الأوقات والأقوام، وأمام هذا الإلحاد توالى إرسال الرُسل، وهدف الالتفات من المضارع إلى الماضي للتقبيح والتَّشنيع على الكُفَّار لعدم الإيمان بالرُسل، فأثرً الالتفات في المُثلقي من خلال إدخال التَّعجب في نفسه من هذه الأعمال، ليُشارك في إنكارها وتقبيحها.

ووقع الالتفات من الماضي إلى الأمر في موضعين مشكلا ما نسبته (9%) فيقول تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَبِعْهَا ﴾ [3] ، فقد عدل الله في خطابه لسيّدنا محمد من الفعل الماضي ﴿ جَعَلْنَاكَ ﴾ إلى فعل الأمر في ﴿ فَاتَبِعْهَا ﴾ لغاية حجاجيّة قائمة على علاقة تبادليّة بين الماضي والأمر فالاتباع واقع في جواب

^{1 .} من أمثلته : غافر : 22 ، الشورى : 28 ، 45

^{22:} سورة غافر ، الآية 22

^{3 .} سورة الجاثية ، الآية : 18

الشَّرط للجعل ، فكان معطوفا عليها ، فالله سبحانه أكَّد للمُتلقِّي أنه ثبَّت الرَّسول الكريم على الدّين الإسلامي ، فالماضي أكَّد هذا الحدث ، وجاء الأمر في ﴿ فَاتَبِعْهَا ﴾ قاصدا به (دُم على اتباعها) من خلال طلب الدَّوام ، فحقق الالتفات تأكيد حدوث العلاقة ، وتوكيدها في نفس الرَّسول الكريم . فالطَّاقة الحجاجيّة في العدول من الماضي إلى الأمر تتمحور حول تأكيد الماضي بالأمر ، ويظهر في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفُنَا إلَيْكَ الْمُلَم نَفُرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ قُلْمًا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ﴾ أنا ، فالعدول من الفعل الماضي ﴿ حَضَرُوهُ ﴾ إلى فعل الأمر ﴿ أَنصِتُوا ﴾ أكد حدوث الحضور من خلال جواب الشّرط الإنصات ويؤكد أنَّ الجنّ جلسوا في مجلس للرَّسول الكريم وبعد تحقق فعل الحضور تمّ الانتقال للإنصات بما تحمله من جديّة الأمر .

كما يقع الالتفات ضمن دائرة الزَّمن بالعُدُول من المُضارع إلى الأمر وقد رصدنا موضعا واحدا لهذ النَّوع وشكَّل ما نسبته (4%) ، كما في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ مَثُوا يَحْمِلُونَ الْعُرْشَ وَمَنْ حَوْلُهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُوْمُنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفُرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبِّنَا وَسِعِتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَبُعُوا سَبِيلُكَ وَقِهِمْ عَذَابَ رَبِّنَا وَسِعِتُ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرُ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَبُعُوا سَبِيلُكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ وَاللَّهُ عَلَى اللَّم في ﴿ وَيَسْتَغْفُرُونَ ﴾ إلى الأمر في ﴿ فَاغْفِرْ ﴾ ذلك الْجَحِيم والنقل من المضارع يشير لوجود طائفة شريفة من الملائكة تحمل عرش الرَّحمن ، وتستغفر المؤمنين ، فوظيفتها حمل العرش والتَّسبيح لله والإيمان به والاستغفار لمن آمن بسيّدنا محمَّد في ذلك الزَّمان وما تليه من أزمنة ، ولكي لا يظن من كَفَر أنّ الاستغفار خاص بتلك الفئة لما لها من سَبْق الإيمان ، تحوَّل الخطاب الرَّبانيّ بالالتفات إلى (الأمر) لخطاب حجاجيّ ، ليؤكد في نفس المُتلقِّي أنَّ المغفرة داخلة لكُلِّ مُشرك تاب عن شركه وآمن بالله تعالى ، ممَّا أحدث تفاعُلاً بهذا الانتقال بين المُتكلَّم والمُتلقِّي ، ففي الالتفات تعظيم من شأن الملائكة وكذلك فيه تعظيم للمؤمنين في كُلِّ زمان .

^{1.} سورة الأحقاف ، الآية: 29

^{2 .} سورة غافر ، الآية : 7

2. الاستعارة الحجَاجيّة

بدأ الاهتمام بالاستعارة وعلاقتها التواصلية بالنصوص منذ عهد أرسطو من خلال تتاوله شكل الكلمة من ناحية البناء في اللّغة الشّعريّة ، مهتما بالانتقال من المعنى الحقيقي إلى معنى آخر في الاستعمال اللّغوي للكلمة ، ليسيطر مفهوم (النّقل) على البلاغيين العرب حتّى القرن الرّابع الهجريّ فنجد أبا هلال العسكريّ يُعرّف الاستعارة بأنّها " نَقْل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى أو الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه "[1] ، لتسيطر هذه الفكرة حتى القرن الرابع الهجريّ .

وبرزت جُهود عبد القاهر الجرجانيّ في مجال الاستعارة الحجاجيّة عندما أهتمً بمفهوم (الادّعاء) ودوره في الإثبات ، ورفض مفهوم (النّقل) لِيُؤسس الاستعارة الحجاجيّة في البلاغة العربيّة " فقد تبيَّن من غير وجه أنّ الاستعارة إنَّما هي ادّعاء معنى الاسم للشّيء ، لا نقل الاسم عن الشّيء ، وإذا ثبت أنها ادّعاء معنى الاسم للشّيء علمت أن الَّذي قالوه من (أنّها تعليق للعبارة على غير ما وضعت له في اللغة ، ونقل لها عمّا وضعت له) كلام قد تسامحوا فيه لأنّه إذا كانت (الاستعارة) ادّعاء معنى الاسم لم يكن الاسم مُزَالا عمًا وُضِع له بل مُقرّا عليه "21 ، فالاستعارة عنده " طريقة من طرائق إثبات المعنى وتأكيده ... وأنَّ المعنى الَّذي تُحصّلُه من الاستعارة ليس هو المعنى الأصلي المزعوم وإنّما هو معنى جديد نبع من تفاعُل كلا الطَّرفين اللّه يكوّنا الاستعارة "قد أصل للاستعارة الحجاجيّة باعتماده موضوع الادّعاء فهو " أول من استخدم آليات حجاجيّة لوصف الاستعارة ، فقد أدخل مفهوم الادّعاء بمقتضياته النَّداوليّة النَّلاثة : النَّعرير والتَّحقيق والتَّدليل ، ناقلا القول الاستعاريّ من مرتبة الدَّلاة المجردة إلى مرتبة النَّداوليّة النَّداول النَّت تتوخى مُقتضيات مقام الكلام." [14]

^{1.} العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله ، الصناعتين ، ص 268

^{2 .} الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 437

^{3.} عصفور ، جابر، (1992) : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العربي ، المركز الثقافي العربي . بيروت ، ط 3 ، ص 226

^{4.} عبد الرحمن ، طه ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 306 ـ 313

والاستعمال الاستعاريّ في الدَّرس الحجاجيّ وسيلة تواصليّة في النَّصُ ؛ لأنَّها تُحْدِثُ تَفَاعُلا مع الآخر ، وتتحول لأداة من أدوات الإقناع الحجاجيّ بما تقوم به من تأثير عند تحويل المعنى المُتَخَيِّل إلى أفكار جديدة اعتمادا على مُقومات حسية " فالقول الاستعاريّ يُعَدُّ آليه حجاجيّة بامتياز ، ويتميز عن القول الحَرْفِيِّ في الحجاج بكونه يؤدي عدَّة وظائف في عملية التَخَاطُب وعَمليتي الفهم والتَّأويل بين المُتكلِّم والمستمع ، محولا البناء الحجاجيّ بكاملة إلى بناء استعاريّ "انا ، وتوضيِّح إيلينا سيمينو في كتابها (الاستعارة في الخطاب) قصدها بالاستعارة بأنَّها " الظَّاهرة الَّتي نتكلم ، وربما نفكر من خلالها بشيء ما ، بمفردات شيء آخر ، وربعما يعكس هذا ويعزز طريقة معينة في التَّفكير حول صعوبات مُتشابكة "أكا ، على أن الاستعارة الحجاجيّة ولي العاطفيّ للمُتلقِّي ، وهي من الوسائل الَّتي يستغلها للوصول إلى أهدافه الحجاجيّة ، بل العاطفيّ للمُتلقِّي ، وهي من الوسائل الَّتي يستغلها للوصول إلى أهدافه الحجاجيّة ، بل للغة الطّبيعيّة . "أنا

وحظيت الاستعارة باهتمام كبير من المشتغلين في البلاغة والفلسفة واللسانيات ممًّا شكَّل بيئة خصبة لتعدد النَّظريات الَّتي تُوَظِّف دورها في النَّصِّ فتوعت مُنطلقات هذه الدراسات ، لأنَّ " الاستعارة في المقامات الحواريَّة الحجاجيّة تأتي بوصفها وسيلة حجاجيّة توفر مجموعة من الخُصنُوصيات فيما يتعلق بعمليات الفهم والإفهام والإقناع والتَّأثير "[14] ، ويرى طه عبدالرحمن من خلال مقاربته التَّداوليّة أن " القول الاستعاريّقول جواري وحواريته صفة ذاتية فيه ، وأنَّه قول حجاجيّ وحجاجيته من الصنف التَّفاعليّ نخصه باسم التَّحاج وهو مرتبة ثالثة من الاستدلال بعد البُرهان والحِجَاج. "[5]

.....

^{1.} عشير ، عبد السلام ، (2006) : عندما نتواصل نغير ، إفريقيا الشرق ـ المغرب، ص120 ، 121 .

^{20.} الدكان ، محمد بن سعد، الدفاع عن الأفكار ، ص 202

^{3 .} الشهري ، عبد الهادي ، مقال : آليات الحجاج وأدواته ، ضمن كتاب <u>الحجاج مفهومه و</u> مجالاته ، ج1، ص 134 ، 236

^{4.} الدكان ، محمد بن سعد ، الدفاع عن الأفكار ، ص 203

^{5.} عبد الرحمن ، طه ، اللسان والميزان ، ص 310

ويُولي ريتشاردز أهميَّة بالغة للدَّور التَّفاعلي للطَّاقة الاستعاريّة داخل السيّاق ذلك أن الاستعارة عنده " جمعا لفكرتين مختلفتين تعملان معا وتُسنئذان إلى كلمة واحدة أو عبارة واحدة يكون حاصل معناها ناتجا عن تفاعُل هاتين الفكرتين "انا ، فالاستعارة قائمة على التَّفاعُل بين طرفيها ليشكلان الصُّورة الاستعاريَّة دون نقل أو استبدال ويُمثل كُلّ طرفٍ فكرة مختلفة ومن خلال تفاعل الفكرتين تتكون الصُّورة ففي قول المتنبي (رجلا قامت تعانقه الأسدُ) نضفي على الرَّجل صفات الأسود ، كما نضفي على الأسد صفات الرُجولة ومن تفاعل الفكرتين في السيّاق نصل لفهم العلاقة بين الطَّرفين دون هيمنة طرف على آخر ، فالصُّورة الاستعاريَّة لا تُبنّي على نقل صفات المُستَعَار منه إلى المُستَعَار له ، بل تعتمد على التَّصور الذِّهني الَّذي يتكون عند المُتلقِّي من خلال تفاعل طرفي الاستعارة ، وهذا ما أكدته المدرسة التَّفاعليّة للاستعارة "من أن علاقة المُشابهة ليست الوحيدة المُؤسِّسة للاستعارة بل يَنْضَاف إليها علاقات السَّاظر والنَّعالق، وأنَّها تُوْسَمُ بالتَّفاعليّة للتَّفاعُل الحَاصِل بين ملفوظاتها ، وأنَّ نجاح الاستعارة يبقى ببقاء المُتلقِّي مُذركاً للاتساعاليّة للكلمة المجاز ."

المُقل ببقاء المُتلقي مُدْركاً للاتساع الدَّلائي للكلمة المجاز ."

المُنتَعارة المُتلقي مُدْركاً للاتساع الدَّلائي للكلمة المجاز ."

المُنتورة عند المُتلقي مُدْركاً للاتساع الدَّلائي للكلمة المجاز ."

المُنتورة عند المُتلقي مُدْركاً للاتساع الدَّلائي للكلمة المجاز ."

المُنتورة عند المُتلقي مُدْركاً للاتساع الدَّلائي للكلمة المجاز ."

المُنتورة عند المُتلقي مُدْركاً للاتساع الدَّلائي للكلمة المجاز ."

المُنتورة عند المُتلقي المُتلقي المُنتورة المكان المَلْمة المجاز ."

المُنتورة عند المُتلقى مُن المُنتورة المُنتورة المُنتورة المُنتورة المُنتورة المُنتورة المُنتورة المُنتورة المُنتورة المنابقة المُنتورة المؤلفة المجاز ."

المُنتورة عند المُنتورة المنتورة المؤلفة المجارة المخارة المؤلفة المؤلف

كما تَمْنَحُ الاستعارة النّص مساحة من التّأثير من خلال علاقات يُنشئها الذّهن "وإذا فحصنا أثر الاستعارة جيدا وجدنا أن هذا الأثر لا ينشأ من العلاقات المنطقيّة المُتضمنة إلا في حالات قليلة جدا ، إنّ الاستعارة هي وسيلة شبه خفيَّة يَدْخُلُ بواسطتها في نسيج التّجربة عدد كبير من العناصر المتتوعة، تتشأ من إدراك داخلي عند المُبْدِع،قادر على إقامة علائق ودلالات جديدة بين الموجودات الخارجية تعتمد على الاتحاد والامتزاج لا على المقارنة والتّمييز ، وتسعى لخلق الصّورة الفنيّة المُعبرة عن رُؤية المُبْدِع المتفردة بربط الوجود بالإحساس "[3]، لهذا اعتبر " البحث في الخطاب الاستعاري هو جزء من البحث في الخطاب البلاغي نظرا للمكانة التي تحتلها بين باقي الصور البلاغية "[4].

الثقافي العربي . بيروت ، ط1 ، ص 93

^{1.} الزماني ، كمال ، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية ، ص 48

^{2.} صبحي ، أميمة ، (2015) : حجاجية الخطاب ، دار كنوز المعرفة ـ عمان ، ط1، ص 176 . مباحي ، أميمة ، (1994) : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، المركز . صالح ، بشرى موسى ، (1994) : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، المركز

^{4.} خالفي ، حسين ، (2011): البلاغة وتحليل الخطاب ، دار الفارابي ـ بيروت ، ط1 ، ص29

واجتهد بعض دارسي الاستعارة في التَّمييز بين نوعين من الاستعارة ، واطلقوا على الأولى "الاستعارة الحجاجيّة "وعلى الأخرى" الاستعارة البديعيّة "، فالاستعارة الحجاجيّة هي الَّتي تُؤدي وظيفة حجاجيّة إقناعيّة من خلال الضَّغط على ذِهْن المُتلقِّي للوصول للأهداف الحجاجية ، وترتبط بالسِّياقات التَّخاطبيّة والتَّواصليّة لتكون أداة تَواصلُ وتَخاطُب ، وبعمليات الفهم والتَّأويل بين المُتكلِّم والمُتلقِّي لتكون أداة حوار واقناع ، ذلك أنَّ " القوة الحجاجيّة في المفردات تبدو في الاستعمالات الاستعاريّة الحجاجيّة أقوى ممّا نحسه عند استخدامها لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي "[1] ، فالاستعارة " إضمارٌ للتَّماثل يُمْكِنُها أن تكون حُجَّة عندما تخدم الإقناع، فهي نقطة ارتباط في اللغة بوصفها استعارة في حدِّ ذاتها ، وفي الفكر بوصفه ظاهرة التَّماثل "[2] ، أمَّا الاستعارة البديعيّة فهي إحدى وسائل تَجْمِيل الخطاب وزَخْرَفَتِه "تكون مقصودة لذاتها ولا ترتبط بالمُتكلمينَ وبمَقَاصِدهم وأهدافهم الحجاجيّة، وانَّما نجده عند بعض الأدباء الَّذين يهدفون من ورائه إلى إظهار تمكنهم من اللغة ، فالسِّياق هنا سياق الزُّخرف اللفظيّ والتَّفنن الأسلوبيّ وليس سياق التَّواصئل والتَّخاطُب "[3] ، وتُقَارِبُ الدُّريدي بين الاستعارتين بالقول " إنَّ الاستعارة وإن لم تكن حجاجيّة يأتى بها الشَّاعر احتجاجا لفكرة فإنَّها تظلّ مع كونها زينة للكلام وتوشية للقول فاعلة في المتلقّى ، ففي مُقابل الغاية الجماليّة للاستعارة الشّعريّة مطمحا إقناعيّا للاستعارة الحجاجيّة ، فللاستعارة الشّعريّة قدرة على الفعل بجمالها والتّأثير في المُتلقّي بسحرها ، كما أنَّ هذا التَّفريق لا يعنى أنَّ كُلَّ استعارة حجاجيّة عارية بطبيعتها من كُلِّ قيمة جماليّة "[4] فالجمال مُقْتَرن بالإقناع ، وحاول البعض تلمس استراتيجية العلاقة بين الاستعارة وعلم العلامات من مُنطلق سيميائيّ يبين ما للاستعارة " من قدرة على تغيير المعنى داخل الخطابات ، وبناء لغة تحمل شيفرات متنوعة ."[5]

^{1.} الشهري ، عبد الهادي بن ظافر ، آليات الحجاج وأدواته ، ص 134

^{2.} بروتون ، فيليب ، الحجاج في التواصل ، ص 122

^{3.} الغزاوي ، أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص 109

^{4.} الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، ص 121 ، 122

^{5.} يوسف ، عبد الفتاح أحمد، (2010) : السانيات الخطاب وإنساق الثقافة ، منشورات الاختلاف . الجزائر ، ط1 ، ص 179

ووظّفت الاستعارة الحجاجيّة في سور الحواميم في أكثر من خمسين موضعا ، مشكلة ما نسبته (31%) من الحجاج البلاغيّ ، ونُرْجِع أسباب ارتفاع هذه الظّاهرة الله ما تتمتع به الاستعارة من قدرة على إحداث تغيير في المواقف الفكريّة والعقديّة والنَّفسيّة للمُتلقَّي للوُصول إلى الأهداف الحجاجيّة من خلال دوائر الإفهام المُوصلة للإقناع ، ومن ثُمَّ إلى التَّأثير والتَّغيير ؛ لأنَّها " أصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه ، وتصور المنظر للعين ، وتنقل الصَّوت للأذن وتجعل المعنويّ ملموسا محساً "[11] ، فالاستعارة الحجاجيّة " ليست حركة في الألفاظ ، وإنّما هي حركة في المعاني الدّلالات ، وهي ليست بديعاً ، بل هي طريقة من طرق الإثبات المعنى وتوطيده في النَّفس.

وتعتمد الاستعارة على مبدأي "الادّعاء"و "الاعتراض" في كشف طاقاتها الحجاجيّة والّتي وضع أساسها عبد القاهر الجرجانيّ عندما ذهب إلى أن الاستعارة ما هي إلا طريقة من طرق الإثبات بالادّعاء ، فالاستعارة " يراد إثبات صفة للشيء ... وادّعيتها عليه ورَمَيْته بها "[3] ، فالادّعاء فعل حجاجيّ يقوي من ثبات الصّفة في البناء الاستعاريّ بهدف تأكيد المعنى الحجاجيّ ، فخاصية الادّعاء الحجاجيّة " يتغيا فيه المُدعي إثبات قوله بالمجانسة بين المستعار منه والمستعار له لتحقيق مبدأ التّأييد "[4] ، ويتجلى عمل الادّعاء الحجاجيّ عندما " يكون المُدعي معتقدا صدق دعواه وأن تكون له بينات عليها يعتقد صحتها وصدق القضايا الّتي تتركب منها هذه البينات ، كما له الحقّ في أن يُطالب محاوره بأن يصدّق دعواه ويقتنع بما يقيمه من أدلة عليها "[5] .

وهدفت الاستعارة تأكيد المعنى الحجاجيّ وإثباته عند المُتلقِّي في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾

^{1.} بدوي ، أحمد أحمد ، من بلاغة القرآن ، ص 167

^{2.} المودن، حسن، (2014): بلاغة الخطاب الإقتاعي، دار كنوز المعرفة ـ عمان ،ط1 ،ص250

^{3.} الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 438

^{4.} مكناسى ، صفية، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري ، ص 111

^{5.} عبد الرحمن ، طه ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 311

^{6.} سورة الشوري ، الآية: 17

قامت بإثبات صفة العدل والانصاف للقرآن ، فبرز الادّعاء كفعل حجاجيّ يؤكد ثبات الصّفة المُشتركة بين طرفي الاستعارة لتأكيد معنى العدل ، فقامت الاستعارة بدور الحُجّة للإقناع بصدق القرآن ، وصفات مُنزِله للتّأثير في ذهن المُتلقِّي للوصول به للإِدعان بأنَّ صفات هذا القرآن مُستمدّة من صفات مُنْزِلَه تعالى شأنه ؛ لإثبات حقيقة أنَّه من عند الله، لتظهر القوة الحجاجيَّة في هذه الاستعارة من خلال إبرازها لشيء خفي معنويّ وهو العدل ونقله لشيء حسّي وهو الميزان ومن خلال إثبات صفة العدل لمُرسل القرآن بالاستعارة ، يكون إثبات صفة العدل للقرآن الّتي استمدها من مُرسله ، فالعدل لا يصدر عنه إلا عدل " فتلطف الله بالاستعارة فيما أراد إثباته ، حتَّى جعلها كالشَّيء اللّذي يجب له الثُبوت والحصول ، وكالأمر الّذي نصب له دليل بقطع وجوده "الله".

وبعد أن أُثْنِتَ صفة العدل القرآن تدرَّجت الاستعارة لإثبات صفة الحفظ القرآن بإيضاح الأمور المعنوية بأشياء محسوسة ، يقول تعالى ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٍّ حَكِيمٌ ﴾ [2] ، فقد عُبِّر باللفظ الاستعاريّ ﴿ أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ عن أصل الكتاب ، فاستعير لفظ ﴿ أُمِّ ﴾ للأصل لتتشكّل الطّاقة الحجاجيّة للاستعارة المكنية من خلال توظيفها (أُمِّ) ضمن سياق " يمثل ما ليس بمرئي حتَّى يصير مرئيا فينتقل السّامع من حدِّ السّماع اللي حدِّ العيان "[3] . فقد شبه الألواح الَّتي حُفِظَ فيها القرآن الكريم بالأُمُ ، فتمَّ الاحتجاج القضية حفظ القرآن ، فتحوّلت الاستعارة دليلا يثبت الحفظ ، فبانت المُخاطَب " باستعارته فائدة ومعنى وغرض ، لولا مكان تلك الاستعارة لم يحصل "[4] ، في قوله : ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَيُّ حَكِيمٌ ﴾.

(ن: حفظ القرآن)
ح3 - ﴿ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ ح2 - ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ح1 - ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾

^{1.} الجرجاني ، عبد القاهر ، **دلائل الإعجاز** ، ص 72

^{2 .} سورة الزخرف ، الآية : 4

^{3 .} الزركشي ، بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 433

^{4.} الجرجاني ، عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، ص 33

ومع استمرار إنكار الكُفّار وعنادهم انتقلت الاستعارة لمُستوى آخر من الإقناع عن طريق إجراء مُقارنة القُرآن بالكتاب الَّذِي أنزل على سيّدِنَا موسى وعرفوا صِدْقَهُ ؟ لإثبات أنَّ مَصْدَرَ كِلَا الكتابينِ واحدٌ ، كما أنَّ دور الرُّسُل واحد ، وكذلك حال الكافرين مع كُلِّ الرُّسُل واحد ، فيقول تعالى : ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [1] ، فاستخدمت ﴿ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ وأصْل هذا الإطلاق استعارة مكنية صارت بمنزلة الحقيقة ، وَاسْتُعِيرَ الإمام لكتاب موسى ؟ لأنّه يُرْشِد إلى ما يجب عمله ، ووَصنفُ الكتابِ بها استعارةٌ لكونه سبباً في نفع المتبعين لِمَا تضمّنه من الخير [2] ، وازدادت قوة الإثبات لهذه المطابقة عن طريق التّوظيف الاستعاريّ في القول الحجاجيّ ، فالمُدعي أثبت القيمة العقدية للكتب السّماوية ، جاعلاً من الاستعمال الاستعاريّ آلية من آليات الإقناع للوصول إلى دور الكتب السّماوية في نفع متبعيها .

ووظّفت الاستعارة الحجاجيّة لإظهار بعض (النّعم الإلهيّة) "لدفع الإنسان إلى التّفكير في مَصْدرها وعظمة الخالق المُنعم ، فالحديث عن النّعم الإلهيّة أسلوب آخر من أساليب الدَّعوة "[3] ، والدَّعوة تُبْنَى على النَّأثير في المُتلقِّي للوصول لإقناعه بعظمة الخالق ووحدانيَّته ، يقول تعالى : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السّعَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّرْقَ لِمَن الخالق ووحدانيَّته ، واستعير بلفظ مقاليد على سبيل الاستعارة المكنيَّة عن خيرات السَّماوات والأرض ، فشببه الخيرات بالكُنُوز ، وأُثبت لها ما هو من مُرادفات المشبه به وهو المفاتيح ، والمعنى : أنَّه وحده المُتصرف بما ينفع النَّاس من الخيرات [5] ؛ فالملفوظ التَّصويريّ حقّق استدلال بواسطة الاستعارة لإثبات عظمة الخالق ، محاولا إحداث تغيير في مواقف المُخاطَب الفكريَّة والعاطفيَّة ؛ لإفهامه والتَّأثير فيه وإقناعه .

^{1 .} سورة الأحقاف ، الآية : 12

^{2.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 26 ، ص 24 ـ 25 .

^{3 .} الحمداني ، عبد القادر ، سور الحواميم . دراسة بلاغية تطيلية ، رسالة دكتوراه ، جامعة الموصل ، العراق ، 2003 ، ص 72

^{4 .} سورة الشوري ، الآية : 12

^{5.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 49

وانتقلت بنا الاستعارة إلى إثبات مبدأ رباني مُتمثل في كيفية الاستعاذة من الشَّيطان ، من خلال الملفوظ التَّصويريّ في قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغُ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [1] ، والنَّزغ " النَّخس ، وحقيقته : مسّ شديد للجِلد بِطرَف عُود أو إصبَع ، وهو هنا مستعار لاتصال القوة الشيطانيّة بخواطر الإنسان تأمره بالشّر وتصرفه عن الخير "[2] ، فالاستعارة مُوجه نحو ذهن المُتلقِّي تحتُّه على التَّفكير وإعمال العقل من خلال تفاعله مع هذه الاستعارة الَّتي تُوصِلُه لحقيقة عداوة الشَّيطان الأزلية للإنسان وسعيه الدؤوب للايقاع به وابعاده عن الخالق ، وتكمن القوة الاستدلاليّة في هذه الاستعارة بفهم أهداف الشّيطان الإغوائية ، ذلك أنَّ الرَّسول الكريم وهو المحمى من الله تعالى لم يسلم من مخططات الشَّيطان ، فكيف بالإنسان ؟ ومن نِعَم الله على الإنسان أنَّه لقنه طريقة حماية نفسه من نزغ الشَّيطان بالاستعاذة منه فمنظومة الاستعارة في هذه الآية توصلنا للغاية الحجاجيّة في الأقوال الاستعاريّة الّتي تهدف لإثبات مبدأ الاستعادة من الشَّيطان، فيلزم الاستعمال الاستعاريّ المُتلقِّي في الأقوال الحجاجيّة الاستلزام المنطقىّ لحقيقة الاستعادة ، والإدعان لها .

وساهم البناء الاستعاريّ في إثبات ادّعاء اختلاف اليهود والنّصاري الذين عاصروا النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام في أنبيائهم ، يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكِّ مِّنْهُ مُريب ﴾ [3] ، فاستُعير لَفْظُ ﴿ أُورِثُوا ﴾ للإشارة للخلفية في علم الكتاب ، فأثبتت الاستعارة أنَّ هذه الفئة من اليهود والنَّصاري تصارع انفعالات نفسيّة عنيفة دفعتهم إلى الشَّكَّ في القرآن، وتعاقبت الاستعارات في استعارة ﴿فِي شَكُّ ﴾ " ظرفية مجازية وهي استعارة تبعية ، شُبه تمكن الشَّكَّ من نفوسهم بإحاطة الظَّرف بالمظروف "[4] ، فحقّقت الاستعارة الغاية الحجاجيّة بإثبات اختلاف علماء اليهود والنَّصاري في أمر النُبوة ، فكانت الاستعارة دليلاً قوياً يصعب إبطاله .

^{1.} سورة فصلت ، الآبة : 36

^{2.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 24 ، ص 297

^{3 .} سورة الشوري ، الآية : 14

^{4 .} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 58 ـ 59

وفي القرآن الكريم حججاً استعاريَّة تُناغي الرُّوح من خلال خطاب الرَّسول الكريم في قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَعَىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنًا إِلَيْكَ وَمَا وَصَيْنًا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَقَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [1] ، فاستُعيرت اللفظة ﴿ شَرَعَ ﴾ هنا للتبيين ، فأوحت الاستعارة بما في هذا الشَّرع من امتداد يشمل كُلَّ البشريَّة ، ذلك أنَّ الشَّرع لُغة " مُوْرِد الشَّارية الَّتي يشرعها النَّاس فيشريون منها ويستقُون ، والعرب لا تسميها شريعة حتَّى يكون الماء عدا لا انقطاع له "[2] ، فكانت الاستعارة دليلاً قوياً على إثبات أنَّ الدِّين الإسلاميّ هو امتداد للدِّيانات السَّماويّة من أقدم رسالة أرسلت لسيِّدنا نوح عليه السّلام ، كما جاءت الاستعارة في ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَقُوا فِيهِ ﴾ فالاستعارة في (أقيموا ولا تتفرقوا) للحرص على العمل به ، فغاية الاستعارات حَثَّ النَّاس على التَّمسُك بِكُبْرَى النَّعم الإلهية عليهم المتمثلة في الإسلام فهي نعمة روحيَّة .

ووضّحت الاستعارة الحجاجيّة بعض القواعد الإيمانيّة من خلال تَعْمِيمها على المجتمع الإسلاميّ ما يُؤدي إلى عملية إقناعيّة في التَّخاطُب للوُصُول الفهم وإثبات الأفكار عند المُتلقِّي ؛ لأنَّها " ليست زخرفة لفظية ، وإنّما هي منتج الدلالة ومؤسس المعنى "[3] ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلّا نُو حَظِّ المعنى "أما ، فلفظ ﴿ يُلَقَّاهَا ﴾ مستعار السعي التحصيلها ، كما تكمن أهميَّة الاستعارة الحجاجيَّة في المَضمون الدَّلالي الَّذي تسعى لإيصاله المُتلقِّي حتَّى يكون الإحساس بالفكرة مُقْنِعا ومُؤثِّرا ، فتتولَّد القوة الاقناعيّة في الاستعارة ، كما في قوله : ﴿ وَلِكُلُّ دَرَجَاتٌ مَمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِينَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [5] ، فأوضحت الاستعارة ﴿ دَرَجَاتٌ مَمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِينَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [5] ، فأوضحت الاستعارة درجات فكونت الاستعارة الحجاجيّة من الثَّائيَّة الضِّديَّة في السيّاق أداة إقناع .

^{1 .} سورة الشورى ، الآية : 13

^{2.} ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب مادة (شرع)

^{3.} الهزاني ، حصة ، الوظيفة الحجاجية للاستعارة ، المجلة الأردنية في اللغة العربية ،م13، ع3

^{4.} سورة فصلت ، الآية : 35

^{5.} سورة الأحقاف ، الآية: 19

وحضرت الاستعارة في خطاب الله عزّ وجلّ للرّسول الكريم في سور الحواميم لأهداف مُتتوعة منها ثبات مكانة القُرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا الْبَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ الله أستعيرت ﴿ رُوحًا ﴾ للقرآن الكريم ، فقد جعلت الهداية من الضّلالة بحلول الرُوح في الجسد للدّلالة على مكانة القرآن وإقناع المُشركين بضرورة الإيمان ، كما تحمل ﴿ رُوحًا ﴾ في دلالاتها المعنوية قَدْرا من التّعظيم للقرآن وقوة حجاجيّة بأنّه من عند الله لإلزام النّاس بالتّصديق به ، كما أنّ في تنكيرها شيء من التّعظيم ، زاد مع ضمير المُنكلِّم في ﴿ أَمْرِنَا ﴾ ، كما استُعيرت ﴿ نُورًا ﴾ للقرآن لما فيه من الهُدى ، فالقرآن كالرُوح للجسد ، وكالنُور للكون ، مِمًا يزيد الإقناع عند المُتلقِّي عن طريق الاستعارة ، وأبانت الاستعارة الحجاجيّة في خطاب الله للرّسول عن قيمة الدّين الإسلاميّ للنّاس وأهميّيته ، ولم تُهْمِل الاستعارة الإشادة بمواقف المُؤمنين في قوله : ﴿ إِنَّ الّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ استُقَامُوا تَنَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمُلَاكِكُةُ ﴾ إنّ ، باستعارة الاستقامة والّتي تعني معجميّا عدم الاعوجاج والميلِ ، واستعيرت لإثبات معنى من يجمع حسن العمل والسّيرة على الحقّ والصدّق ، وفيها دعوة للمؤمنين بالنّبات على يجمع حسن العمل والسّيرة على الحقّ والصّدة ، وفيها دعوة للمؤمنين بالنّبات على التوّحيد والالتزام بما كلفوا به .

كما أكدت الاستعارة من خلال استعمالها الحجاجي إثبات ادّعاء بطلان حجج الكُفَّار ، فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ وَالنَّي تعني : " الزَّلق ، ومكان دحض وَاحضة عند رَبِّهِمْ ﴾ [3] ، فاستُعيرت ﴿ وَاحِضَة ﴾ والتي تعني : " الزَّلق ، ومكان دحض إذا كان مزلة لا تثبت عليها الأقدام "[4] ، واستعير الدَّحض للبطلان بجامع عدم الثُبوت كما لا تثبت القدَم في المكان الدَّحْضِ ، ولم يبين وجه دحضها اكتفاء بما بئين في تضاعيف ما نَزل من القرآن من الأدلة على فساد تعدّد الآلهة [5] ، فأراد الله من خلال الاستعمال الحجاجيّ للاستعارة الاعتراض على كُلِّ حجج الكُفَّار وإثبات بطلانها.

^{1 .} سورة الشوري ، الآية : 52

² سورة فصلت ، الآية : 30

^{3 .} سورة الشورى ، الآية : 16

^{4 .} ابن منظور ، محمد بن مكرم ، السان العرب ، مادة (دحض)

^{5.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 66

ويظهر البُعد الحجاجيّ للقول الاستعاريّ من خلال الجمع بين المتناقضات ، مِمًا يساعد على إثبات المعنى الحجاجيّ عند المُتلقِّي ، فالاستعمال الاستعاريّ في القول الحجاجيّ يزيد من قوة الإثبات عن طريق المقارنة بين المتضادين ، فالمُدعي يعمد إلى إثبات ادَّعائه بهذه المقابلة بهدف الإقرار بها وقبول حكمها ، فمثلت الاستعارة الحجاجية دور أداة الإيضاح لتبين طريق الخير وطريق الشَّرِ من خلال المُقابلة الضديّة بينهما في قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثُ الْآخِرَةِ نَرْدُ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثُ الْآخِرَةِ مِنْ اللَّذِيرَةِ مِنْ اللَّذِيرَةِ مِنْ اللَّذِيرَةِ مِنْ اللَّذِيرَةِ مِن تَصِيبٍ ﴾ [11] ، فاستُعير ﴿ حَرْثُ ﴾ للزّيادة ، فقابلت الاستعارة بين (المُؤمِن) وضده (الكافر) ، لما فيها من حَثُ للإقبال على الأخرة بالأعمال الصالحة للمؤمِن ، وسُخْرِيَّة من إقبال الكافر على الدُنيا ، فقد " توافرت على خُصُوبة في التَّعبير وحيويَّة تمثَّلت بإخراج المعنى الَّذي يرمي إليه القرآن بالتَّصوير الحسِّيّ بتجسيد الأعمال في صورة (الحرث) القريبة إلى الحسِّ والوجدان في معانيها المُوحِية المُؤثِّرة "[2] .

ووظَّفت الألفاظ في القرآن بما تحمل من طاقة مجازية من خلال الاستعارة الّتي اهتمّت بتشخيص الجماد ضِمْنَ تصوّرات المُدعي ، فتحوّل الجماد منزوع المشاعر إلى كائن مُنْفَعِل الأحاسيس، فالسّماء والأرض تمتنع عن البُكاء على الكُفّار في قوله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ [3] ، فأوحت الاستعارة المكنيّة بِمَقْتِ الكافرين وعدم الحزن عليهم ، " وأَنْبَتَتُ أنَّ للجمادات عاطفة وأنّها موجودة في كُلِّ المخلوقات على قَدْرِ الحاجة "[4] ، لكنَّ الاستعارة تحمل معنى خفياً مُفرح للمُؤمِن من خلال الضِّد إذ يتيقن المُؤمِن بالقياس أنَّ السّماء والأرض تحزن على موته وتبكي عليه ، "فالاستعارة آليّة تصوّريّة تحكم اشتغال نظام تفكيرنا ، وتتأسّس على فهم لمجال تصوّريّ ما عن طريق آخر ، وهو إسقاط بطبيعته جزئيّ يسعى إلى فهم المجرّد عن طريق المحسوس "[5].

^{20: 1}. سورة الشورى ، الآية

^{2.} الحمداني ، عبد القادر ، سور الحواميم . دراسة بلاغية تحليلية ، ص 286

^{3 .} سورة الدخان ، الآية : 29

^{4.} الشعراوي، محمد متولي، (1991): تفسير الشعراوي، منشورات أخبار اليوم، القاهرة، ص14004

²⁰¹⁸، 1، محمد ، الفضاء وتمثل بُنى اللغة والخطاب ، مجلة سياقات ، م3 ، 4 ، 5 .

وبرزت الصِّفة الحجاجيّة للقول الاستعاريّ من خلال توظيف مبدأ الاعتراض ، والذي يعمل على تفنيد دعوة سابقة من خلال تقديم الحجج والبراهين النَّابعة من الاستعمال الاستعاريّ ، وما فيه من قوة إقناعيّة وطاقة تأثيريّة فشروط الاعتراض " أن يرد على دعوة سابقة ، وأن يطالب المعترضُ المدعي بإثبات دعواه ، وأن لا يُسلِّم له إلا عند تمام اقتناعه بصحة هذا الإثبات "[1] ، وبرز الحِجَاج من خلال " مبدأ الاعتراض في طريقة توسل الاستعارة للتمكّن من دحض الحجج القائمة بإقامة حجج أقوى منها ، وقد جيء بالاستعارة في حدّ ذاتها لتبيان الأمور على حقيقتها دون زيف يذكر "[2] ، ومن هنا فالاعتراض الاستعاري " فعل استجابيّ ، إذ يصدر من صاحبه كردّ فعل على قول خصمه."[3]

وجاء الاستعمال الاستعاريّ للاعتراض على كُلِّ من يتعرض لفصاحة القرآن ، فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِلَتُ آيَاتُهُ ﴾ [1] ، فالله عز وجلّ فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِلَتُ آيَاتُهُ ﴾ [1] ، فالله عزيه ، يعترض على من يعاند في أمر فصاحة القرآن ، ويطالب أن يكون القرآن بلغة غريبة ، وبقصد إقامة الحُجَّة على هذا العناد فجاء الاستعمال الاستعارة في لفظ (أعجميّ) ، للتتليل على أن هذه الرَّغبة ما هي إلا شكل من أشكال العناد ، ففندت الاستعارة وصف القرآن بالأعجميّ تشبيها له بكلام من لا يفصح من حيثُ إنَّ الأعجميّ هو ما لا يفهم معناه ، " فأخبر أنه لو نزل أعجميّا لكانوا يحتجون في ردّه ، إمَّا بأن ذلك خارج عن عُرف خطابهم ، وبأنَّه لا يَبِين لهم وجه الإعجاز فيه ، وأنَّه إذا تحدَّاهم إلى ما هو من لسانهم وشأنهم فعجزوا عنه وجبت الحُجَّةُ عليهم " [1] ، فدحض الاستعمال الاستعاريّ بالاعتراض كُلَّ حججهم الوّاهية فلو جعل الله القرآن أعجميّاً لاستمرُوا في ضلالهم ، وقالوا : ﴿ لَوْلا فُصِلَتُ آيَاتُهُ ﴾ . ولينتقل لتوبيخ المشركين على عنادهم بحجة ضلالهم ، وقالوا : ﴿ لَوْلا فُصِلَتُ آيَاتُهُ ﴾ . ولينتقل لتوبيخ المشركين على عنادهم بحجة

^{1.} عبد الرحمن ، طه، اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص 311

^{2.} مكناسي ، صفية، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي ، ص 123

^{3.} عبد الرحمن ، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 43

^{4 .} سورة فصلت ، الآية : 44

^{5.} الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن ، ص 13

أخرى أقوى تتمثل في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤُمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرُ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى ﴾ فاستعيرت لفظ ﴿ عَمَى ﴾ ضيدً الاهتداء ليعترض على إصرارهم العناد ، فوظّف الاستعارة التوبيخ ، فلم يستطيعوا رُوئية الأدلة الّتي قدمت لهم فجاءت الاستعارة مُحَمَّلة بدلالة إيحائية فالألفاظ فيها لا تُقْصَد لذاتها وإنّما لمعان ودلالات نستشفها من وراء وجودها في السّياق مُرتبطة بما تقضي أحكام النّظم فيستمِرُوا في إنكارهم رَغْم هذا التوبيخ ، ليرتفع نسق التوبيخ والتقريع باستخدام الاستعارة التَمثيليَّة في قوله : ﴿ أُولَئِكَ يَنُادُونَ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ، فقد شبّة حالهم في عدم قبول المواعظ وإعراضهم عن القرآن بحال من يُنادى من مكان بعيد ، فلا يسمع ولا يفهم ما ينادى بهفحملت الصورة الاستعاريّة من الدَّلالات باعتمادها على الإيحاء [11] ، فتجلى الاعتراض من خلال الاستعمال الاستعاريّ في موقف الله من هذا العناد . كما يعترض الله تعالى على الكفّار له وإعراضهم عنه فيقول تعالى : ﴿ أَفْتَضْرِبُ عَنْكُمُ الذّكُرَ صَفْحًا أَن كُنتُمُ وَرَدُكِ أَمْرٍ هِدَايَتِهِمْ ، وزاد في وصف حالهم استخدام الاستفهام الإنْكَارِيِّ مع الاستعارة ، للضّغظِ عليهم والتَّالِيل على أنّهم قوم اسرفوا وبالغوا في إعراضهم عن القرآن .

وشكل الاستعمال الاستعاري في السيّاق الحجاجيّ وسيلة للكشف عن عِظَم عقاب الأمم الَّتي كفرت برسالات أنبيائها فيقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتُهُمْ رُسُلُهُم عِقابِ الأمم الَّتي كفرت برسالات أنبيائها فيقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَاتُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [3] ، فصور الحِجَاج بالاستعارة هول هذا العقاب ، فقد استُعيرت ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ لتصوير الإحاطة من كُلِّ جانب تصويرا حسيّا لتكون الإحاطة معلومة للمُتلقِّي بما فيها من شدَّة لم تترك لهم احتمال الإفلات منها دون تحديد لنوع العقاب لتترك باب التَّأويل مفتوحا للمُتلقِّي ليتفاعل مع الخطاب ، فيشكِّل المضمون الدَّلاليّ للاستعارة طاقة حجاجيّة .

^{1 .} الحمداني ، عبد القادر ، سور الحواميم . دراسة بلاغية تحليلية ، رسالة دكتوراه ، جامعة الموصل ، العراق ، 2003 ، ص 51 – 53

^{2 .} سورة الزخرف ، الآية : 5

^{3 .} سورة غافر ، الآية : 83

ومع استمرار عناد الكُفَّار يرتفع نسق العذاب في السِّياق الحجاجيّ الاستعاريّ ، فيقول تعالى: ﴿ لِّنُدْيِقَهُمْ عَذَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى ﴾ [1] فجاءت الاستعارة المكنيّة في ﴿ لِنُدْيِقَهُمْ ﴾ لتشبه العذاب بالطَّعام على وجه السُّخرية والتَّهكم ، كما أن عملية التَّذوق تتَرُّ على عَجَلٍ دون تَأْنٍ ، كما في تناول الطَّعام ، فما هذا العذاب المُهلك إلا وجبة سريعة للتَّذوق ولا يقارن بعذاب الآخرة حتَّى نَخَال أن هذا المعنى لا تؤديه غير الاستعارة " عبر استحضار حاسة الذّوق بدلا من استعمال الإصابة لشدّة أثر الذَّوق في المُتلقِّي "[2] ، كما عَمَّقَ البُعد الإقناعيّ استخدام ضمير المتكلم في ﴿ فَأَرْسَلُنْا ﴾ وتعلق الأمر في ﴿ لِنُدْيِقَهُمْ ﴾ بالله للتَّعظيم من شأن الفاعل .

وتستمرُ الاستعارة الحجاجية في إظهار نماذج العقاب الرّبانيّ لمن كفر التّأثير في كفار قريش للاعتبار ولإقناعهم بضرورة تصديق سيّدنا مُحمَّد، فيضرب لهم مثال عذاب قوم ثمود، يقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاستُحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتُهُمْ صَاعِقَةُ الْعَدَابِ الْهُونِ ﴾ [3] فاستُعير لفظ ﴿ الْعَمَىٰ ﴾ الكافر و ﴿ اللّهِدَىٰ ﴾ للمُؤمن ، فقارنت صاعِقة الْعَذَابِ اللهونِ ﴾ المُخاطَب عن حال كلا منهما ، واتبعت باستعارة ﴿ وَفَأَخَذَتُهُمْ صَاعِقة الْعَذَابِ ﴾ لتُؤلف فكرة مركبة من الاستعارتين تزيد من الطّاقة الإقناعية ، كما أن (الصاعقة) متناسبة مع (العمى) لما فيها من طاقة ترهيبيّة . وقامت الاستعارة الحجاجيّة بدور أداة الكشف عن سبب العذاب والانتقام من الكفَّار، كما في قوله تعالى الحجاجيّة بدور أداة الكشف عن سبب العذاب والانتقام من الكفَّار، كما في قوله تعالى كافر عنيد ، وموعظة لكفًّار قريش ، فاستُعير لفظ ﴿ آسَفُونَا ﴾ امعنى عصونا دون إشارة للمعاصي الَّتي قاموا بها لتختزل الاستعارة كُلَّ أصناف المعاصي لتدفع المُتلقِّي للنَّعاعل مع الاستعارة لمحاولة الاستدلال على المعاصي ، وتستمد هذه الاستعارة للنَّعاعل مع الاستعارة المحاصي والتَّركيز على نتائجها .

^{1 .} سورة فصلت ، الآية : 16

^{2.} صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 183

^{3 .} سورة فصلت ، الآية : 17

^{4.} سورة الزخرف ، الآية: 55

وأظهرت الاستعارة في خِطابها للنّبي الصبّراع الّذي دار حول الإسلام وما تعرض له الرّسول من أذى ومعاندة ، فَوُظِّفَتُ الاستعارة التّهكميّة في قوله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبُ لَهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ "لإطلاق الارتقاب على حال المعاندين لأنّ المعنى أنّهم لاقُون ذلك لا محالة وقد حسّنها اعتبار المُشَاكلَة بين ﴿ ارْتَقِبُ ﴾ و مُرْتَقِبُونَ ﴾ "لأنّ المعنى أنّهم لاقُون ذلك لا محالة وقد حسّنها اعتبار المُشَاكلَة بين ﴿ ارْتَقِبُ ﴾ و مُرْتَقِبُونَ ﴾ "لأنّ المعنى أنّهم لاقُون ذلك لا محالة وقد حسّنها مع أمّر طاقة تهديد ووعيد لهم . كما رسمت الاستعارة للنّبي طريق تعامله مع كُفّار قريش في الخطابات التّواصليّة بتحديد نقطة (صفر) لخطاب المُلحدين وترك شأنهم شهوالّذي أكدت عليه الاستعارة في قوله : ﴿ وَخَعِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [13 فبنيت الاستعارة على ما خبرته قُريش من التّجارة باستعارة الخسارة لمن طلب الرّبح بغير الإسلام ، فذهب ماله وخسر كُلَّ شيءٍ فكانت الاستعارة أبلغ في التّأثير فيهم .

وتتاولت الاستعارة مواقف الكافرين من القرآن في مُحاولة لإحداث تغيير في مواقفهم الفكريَّة والعاطفيَّة ، مانحة النَّصَّ مساحة من التَّاثير في المُتلقِّي فيقول تعالى : ﴿ وَلَنَدْيِقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ عَلِيظٍ ﴾ [4] ، والاستعارة بنيت على الإذاقة لتعبير عن شدَّة العقاب، كما استعيرت (غليظ) للقوي في نوعه ، للإشعار بالقساوة في المُعاملة وتتفاعل الاستعارتان معا لنصل لفهم حال العذاب الَّذي يقع عليهم . واثبتت الاستعارة المجادلة التي دارت حول القرآن في قوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمُّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَصْلُ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ أن المشعير ﴿ بَعِيدٍ ﴾ هنا للشديد في جنسه ، ومناسبة هذه الاستعارة للضلال لأن الضلال أصله عدم الاهتداء إلى الطريق ، وأن البعد مناسب الشقاق لأن المنشق قد فارق المنشق عنه فكان فراقه بعيداً لا رجاء معه للدنوّ. [6]

^{1 .} سورة الدخان ، الآية : 59

^{2.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 322

^{3 .} سورة غافر ، الآية : 78

^{4.} سورة فصلت ، الآية: 50

^{5 .} سورة فصلت ، الآية : 52

^{6.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 17

ويمثل الجدول التالي[1] أبرز الاستعارات ذات البعد الحجاجي في سور الحواميم:

رقمها	السورة	الاستعارة	الرقم
4	غافر	﴿ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾	1
7	غافر	﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾	2
15	غافر	﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ ﴾	3
18	غافر	﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ﴾	4
19	غافر	﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾	5
29	غافر	﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَنِيلَ الرَّشَادِ ﴾	6
35	غافر	﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾	7
53	غافر	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَتُنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾	8
58	غافر	﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾	9
78	غافر	﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾	10
83	غافر	﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾	11
11	فصلت	﴿ <u>قَالَتَا</u> أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾	12
12	فصلت	﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ﴾	13
16	فصلت	﴿ فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ ﴾	14
17	فصلت	﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾	15
29	فصلت	﴿ لِيَكُونَا مِنَ ا لْأَسْفَلِينَ ﴾	16
27	فصلت	﴿ فَلَنُدْيِقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾	17
30	فصلت	﴿ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ ا سْتَقَامُوا ﴾	18
36	فصلت	﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾	19
39	فصلت	﴿ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِنَّ الَّذِي <u>أَحْيَاهَا</u> لَمُحْيِي ﴾	20
44	فصلت	﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمِّى ﴾	21
50	فصلت	﴿ وَلَئِنْ أَنَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا وَلِنَذِيقَتَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾	22
12	الشوري	﴿ لَهُ مَ قَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	23

^{1.} اعتمادا على : الحمداني ، عبد القادر عبد الله ، سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية ، رسالة دكتوراه ، جامعة الموصل ـ العراق (2003) .

رقمها	السورة	الاستعارة	الرقم
13	الشوري	﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾	24
14	الشوري	﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتُ مِن رَّبِّكَ ﴾	25
17	الشوري	﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾	26
19	الشوري	﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَ تَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾	27
20	الشوري	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾	28
41	الشوري	﴿ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾	29
45	الشوري	﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ ﴾	30
4	الزخرف	﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾	31
5	الزخرف	﴿ أَفْنَصْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾	32
11	الزخرف	﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَ أَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾	33
40	الزخرف	﴿ فَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمِّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ ﴾	34
48	الزخرف	﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾	35
64	الزخرف	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾	36
72	الزخرف	﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثِتُمُوهَا ﴾	37
79	الزخرف	﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾	38
29	الدخان	﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾	39
48	الدخان	﴿ ثُمَّ صُبُولِ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾	40
49	الدخان	﴿ نُقُ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾	41
56	الدخان	﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾	42
59	الدخان	﴿ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾	43
8	الجاثية	﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	44
10	الجاثية	﴿ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾	45
18	الجاثية	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾	46
12	الأحقاف	﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَجْمَةً ﴾	47
19	الأحقاف	﴿ وَلِكُلِّ <u>دَرَجَاتٌ</u> مِّمَّا عَمِلُوا ﴾	48
28	الأحقاف	﴿ بَلْ ضَلُوا عَنْهُمْ ﴾	49
34	الأحقاف	﴿ قَالَ فَذُوقُولِ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾	50

3 . التَّقابُل :

تُحَدُّ المُقَابَلَة عند جمهور البلاغيين بأن " يُؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم بما قابلها أو يقابها على الترتيب والمراد بالتوافق خلاف التقابل ، وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به مثال "[1] ،كما اعتبروا كُلَّ مقابلة طباق وليس كُلُّ طباق مقابلة ، وفي البلاغة الجديدة هنالك من يدعو إلى تقارب بين المفهومين لأنهما من حيث الموضوع شيء واحد ، والتَّقابل بهذا المعنى يؤدي دورا حجاجيًا ؛ لأنَّ التَّقابُل يجمع بين الأضداد في سياق خطابيّ ، ومقصدية الضدية ، فيقوم بالمُوازنة بينها لإظهار الصَّائب منها للتَّاثير في المُتلقي من خلال إثبات أحد الأطراف ، ويأتي النقابل " مُعزِّزا للحِجَاج في بيان وجه الصَّلة العميقة بين المتقابلين ضِدّيا ، إذ توجد علاقة ظاهرة أو باطنة بين المتقابلين. "[1]

ويهتم أهل البلاغة في المقابلة بخاصية التَّضاد ، في حين يهتم أهل الحِجَاج في المقابلة بخاصية المخالفة بين الألفاظ فلا يمكن أن يجتمع التَّقيضان في معنى واحد ، فالتَّقابل في المنطق الصُوري ما هو إلا " استدلال مباشر يتَّخذ من قواعد محدَّدة معيارا له في استتاج صدق أو كذب قضيَّة (الحكم) من قضيَّة أخرى معلومة " [3] ، فالتَّقابل قائم على الاختلاف في الأطروحات التي " تنزع لإثبات صحَّتها عن طريق الصِّراع مع أطروحات مختلفة عنها ، إنّه نوع من التَّواصل والحوار المُفْضِي إلى الاتصال في شبكة من الأنساق الفكرية الحاملة لخطابات متنوعة " [4] ، فالمُتلقِّي في التَّقابُل يكون أكثر تَمْجِيصا للفكرة المراد إقناعه بها ، وبذلك يُحْتَجُ عليه بتوظيف التَّقابُل الَّذي يفتح منافذ لثنائيًات ضديَّة ، فالمُتقابلات تخلق بُؤرة للمُتلقِّي في فهم جديد للرُّؤيا ، وبإخفاء أبعاد حجاجيّة للمُحتج عن طريق التَّقابُل يوسع الحيِّز بذكر مُقابلة الضدِّي بُغْيَة إعطاء زخم إقناعي يستوفي الفكرة بإسناد تعارضي لها أسهمت في تجديد الرُّؤيا للتَّقابُل . [5]

^{1.} القزويني ، محمد بن عبد الرحمن ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 217

^{2.} صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 196

^{3.} حلاسة ، هناء ، بلاغة الحجاج في خطاب الخلفاء الراشدين ، ص 61

^{4.} الغامدي ، عادل بن على ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة ، ص 104

^{5.} صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 196

ووظّفت المقابلة [1] الحجاجيّة في الحواميم أربع عشرة مرة لتشكل ما نسبته (9%) من الحجاج البلاغيّ ، ويعود تدني النّسبة في رأينا إلى استثناء الطّباق من الدِّراسة فقد رصدنا تسعة وعشرين طباقاً لم تدخل ضمن نطاق الدِّراسة ، وتبقى للمقابلة أهمية في الدّرس الحجاجيّ لأنها " تؤدِّي دوراً هاماً وحيويّا في التَّعبير والتَّأثير ، دورا يوقظ النّفس الغافلة ، فتنفعل بما ترى وتسمع وتحرّك الإرادة فيندفع الشَّخص لتغيير ما هو عليه من زيغ الشِّرك وضلال الهوى إلى الوحدانيّة الحقّة ونورها الفياض "[2].

ومَنَح التَّقَابِلُ الخِطابَ قوة تهديد ووعيد في قوله تعالى : ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَعِيد للكافرين بأنَ دينهم زائل ، وَيُحِقُ الْمَحَقُ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ [13] ، ففي ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ وعيد للكافرين بأنَ دينهم زائل ، فجاء فعل ﴿ وَيَمْحُ ﴾ مرفوعا " وحقه ظهور الواو في آخره ، ولكنها حذفت تخفيفا في النطق فحذفت من الرسم "[14] ، فحذفها يحمل دلالة نفسية عند المُتلقِّي بسهولة وخفقًا حذف الله للباطل ، وسرعة في الانتقال منه إلى ما بعده تثبيتا له ، ومن خلال الضديَّة الله عن بنيت بفضل التَّقابُل بين دين الباطل ودين الحقِّ ، فنزع التَّقابُل لإثبات صدق دين الله عن طريق إظهار الصَّراع مع دين الكُفَّار ، وليقف المُتلقِّي مُمَحَصا في الأطروحتين ويكوَّن قناعةً بأنَّ دين الباطل زائل ، ودين الله تعالى باقٍ ، مِمَّا حتَّم على المُتلقِّي التَّاثِر والاقتتاع بما يُطْرَح عليه ، فبُنِي التَّقابل على " التَّناقض المطلق الذي يكمن في كُلِّ أطروحة ، فهو علاقة قائمة بين الإثبات والنَّفي ، أو بين حدَّين يكون يكمن في كُلِّ أطروحة ، فهو علاقة قائمة بين الإثبات والنَّفي ، أو بين متغيرين لقضيَّة أحدهما نفيا للآخر ، إنَّه شكل من أشكال صراع الوجود بين وجهين متغيرين لقضيَّة واحدة "[5] ، واستحال من خلال هذه الضديَّة أن يجتمع النَّقيضان (الباطل، والحق) ، وبالتالي نفي الباطل واقرار الحق .

^{1.} ومنه : غافر : 19 ، 55 ، 55 ، 64 ، 64 ، 66 ، فصلت : 17 ، 39 ، الشورى : 7 ، 19 . ومنه : غافر : 19 ، 24 ، 55 ، الأحقاف : 15 ـ 19 ـ 15 ، الأحقاف : 15 ـ 19 ـ 15 ، الأحقاف : 15 ـ 19 ـ 15 ، الأحقاف : 15 ـ 19 ـ 19 .

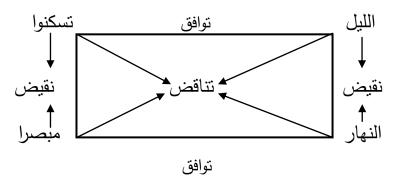
^{2.} إبراهيم ، كمال عبد العزيز ، (2010) : أسلوب المقابلة في القرآن الكريم . دراسة فنية بلاغية مقارنة ، دار الثقافة للنشر . القاهرة ، ط 1 ، ص 152

^{3 .} سورة الشورى ، الآية : 24

^{4.} ابن عاشور ، محمد بن الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 87

^{5.} الغامدي ، عادل بن على ، الحجاج في قصص الأمثال القديمة ، ص 105

وتأتي المُقابلة من باب التّاقض بين الأضداد من خلال مقابلة الشّيء بمثله فتكون المقابلة في المعنى دون اللّفظ ، يقول تعالى : ﴿ اللّهُ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ أنا ، فمن نِعَم الله سبحانه على الإنسان أنّه جعل له اللّيل للسّكون والرّاحة ، والنّهار للسّعي والعمل ، فالتّقابل النّقيضي في ﴿ اللّيلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ وبين ﴿ وَالنّهار مُبْصِرًا ﴾ ، نَظّم حياة الإنسان في اللّيل والنّهار فلا يخرج عن محيطها ليوصل المُتلقِّي للخروج بنتيجة يدرك من خلالها دقّة التّدبير الإلهية ، فتكون قوة مؤثرة فيه توجب عليه التّقكير في مُدبّر هذه الشّوون له ، " فإنّه لم يدع التّقابل في قوله ﴿ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنّهار لتبصروا فيه) ، وإنّما هو مراعي من جهة اللّفظ ، لأن القياس يقتضي أن يكون (والنّهار لتبصروا فيه) وإنّما هو مراعي من جهة اللّفظ ، لأن معنى ﴿ مُبْصِرًا ﴾ تبصرون فيه طرق التّقابل في بعضما "الماحاجات فالمقابلة ذكر الشّيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها "الماحات فالمقابلة ذكر الشّيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها "الماحات فالمقابلة ذكر الشّيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها "الماحات فالمقابلة ذكر الشّيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها "الماحات فالمقابلة ذكر الشّيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها "النّالي :



والمُقابلة أداة حجاجية " تستجيش في الإنسان قلبه وفكره تخرجه من رُكود الفكر وإعادة الإلف فينتفض ليبحث ويفكر ويهتدي بأمر الله خالق الموت والحياة "[3] كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيى وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيكُونُ ﴾[4] ، ورُبُنِي الطباق على علاقة تَنَاظر للفعل المضارع ؛ لتعطي بُعْدًا استمراريا لعمليتي الحياة والموت ، وذلك لإقناع المُتلقِّي بقضية البعث وإثباتها .

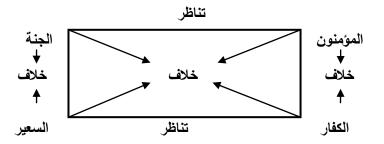
^{1 .} سورة غافر ، الآية : 61

^{2 .} الزركشي ، بدر الدين ، <u>البرهان في علوم القرآن</u> ، ج3 ، ص 358 ـ 2

^{3.} إبراهيم ، كمال عبد العزيز ، أسلوب المقابلة في القرآن الكريم ، ص 159

^{4.} سورة غافر ، الآية : 68

واستعملت المُقابلة الخِلافية لتفضيل أحد المتقابلين على الآخر في قوله تعالى ﴿ وَتُنْذِر يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ المقابلة جوابا عن سُوَّال ضِمْني يسأل عن نتيجة هذا الجمع ، وكان الجواب بتفصيل الإجابة بأنَّ ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ ﴾ و ﴿ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ ، فأثرَّت المقابلة على ذهنيَّة المُتلقِّي ، وأرعبته من ذلك اليوم ، للضَّغط عليه لاتخاذ قرار باختيار مع أيّ الفريقين يكون ؟ ، فقدمت المقابلة للخطاب قوة حجاجيّة على شكل ثنائية متضادة تدفع المُتلقِّي للاقتناع بضرورة حُسْن الاختيار من خلال المُفاضلة بين الطَّرِحين في علاقة ضديَّة ، المؤلس في النَّار المُؤمنين في الجنَّة) و (الكُفَّار في النَّار) ، كما أنَّ في ذكر ﴿ السَّعِيرِ ﴾ وهي النَّار المَسْعُورَة الشَّديدة بدل النَّار طاقة ترهيبيّة مؤثرة على نفسيّة المُتلقِّي ، كما قدمت المقابلة ترغيب للمؤمن وترهيب للكافر .



وكشفت المُقابلة عن طريقة تعامل الله سبحانه مع النّاس بحسب أعمالهم في قوله تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَدُو قوله تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرةٍ وَدُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أولمُضمر في (المؤمنين) و (الكُفّار) فحققت الظّاهر ﴿ مَغْفِرةٍ ﴾ و ﴿ عِقَابٍ ﴾ ، والمُضمر في (المؤمنين) و (الكُفّار) فحققت العلاقة التقابليّة هدفها الحجاجيّ بتأثير في الرَّسول عليه الصّلاة والسّلام ، بأن وظيفته التبشير والإنذار ، بتأكيد أنّ المغفرة والعقاب بيد الله وحده ، وأنّ الله ذو مغفرة عظيمة للمؤمنين من عباده ، وذو عقاب أليم للكُفّار المُكذبين .

^{1 .} سورة الشورى ، الآية : 7

^{2.} سورة فصلت ، الآية : 43

ويتصدَّى التَّقَابُلِ للأفكار الباطلة الَّتي يتبنًاها الكافرون ويجعلها مقاما للسُخريَّة والهُزْءِ من أصحابها ، فتبطل حجَّة الكافرين ، فتصبح أداة " تدفع بالمنطق والعقل تُهْمَة قبيحة ، وادِّعاء باطلا يتَّهم به المشركون ربَّ العزَّة ، فالمقابلة بين البنين يصطفيهم الله بهم ، والإناث يتَّخذهم له بناتا ، هي جوهر السُّخريَّة من خَطَلِ تفكيرهم وفساد رأيهم "الله ، فيقول الله تعالى : ﴿ أَم التَّخَذُ مِمًا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَئِينَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم ، فيقول الله تعالى : ﴿ أَم التَّخَذُ مِمًا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَئِينَ * وَإِذَا بُشِّر أَحَدُهُم بِمِا ضَرَبَ لِلرَّحْمُنِ مِتَلًا ظُلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُو كَظِيمٌ * أَوَمَن يُنْشَأُ فِي الْجِلْيَةِ وَهُو في الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ * وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمُنِ إِنَاثًا أَشْبَهِدُوا خَلْقَهُمْ في الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ * وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمُنِ إِنَاثًا أَشْبَهِدُوا خَلْقَهُمْ مَتَكُنْتُ شُبَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [2] ، فالمُقابلة بين (الملائكة البنات) و (الأبناء الذكور) فسخرت المقابلة من قسمة المشركين في جعل البنات لله تعالى واختيار الأبناء لهم ، والملائكة في والطَّرح القرآنيّ الصَّادق الذي يرى فيهم جميعا خلق الله ، وطرح المشركين الذي يقسم الطَّرح القرآنيّ وضعف طرح المشركين ، بأنَهم لم يشهدوا خلقهم ولا يعرفون جنسهم وأنَّ الطَّرح القرآنيّ وضعف طرح المشركين ، بأنَهم لم يشهدوا خلقهم ولا يعرفون جنسهم وأنً

ورسمت المُقابلة للرَّسول الكريم مَنْهَجا ربَّانيّا في التَّعامل مع الشَّدائد في بدايات الدَّعوة الإسلاميّة بالتَّقرُب شه ليستمدَّ الرَّسول العون في دعوته للكافرين فقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقِّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾[3] ، فالمقابلة وقعت بين التَّسبيح والصَّلاة من باب المُقابلة النَّظيريّة ، فالتَّسبيح والصَّلاة من العبادات الَّتِي تُقرِّب العبد بربِّه ، وحصلت الإحاطة الزَّمانيّة من خلال ﴿ بِالْعَشِيِّ الْعِبْدِينِ وَالْإِبْكَارِ ﴾ وَالْإِبْكَارِ ﴾ وَالْإِبْكَارِ ﴾ وَالصَّلاة فيستمدَّ المُتلقِّي فيبقى مُتَصِلاً بالله من خلال التَّسبيح والصَّلاة فيستمدَّ المُتلقِّي القوة المعنوية ورباط ديني بينه وبين ربِّه ، كما زاد ضمير المُخاطَب من الشُعور بعمق العلاقة .

^{1.} إبراهيم ، كمال عبد العزيز ، أسلوب المقابلة في القرآن الكريم ، ص 198

^{2 .} سورة الزخرف ، الآيات : 16 _ 19

^{3 .} سورة غافر ، الآية : 55

4 . التَّمثيل

اختلف علماء البيان العرب حول التَّشبيه والتَّمثيل ، فمنهم من جعلهما شيئاً واحداً كابن الأثير " وجدّت علماء البيان قد فرَّقوا بين التَّشبيه والتَّمثيل ، وجعلوا لهذا بابا مفردا ، ولهذا بابا مفردا ، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أَصنل الوضع "[1] ، غير أنَّ عبد القاهر الجُرجانيّ جعل التَّشبيه أعمَّ من التَّمثيل " فاعلم أنَّ التَّشبيه عامِّ والتَّمثيل أَخَصُ منه ، فكلُ تمثيل تشبيه ، وليس كُلُ تشبيه تمثيلا "[2] ، وتناول فضل حسن عباس هذه القضية بالبحث المستفيض .[3]

ووقف عُلماء البيان العربيّ على القوة التَّاثيريّة للتَّمثيل في الحِجَاج ، فحدًد الجرجانيّ الطَّاقة الاقناعيّة للتَّمثيل في النُصُوص بقوله: " وأعلم أن مِمًا اتفق العُقلاء عليه ، أنَّ التَّمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برَزَتْ هي باختصار في معرضه ، ونُقلت عن صُورها الأصليَّة إلى صورته ، كساها أبَّهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشبَّ من نارها ، وضاعف قُواها في تحريك النُّقوس لها ... فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم ... ، وإن كان ذمًا مسنُه أوجع ، وميسمَه ألذع ، وإن كان حجاجا ، كان برهانه أنور ، وسُلطانه أقهر ، وبيانه أبهر ، وإن كان اعتذارا ، كان إلى القبول كان برُهانه أنور ، وقارب أبو هلال العسكريّ بين وظيفة الاستشهاد والحجاج وبين التَّمثيل بأن التي بمعنى ثُمَّ تؤكّده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأوّل ، والحُجَّة على صحتَه ...وتدخل أكثر هذه الأمثلة في التَّشبيه "أنا ، فالتَّمثيل عند العسكريّ يصل لمرتبة الشَّاهد الَّذي يهدف للتَّوضيح بتقريب المعنى، وعند الباقلانيّ ضرب من الاستعارة مبني على الإيجاز والجمع ، يقصد إلى معنى فيضع ألفاظا تدل عليه . أما

^{1.} ابن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر ، ج2 ، ص 115

^{2.} الجرجاني ، عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، ص 95

^{3.} انظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، ص 57

^{4.} الجرجاني ، عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، ص 105

^{5.} العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ، الصناعتين ، ص 416 ـ 419

^{6.} الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن ، ص 119

ويُعَدُّ التَّمثيل في الدِّراسات المعاصرة "طريقة حجاجيّة تعلو قيمتها على مفهوم المُشابهة المُستهلك ، حيثُ لا يرتبط التَّمثيل بعلاقة المُشابهة دائما ، وإنَّما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مُترابطة أبدا ، ومن ثَمَّة أعتبر عاملا أساسيًا في عمليَّة الإبداع دون أن تكون له علاقة بالمنطق الصُوريّ "[1] ، فاعتبر التَّمثيل من الوسائل الحجاجيّة الهامَّة ويقع بعد الاستعارة في الأهمِّيَّة " إذ إن التَّمثيل يعمل على إسناد بنية ذهنيَّة لدى المُتلقِّي تتعلَّق بالتَّأثير الصُّوري عن طريق الملفوظ ، وأن هذا الملفوظ يحثُ على الاعتقاد بالفكرة المطروحة في سياق التَّمثيل "[2] فيرتبط التَّمثيل في الدِّرس البلاغيّ الحجاجيّ بقدرته على التَّأثير في المُتلقِّي إلى حدِّ الإقناع الما له من " قدرة على إثارة الخيال وإحداث تأثير المفاجأة ، فهو الوسيلة الَّتي تحمل على الاقتناع "[3] ، من خلال وظيفة التَّمثيل .

وقد تكون وظيفة التَّمثيل " قياسا مُوضِّحا وبرُهانا مُصاحبا ، ويجيء به بعد تمام المعاني لإيضاحها وتقريرها فيُشبِّه بالبُرهان اللَّذي تثبت به الدَّعوى ، كما أنَّه يبعث المعنى إلى النَّفس بوضوح وجلاء مُؤيدا بالبُرهان "الله" ، وإذا كان التَّمثيل في ظاهرة مرتبطا بالبُرهان ، إلا أنَّه لا يعتبر في الدَّرس البلاغيّ الحجاجيّ أداة برهنة قائمة على الاستدلال فقط ، بل أداة برهنة قائمة على التَّأمل والبَرهنة الجماليَّة ، فهو يحمل طاقة بُرهانيَّة يستمدّها من دوره التَّواصليّ في السِّياق مِمَّا يمنحه قيمة القياس الَّتي تُوصل المُتلقِّي إلى الاقتناع من خلال الاستنتاج ، مِمَّا دفع بيرلمان إلى الاعتقاد " أن التَّمثيل في الحِجَاج ينبغي أن تكون له مكانته باعتباره أداة برهنة ، فهو ذو قيمة حجاجيّة ، وتظهر قيمته الحجاجيّة هذه حين ننظر إليه على أنَّه تماثل قائم بين البُنَى "[5] ، التي وصل الخطاب الحجاجيّة هذه حين السُدلال .

^{1.} عشير ، عبد السلام، عندما نتواصل نغير ، ص 97

^{2.} صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 165

^{3.} بروتون ، فيليب ، الحجاج في التواصل ، ص 126

^{4.} المراغي ، أحمد مصطفى ، علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، د.ت ، ص207 _ 208

^{5.} نقلا عن: صولة ، عبد الله ، في نظرية الحجاج ، ص 56

ويعنقد بيرلمان أنَّ الحِجَاج لا يصلُّ إلى أهدافه الحجاجيّة المَرْجُوَّة منه ما لم يتكئ على التَّشبيه ؛ لأنَّه علاقة تواصل يوميَّة فعند قولنا (شعرها أسود كاللّيل) فأنّنا نعمد إلى تشبيه واقع بطريقة تجنح إلى البرهنة ، هذه البرهنة جعلت التَّمثيل قريب من دائرة القياس في قائمة الحجج شبه المنطقيَّة مِمًا دفع بيرلمان للقول " إنَّ أحدا لا يمكنه إنكار دور التَّمثيل في توجيه الذَّكاء ، وأنَّه نقطة انطلاق لاستدلالات لاحقة ، وأنَّ على أيّ دراسة حجاجيّة أن تعطيه المكانة الَّتي يستحقها باعتباره عُنصرا مهما من عناصر البرهنة والتَّدليل" أن هذه المكانة تجعل التَّمثيل " يتوخًاه المُتكلِّم في الاحتجاج ؛ فيقدّمه على أنَّه دليل أقوى لصالح النَّتيجة المُتوخّاة ، وهذه الخاصيَّة المُميزة للقول التَّشبيهي أو الاستعاريّ تجعله فوق الإبطال ؛ ولذلك أكَّد الدَّارسون أنَّه يعسر على المرء أن يتصوَّر إمكان ورود دليل مُضادّ بعد تشبيه أو استعارة يخدم النَّتيجة المُعاكسة ، أمًا الأقوال العادية فيمكن بيسر إحلالها في سياقات الإبطال أو التَّعارض الحجاجيّ ."[2]

وتقوم آلية عمل التَّمثيل في النَّصِّ الحجاجيّ بعقد صلة بين صورتين يتمكن من خلالها اجتماعهما ببيان حُجَّته ، لأنَّ قيمة التَّمثيل تعتمد على هذا الاجتماع " ومدى تأثيره في النَّفس الَّتي تميل غالبا إلى الإقناع بالصُّورة التَّمثيليَّة الواقعيَّة ؛ وبالنَّتيجة رُسُوخها في النَّفس وتذعن لها النَّفس ، فالمشاهدة ذات أثر فعًال في النَّفوس حتَّى مع العلم بصدق الخبر ، والتَّمثيل هو تجسيد وتجسيم لأحد الشَّيئين اللذين يقارن بينهما باتقاق جزئيًات مشتركة لهما ، وهذا ما يجعله مقصودا لطلب الفهم والإدراك وكذلك لتكثيف ما يُرَاد إفهامه والاحتجاج به ؛ لأنَّ المُتلقِّي يُدْرِك في أعماقه العلاقة بين الطَّرفين المسوقين تمثيلا بشكل أسهل إذ يمكن القول إن الوظيفة النَّفسيَّة للمثل مُلْتَصِقة فيه التصاقا في معالجته البلاغيّة كافة "^[3] ، ويمكن اعتبار التَّمثيل عمليَّة فكريَّة تُساعد على القِياس ؛ لأنَّ " التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني وادّعاء المتوهم من المشاهد. "[4]

^{1.} نقلا عن: الزماني ، كمال ، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية ، ص 127

^{2.} الدريدي ، سامية، الحجاج في الشعر العربي ، ص 264

^{3 .} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 168 ـ 169

^{4.} الزركشي ، بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص 488

واستخدم النّصُ القُرآنيُ التّمثيل كأداة للتّأثير والإقناع من خلال إقامة الحُجّة والبُرهان ، الّتي توصل للإحاطة بكُلّ وسائل الإفهام من خلال أمثلة محسوسة للمُتلقّي لتزيّد من درجة الإذعان ، فالله سبحانه " يضرب المثل زيادة في التّوضيح والتّقوير ، فهو أوقع في القلب، وأقمع للخصم الألدّ ولأنّه يُريك المُتخبّل مُحقّقا، والمعقول محسوسا والمثل القرآني لا يَقْصِدُ إلى التّشبيه باعتباره تشبيها بل اعتباره حاجة فنيّة تُبننى عليها ضرورة الصبّياغة والترّكيب، فهو يُعد عنصرا ضروريّا لأداء المعنى القرآنيّ "الله. ووظف التّمثيل في سُور الحواميم في عشرة مواضع لتشكل ما نسبته (6 %) من الحجاج البلاغيّ ، ونُرجّح أن سبب تدني هذه النسبة أنَّ التّمثيل يحتاج إلى مستويات فكريّة منقدمة؛ لأنّه يعتمد على البُرهان والمنطق والقياس، فهو ملفوظ استدلالي، مع تسليمنا بأن الخطاب القرآنيّ خطاب من مستوى واحد لا تفاوت فيه؛ لأنه من ربّ العالمين ، إلا أنَّ القُدرات العقلية لمتلقي الخطاب القرآني بقدرات المخاطبين العقلية .

وللتَّأثير في المُتلقِّي وإقناعه من خلال أداة التَّمثيل ، بانتفاء الباطل عن القرآن في ظاهرة أو تأويله لترسيخ قاعدة ثابتة في ذِهْنِ المُتلقِّي لا يمكن إبطالها، يقول تعالى ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [2] فقد رسم التَّمثيل صُورة حسيَّة لشيء مادي حُصنَ من جميع الجهات بحيث يصعب على أيِّ شيء مهما كان الاقتراب منه أو اختراق هذه التَّحصينات ، فالمتأمّل في هذا التَّمثيل يصل لصورة شيء ثمين جدا واقع خلف تحصينات شديدة مُحْكَمَة الإغلاق ، فوقع التَّمثيل في صورة حيَّة مِمًّا اعتاد المُتلقِّي على معاينتها في حياته اليوميَّة من خلال حرصه على الأشياء الثَّمينة لديه ، ليقنعه بأنَّ هذا القرآن ثمين جداً وأنَّ الله حريص على حفظه ، واستخدام كلمة (الباطل) دون (الكذب) فتح باب التَّأويل فقيل أنَّ الباطل مقصود به الشَّيطان ، و ﴿ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ تعني الرِّيادة ، و ﴿ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ تعني النَّقصان ، فغاية التَّمثيل إقناع المُتلقِّي بأنَّ القرآن محفوظ من الزِّيادة والنُقصان ، فوقع المُستدلال بواسطة الملفوظ التَّصويريّ التَّمثيل الَّذي يصعب إبطاله .

^{1.} صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 170

^{2 .} سورة فصلت ، الآية : 42

وورد التَّمثيل في الاستعمال الحجاجيّ بغرض إثبات دعوى تجذر العناد والانكار في فكر الكُفَّار وسعيهم نحو الجدل ، فمن خلال المقاربة بين الصُّورتين يتمكن المُدعى من تقديم حججه في العملية الاحتجاجيّة ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿ ١١ ، وبهدف تأكيد المعنى الحجاجيّ باستعمال التَّمثيل في قوله : ﴿ مِن بَيْن أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ للتّأثير في المُتلقِّي ، فالبُعد الحجاجيّ لهذا الاستعمال " تمثيل لحرص رسول كُلّ منهم على هداهم بحيث لا يترك وسيلة يتوسل بها إلى إبلاغهم الدين إلا توسل بها . فمُثِّل ذلك بالمجيء إلى كل منهم تارة من أمامه وتارة من خلفه لا يترك له جهة ، كما يفعل الحريص على تحصيل أمر أن يتطلبه ويعيد تطلبه ويستوعب مظان وجوده أو مظان سماعه "[2] ، وقد وضّح هذا المعنى ، وثبّت في ذهن المُتلقِّي اعتماداً على آليه التمثيل ؛ حيث شكل حرص الله على إرسال رسل لكُلِّ أمة هي الدَّعوى أو المشبه وحققت الإبلاغ ، في حين اعتبر التَّمثيل هو المشبه به ، وهو الدَّليل والبرهان على صحة هذه الدَّعوى ، والوجه الجامع بينهما كقرينة داله على الصلة بين الطُّرفين هي الحرص ، فكانت المزيّة من خلال هذا التَّمثيل " تقع في طريق إثبات المعنى دون المعنى نفسه "[3] فأُثبت معنى حرص الله على تبليغ كُلّ الأمم برسول من عنده من خلال التّمثيل.

وعالج التَّمثيل حالة الإلحاد التي عاشها كُفَّار قريش وإصرارهم على عناد الرَّسول الكريم ، فجاء للتَّمثيل للتَّأثير في المُتلقِّي من خلال إثبات المعنى في ذهنه عن طريق توبيخه على تكذيب رسالة سيّدنا مُحمّد ، فقال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴾ [1] ، فقد ذكر الله تعالى قصة سيِّدنا هود مع قومه ، وسِيقت عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [1] ، فقد ذكر الله تعالى قصة سيِّدنا هود مع قومه ، وسِيقت

^{1 .} سورة فصلت ، الآية : 14

^{2.} ابن عاشور ، محمد بن الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 24 ، ص 253

^{3 .} الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 69

^{4 .} سورة الأحقاف ، الآية : 21

هذه القصة مساق الموعظة للمشركين الّذين كذبوا بالقرآن كما أخبر الله عنهم ، وسيقت أيضاً مساق الحُجَّة على رسالة مُحمَّد صلى الله عليه وسلم وعلى عناد قومه بذكر مثال لحالهم مع رسولهم بحال عاد مع رسولهم . ولها أيضاً موقع التَّسلية للرَّسول صلَّى الله عليه وسلم على ما تلقاه به قومه من العناد والبهتان لتكون موعظة وتسلية معا يأخذ كُلّ منها ما يليق به ، فأراد الله تعالى من تمثيل قصة بقصة إثبات ادِّعاء عناد الكُفَّار في كُلِّ الأزمان للرُّسِل رغم ما قدمت لهم من حجج وبراهين واضحة على صدقهم ، وليكون التَّمثيل أقرب للاستشهاد التَّاريخيّ على هذه المواقف ، فالغاية الحجاجيَّة الَّتي هدف التَّمثيل من تحقيقها هي الموعظة لقريش بأنَّهم أمثال عاد في الإعراض عن دعوة رسول من أمتهم . [1]

كما رسم التَّمثيل صُورة للبعث وعودة الإنسان شه عزّ وجلّ ، فقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبَّكُمْ ثُرُجَعُونَ ﴾ [2] ، فبعد أن أكد الله على أنّه سيجزي كُلَّ إنسان بما كسب من خير أو شر بما يناسب هذا الكسب ، حاملة طاقة ترهيبيّة للكافرين وترغيب للمؤمنين ، وذُيلت الآية بقوله ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ لتؤكد على أن الإنسان يرجع إلى ربه بعد أعماله في هذه الدُنيا " وأطلق على المصير إلى حكم الله أنّه رجوع إلى الله على طريقة التَّمثيل بحال من كان بعيدا عن سيّده أو أميره ، فإنّه يلاقي جزاء ما عمله "[3] ، فالتَّمثيل أقام دعوى إثبات البعث . ولتكتمل لوحة إنكار الكُفَّار للقرآن والابتعاد عنه ، وجاء التمثيل مستمداً من البصر قوته الحجاجيّة لتصوير حالهم وقد اعرضوا عن كتاب الله ، فيقول تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمُنِ ﴾ [4] فالتَّمثيل في ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ أظهر خيول الكُفَّار في عدم فهم القرآن ، فالفعل المضارع (يعش) جاء بمعنى من ينظر خال عير متمكن خال غير متمكن عن خطر غير ثابت كالأعشى ، فمعنى ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ من ينظر نظرا غير ثابت كالأعشى ، فمعنى ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ من ينظر نظراً غير متمكن دالله عني و مَن ينظر متمكن من ينظر متمكن عن خطرا غير ثابت كالأعشى ، فمعنى ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ من ينظر نظراً غير متمكن عن عنظر غير ثابت كالأعشى ، فمعنى ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ من ينظر نظراً غير متمكن عن عنظر غير متمكن عن عنظر غير متمكن عن في في غير متمكن عن عنظر عنه من ينظر عنه من عنظر غير متمكن علي المُنارِ غير متمكن عن عنظر عن عدم في معنى من عنظر عن عدم فيهم القرآن ، فافعنى ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ من ينظر متمكن عن عنه منه عني من عنظر عن عدم في معنى من عنظر عن عدم في من ع

^{1.} ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج 26، ص 44

^{2.} سورة الجاثية ، الآية: 15

^{3 .} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 343

^{4.} سورة الزخرف ، الآية: 36

في القرآن ، أي من لا حظّ له إلا سماع كلمات القرآن دون تدبر وقصد للانتفاع بمعانيه ، فشبه سماع القرآن مع عدم الانتفاع به بنظر النَّاظر دون تأمل^[1]، فالتَّمثيل نقل المعنى من الحالة المُجرَّدة إلى المحسوسة المألوف لهم ليمدَّ النَّصَّ بطاقة حجاجيّة إقناعيّة بتوظيفه مشية خَبْطَ عَشْوَاء لمن ابتعد عن آيات الله .

وتتاول التَّمثيل حال الكُفَّار يوم القيامة في تصوير مشهد غائب لا نعلم طبيعته بمشهد آخر نعيشه كُلَّ يوم ، فقارب التَّمثيل بين صور الغائب الَّذي اختصَّ الله بعلمه، بمشهد حياتي اعتادت قريش عليه وهي الَّتي عَرفت التَّجارة وما فيها من الرِّبح والخسارة مماً كان له أثر في تقريب الصُّورة في ذهن المُتلقِّي ، يقول تعالى : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنَّكُمُ الَّذِي ظَنَتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصنبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [2] ، فقوله : ﴿ فَأَصنبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [2] ، فقوله : ﴿ فَأَصنبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ تمثيل لحالهم إذ يحسبون أنَّهم وصلوا إلى معرفة ما يحق أن يعرفوه من شؤون الله ووثقوا من تحصيل سعادتهم ، وهم ما عرفوا الله حقَّ معرفته فعاملوا الله بما لا يرضاه فاستحقُّوا العذاب من حيث ظنُّوا النَّجاة ، فشبه حالهم بحال التَّاجر الَّذي استعدَّ للرِّبح فوقع في الخسارة فنعي عليهم سوء استدلالهم وفساد قياسهم في الأمور الغيبيَّة الإلهية وقياسُهم الغائبَ على الشَّاهد [3] ، وإذا كان موضوع الآية في الأمور الغيبيَّة الخاصَّة بيوم القيامة ومشاهدها ، فإنَّ التَّمثيل جعل من الغائب شاهدا محسوسا التَّأثير في المُتلقِّي وترهيبه من عصيان الله ، فأوقع الرَّهبة وخيبة الأمل في النَّفس .

ولم يُهْمِل التَّمثيل المشهد الختاميّ لحياة الإنسان ، فقال تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ [4] ، ف ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ السندلال بواسطة التَّمثيل بإثبات حقيقة بتشابه علاقة أفاد قصر فترة مكوث الإنسان في الدُّنيا ؛ لإقناعهم بأن هذا الزَّمن الَّذي يرونه طويلا ما هو إلا بقدر ساعة مُقابل مكوثهم في عذاب الجحيم ، فحمل التَّمثيل قوة ترهيبيّة حقَّقت إثبات ادِّعاء أنَّ الآخرة دار الخلود.

^{1.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 209

^{23 .} سورة فصلت ، الآية : 23

^{3 .} ابن عاشور ، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير: ج 24 ، ص 272

^{4.} سورة الأحقاف ، الآية: 35

5 ـ الصُّورَةُ الفَنِّيَّةُ وَأَبْعَادُهَا الحِجَاجِيّة

يسعى الدَّرس الحِجَاجيّ للبحث عن مكامن الإقناع في النُّصوص، وتظهر الصُورة الفنيَّة كواحدة من أدوات التَّأثير في المُتلقِّي وسحبه إلى دائرة الإقناع عن طريق قناة الإفهام ، والصُّورة الفنيَّة مبحث حديث التَّسمية ، قديم الظُّهور ، ظهرت له إرهاصات في التُّراث القديم عربه وغربه، ويكاد يُجْمِعُ النُّقَادُ على أنَّ الجاحظ أوَّل من أشار للصُّورة " إنَّما الشِّعر صناعة ، وضرب من النَّسج ، وجنس من التَّصوير "[1] ، وقد عُرِفَ عنه اهتمامه بالبلاغة الافهاميّة الَّتي تقود للإقناع من خلال التَّصوير مُنبِّها إلى الطَّاقة الاقناعيّة في الصِّياغة ، الَّتي ترتكز على مهارة المُتكلِّم في صياغة صوره للمُتلقِّي من تلك المعاني المطروحة وتحويلها من معانٍ إلى صور حسيَّة ، للوصول إلى الإفهام من خلال البُعْد الحجاجيّ .

وتتَّضِح الأبعاد الحجاجيّة لصُورة عند عبد القاهر الجرجانيّ فالصُورة " إِنَّما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الَّذي نراه بأبصارنا ، فما رأينا البينُونة بين أحادً الأجناس تكون من جهة الصُورة ، فكان إنسان من إنسان... بخصوصيَّة تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك "[2] ، واهتمَّ " بوظيفتها الجمَّاليَّة والنَّفسيَّة والذِّهنيَّة " [3] فالجرجانيّ يكوّن اقترانا للصُّورة الحسيَّة من خلال مُدرك عقليّ في دائرة ذات عُمْقِ نفسيًّ ، ليقوم الواقع الحسيّ عنده بدور المنبع لمادَّة الصُّورة ؛ لأنَّ " العرب القدماء يُشدِّدون في دراستهم للصُورة على علاقتها بالمُتلقِّي وعلاقة المُتلقِّي بها لأنَّهم يهتمون ببعدها الحجاجيّ من حيث تأثيرها في الوجدان وإقناع للفكر "[4] ؛ لأنَّ الصُورة " تدفع المُتلقِّي دفعاً نحو الإسهام في إنتاج الدَّلالة ، فيلعب المُتلقِّي دوراً في بناء دلالة النَّصِّ "[5].

^{1.} الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، كتاب الحيوان ، ج 3 ، ص 132

^{2.} الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 508

^{3.} المغامسي ، آمال يوسف، <u>الحجاج في الحديث النبوي</u> ، ص 266

^{4.} صولة ، عبد الله ، الحجاج في القرآن ، ص 481

^{5.} الهزاني ، حصة بنت سعود ، مقال : الوظيفة الحجاجية للاستعارة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، ع 3 ، 2017

وفي الدِّراسات المُعاصرة نجد جابر عصفور يربط الصُّورة الفنيَّة بمدى تأثيرها في المُتلقِّي لأنَّه من " المهم أن نُلاحظ أنَّ فهم الصُّورة باعتبارها وسيلة للإِقناع ، كان يجد ما يدعمه في الدِّراسات البلاغية للقرآن ، ذلك أنَّ دراسة أساليب القرآن في التَّأثير والاستمالة كانت تُؤدي بدورها إلى فهم الصُّورة القرآنية على أنَّها طريقة في الإقناع نتوسل بنوع من الإِبانة والتَّوضيح وتعتمد على لون من الحِجَاج والجدل ، وتحرص على إثارة الانفعالات في النَّفس على النَّحو الَّذي يؤثِّر في المُتلقِّي "انا ، وبيَّن محمد العُمريُ أهمية الصُّورة الفنية في العمليَّة الحجاجيّة فقد أشار إلى " أنَّ الصُّور تلعب دورين؛ خارجيّ وداخليّ يتمثَّل دورها الخارجيّ في تسهيل عمليَّة الحِجَاج ، فهي تشدُ الانتباه من خلال خَرُق المعتاد ، فتلائم بين الأفكار والمستمع ؛ أي تسهل المُعَالقة ، أمًا دورها الدَّاخلي فيتجلى في دخولها هي نفسها في صلب الحِجَاج إذا لم يكن من الممكن القول بأنَّ الحُجَة هي نفسها مجرد صورة كُلا أو بعضا "الاَ ، فالصُّورة الحجاجيّة " نشاط بأنَّ الحُجَة هي نفسها المجازيّ على حضور مُتزامن لأطراف النَّخاطُب والمقام في حركة تفاعلية "ناً .

يرى مارك بونوم أنَّ الفعالية الحجاجيّة للصُّورة الفنَيَّة تتكون في أي خطاب من أربعة عناصر أساسيّة وهي " قدرتها على توجيه المُخاطَب انطلاقا من مكوناتها الموضوعية الَّتي تخصُّ مادَّة الصُّورة ومضمونها ، والبنيويّة الَّتي تخصّ طريقة عرض المضمون ، ومن قوة ظهورها بالنَّظر إلى باقي ألفاظ الخطاب ، ومن قدرتها على تجميع وتكثيف عدد من الحجج المختلفة في آن واحد لحجاج سهل سريع ، ومن ميلها إلى الغموض "^[4] ، وتتظافر في الصُّورة قوتان : قوة الخطيب الصَّانع للصُّورة ، وقوة المُخاطَب المُفكِّك لتلك الصُّورة ، فتراه ينظر إلى العلاقة بين مكوناتها ويستعين بالجلي فيها لكشف الخفي والَّذي من شأنه أن يجعل المُتلقِّي طرفا فاعلا في عملية التَّواصلُ. [5]

^{1.} عصفور ، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ص 332

^{2.} العمرى ، محمد ، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، ص 24

^{3.} المغامسي ، آمال يوسف ، الحجاج في الحديث النبوي ، ص 268

^{4.} نقلا عن: الزماني ، كمال ، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية ، ص 172

^{5.} قادا ، عبد العالي ، الحجاج في الخطاب السياسي ، ص 310

واهتم بيرلمان وزميلته تتيكاه بالصُورة البلاغيَّة وأبعادها الحجاجيَّة " ولا يستثني المؤلِّفان الصُورة البلاغيَّة من فاعليَّة الحِجَاج ، فهي ليست مجرَّد زخارف أو تتميقات تزيّن الخطاب، فمن شأنها أن تؤثَّر في المواقف وتغيِّرها، لذلك انتهى بيرلمان في إمبراطوريَّة البلاغة إلى الإقرار إذا لم تدمج هذه الوجوه في بلاغة إقناع ، فإنَّها لا تصبح وجوها بلاغية بل حذلقات "انا ، وأعادت آموسي التَّفكير في ثتائيّة الحِجَاج والتَّصوير واعتبرت الصُورة المجازيَّة أشكالا لفظيّة يتعلَّق الأمر بدراسة قيمتها الحجاجيّة في السيّاق ، ومعرفة إثارة الانفعالات من أجل الإقناع ، فالصُورة تؤثَّر في الذّهن وتصلح للاستدلال وباختصار فالصُورة تسمح بارتباط العقل والانفعال تبعا لمقدار معين يصعب قياسه. [2]

والحِجَاج في القرآن القائم على الصُورة " مداره على مادَّة هذه الصُورة المُتمثّل في مضمونها الَّذي يعتمد فيه لغاية الإقناع وعالم خطاب مُتلقّبه الأوَّل من مجمل كفاءات المُتلقِّي المعرفيّة والنَّفسيّة والنَّفافيّة والعقبيَّة من ناحية وعلى شكل الصُورة الَّذي تتشكل وفِقْه مادَّة الصُورة تشكّلا حجاجيّا من ناحية أخرى ، والَّذي من شأنه أنَّ يؤدِّي إلى الإقناع "أنا ، فالصُورة تقوم بوظائف عديدة ، إن كان من أشهرها التَّريين والغاية الجماليّة إلا أنَّ لها وظيفة حجاجيّة إقناعيّة " فيقوم التَّحليل البلاغيّ الجماليّ للصُور على النَّظر في العوامل الَّتي تشكل جمالياتها بوصفها أحد المكونات الَّتي تُسْهِم في أسلبة الخطاب بينما يقوم التَّحليل البلاغيَّ الحجاجيّ الحجاجيّ الصُور بشكل عام على تحليل وظيفتها الاقناعيّة وتأثيرها في المُتلقّي بتدعيم أو تغيير معتقداته وقناعاته وتأثيرها في قدرته على اتِّخاذ القرارات الملائمة لدعوى الخطاب ، فتُحلِّل الصُور في هذا المنظور بوصفها جزءا القرارات الملائمة لدعوى الخطاب ، فتُحلِّل الصور في هذا المنظور بوصفها جزءا منصهرا في سياق تواصلي" إنها، فالصُورة الحجاجيّة " تلعب دورا بارزا في توضيح المعنى وتثبيته في ذهن المُتلقِّي بما يثيره من أشكال اللَّذَة والخلخلة الذَّهنيَّة. "أذًا

^{1.} نقلا عن : عادل ، عبد اللطيف، بلاغة الإقتاع في المناظرة ، ص 92

^{2.} نقلا عن: المودن، حسن، حجاجية المجاز والاستعارة ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 730

^{3.} صولة ، عبد الله ، الحجاج في القرآن ، ص 496

^{4.} مشبال ، محمد ، في بلاغة الحجاج ، ص 302 _ 303

^{5.} العشراوي ، عبد الجليل، (2016): آليات الحجاج القرآني ، عالم الكتب الحديث، ط1، ص 260

5 . 1 : وَظَائِفُ الصُّورَةِ الحِجَاجِيَّةِ

غايةُ الحِجَاجِ إقناع المُتلقِّي بفكرة من الأفكار أو معنى من المعاني والتَّأثير فيه عن طريق الإفهام، ولا شكّ أنَّ الاقتناع لا يقع ما لم نَقُمْ بالإفهام، فمتى أُغْلِقَتْ دائرة الإفهام اقترب المتلقي من دائرة الاقتناع، وللصُّورة الحجاجيّة أساليب متوِّعة تتاسب مع التَّركيبة العقليَّة الإنسانيَّة يصل من خلالها للإفهام.

ومن أهم وظائف الصُورة الحجاجية الشَّرح والتَّوضيح أو تقريب المعنى البعيد والعمل على إيضاحه سعياً لإقناع المُتلقِّي بإدخاله في دائرة الإفهام ، فما الشَّرح والتَّوضيح إلا "خطوة أوليَّة في عمليَّة الإقناع ، ذلك أنَّه يريد إمتاع الآخرين بمعنى والتَّوضيح إلا "خطوة أوليَّة في عمليَّة الإقناع ، ذلك أنَّه يريد إمتاع والآخرين بمعنى من المعاني بشرحه له بادئ ذي بدء ويوضعه توضيحا يغري بقبوله والتَّصديق به ، وهو ما قصده القدماء بـ (الإبانة) وسموا العلم الَّذي يحوي التَّشبيه والاستعارة والكناية والمجاز بعلم البيان لأنَّ كُلَّ هذه الأنواع البلاغية للصُّورة إنَّما هي طرائق خاصنَّة في التَّعبير تكسب المعاني فضل إيضاح أو بيان ، وأساليب احتجاج فرعيَّة "[11] ، مِمًا جعل الصَّورة بإبعادها الحجاجيّة " تخرج الأغمض إلى الأوضح وتقرب البعيد، إذ إن توضيح المعنى وتبيينه نابع أساسا مِمًا تمتلكه الصُّورة من طاقة تعمل على تتشيط الذَّهن وإثارته حتَّى يستقبل الفكرة والمعنى المقصود "[2] ، فتنكشف أمام المُتلقِّي أفاقا جديدة من الإفهام تستقرُ في ذهنه فتنتقل لمرحلة الإقناع والتَّاثُرُ لأنَّ الصُّورة " أكثر نجاعة في تقريب أفكاره وإيضاحها وهي الأقدر على تجسيم المعنى وتجليته للمُتلقِّي بمختلف مستوياتهم فتدركها العامَّة كما تدركها الخاصنَّة "[3] .

والنَّصّ القرآنيّ من أكثر النُصنُوص سعيا لإفهام المُتلقِّي وإقناعه بما يحمل من أفكار خاصَّة الآيات الجدليَّة من نحو رسم صورة حسية لأخرى معنوية كما في رسم صورة شجرة الزَّقوم برؤوس الشَّياطين فإحالة مجهول إلى مجهول شكَّل نفورا في نفس المُتلقِّي من خلال الصنُّورة وما تحمل الملفوظات التصويرية من طاقة ترهيبية .

^{1.} عصفور ، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، 333

^{2.} العشراوي ، عبد الجليل ، آليات الحجاج القرآني ، ص 290

^{3.} قادا ، عبد العالى ، الحجاج في الخطاب السياسي ، ص 312

ووضَّحت الصُّورة حالة العِناد والكُفر الَّتي ينتهجها الكُفَّار في مسار ابتعادهم عند الدَّعوة الرَّبانيّة ، فيقول تعالى : ﴿ بَشِيرًا وَبَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقُرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾^[1] ، ومن خِلال ثنائية الطّباق والعلاقة الضِّدية بَيَّنَ اللهُ سبحانه وظيفةَ الرُّسلِ فهي التَّبشير للمُؤمنين ، والإنذار للكافرين ، ولكنّ هذه الفئة من النَّاس لم ترغب بالتَّبشير ولم ترهب بالإنذار وأمعنت في الإلحاد والكفر وأعرضت عن الدَّعوة ، فوظَّف النَّصِّ القرآني الصُّورة الفنيَّة لتشرح للرَّسول وتوضح له أسباب هذا الإعراض من خلال آليه إفهام الرَّسول الكريم مسببات هذا الإعراض ، وبعد تحقّق الإفهام يتمّ نقله إلى دائرة الإقناع ؛ لأنَّ الاقتتاع متلازمة للإفهام ، فعرضت الصُّورة الحجاجيّة مشهد إعراض الكُفَّار عن الدَّعوة من خلال مجموعة صور جزئيَّة تتفاعل في بنية تركيبيَّة لتكوِّن مشهدا متكاملا كُلِّيا جدليّا حجاجيّا يرسم صورة العناد عن طريق الشَّرح والتَّوضيح للرَّسول الكريم ، فجاءت أدلة إعراض الكُفَّار في ثلاث لوحات : الأولى مركزة على الجانب الوجدانيّ في لوحة: قلوبهم عليها أغطية مانعة تمنع نور الإيمان من النفاذ إليها ، من خلال الاستعارة المكنية ووجه الشَّبه استحالة وصول الدَّعوة إلى عقولهم كما يمنع الغطاء تتاول ما تحته ، لينتقل إلى اللوحة الثَّانية وهي أنَّ في آذانهم وقرا أي ثقلا فلا يستطيعون سماع تفصيل القرآن حتَّى لو كان عربيًّا فإنَّهم لا يستطيعون فهمه ، فكأن في آذانهم مادّة منعت وصول السَّمع لهم من خلال المجاز، وثالث اللوحات أنَّ بينهم وبين دعوة الرَّسول ستاراً فلا يقع الاتِّصال بينهم ، لتكون في مجموعها لوحة تركيبيّة وظُّفت من خلال التَّمثيل لإفهام الرَّسول حقيقة عناد الكُفَّار ، ومتى فهم المُتلقّى حقيقتهم اذعن بالاقتتاع بعجزه عن هدايتهم ، ليكون الإقناع حاصلاً في الإفهام.



1 . سورة فصلت ، الآيتان : 4 _ 5

ومن وظائف الصورة الحجاجيّة وظيفة تأكيد المعنى وَتَثْبِيتِه ، فعندما يقدم المُتكلِّم صورة حجاجيّة توضِّح معنى معيناً فهي في حقيقتها تأكيد لذلك المعنى ، فيعرضه مرَّة صراحة ويؤكِّده بالصُّورة الفنِّيَّة لتثبيته لأنَّه " يمكن التَّعبير عن المعنى الواحد بطرائق متوِّعة لبعضها من التَّأثير ما ليس للبعض الأخر "[1] ، ولتكون " الوظيفة التَّأكيدية متأصِّلة في أداء الصُّورة البلاغيَّة بمختلف مكوِّناتها ، فهي تؤكِّد معانيها ودعاواها وتُثَبَّتها في أدهان المُتلقين فيذعنوا لها فتدفعهم إلى فعل أو ترك ."[2]

وقد جاءت الصُّورة الفنِّيَّة بأبعادها الحجاجيّة لتأكيد عظيم قدرة الله تعالى ، فيقول تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابِكُم مِّن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِير * وَمَا أَنتُم بمُعْجِزينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِير * وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * إن يَشَأُ يُسْكِن الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذُلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارِ شَكُورِ * أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرِ ﴿ [3] ، فالمعنى الصَّريح أنَّ ما أصاب المُشركين من مصائب ما هو إلا نتاج أعمالهم ، وليؤكِّد الله سبحانه هذا المعنى ويثبته في نفوسهم أعاده في تصوير فنّي لإقناعهم بالمعنى الصَّريح من خلال الصُّورة الحجاجيّة ، فالصورة ترسم عظمة الله تعالى عن طريق آية من آياته ، وهي صورة السَّفينة الضَّخمة في البحر كالجبال والَّتي تتحرَّك بأمر الله ، فالرّيح الَّتي تُحرُّكها تسير بأمر الله عزّ وجلّ ، فإنْ أراد الله تحريكها أرسل الرّيح ، وإنْ شاء أن يُسْكِنَها أَسْكَن الرِّيح فتبقى راسية في الماء بلا حِرَاك ، وإنْ أراد الله أنْ يُهْلِكَها فإنَّه قادر على ذلك ، فاعتمدت الصُّورة الفنِّيَّة على علاقة مُشابه بين مَحسوس بمحسوس فالسُّفن كالجبال ، ولتكون الصُّورة الكُلية صورة حسيَّة ، وممَّا زاد من فعالية الصُّورة ومن قوة تأثيرها في المُتلقِّي ما حملت مادَّة التَّصوير القائمة على مظاهر الطَّبيعة ، كما أنَّ الألفاظ الَّتي أُخْتِيرَتْ جاءت مُوحية لتثبيت المعنى الحجاجيّ في النَّفس بإيصال الفكرة بالتَّصوير .

^{1.} عصفور ، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص 333

^{2 .} قادا ، عبد العالي ، الحجاج في الخطاب السياسي ، ص 322

³⁴ _ 30 : سورة الشورى ، الآيات : 30 _ 34

وتبرز الوظيفة الوجدانيّة للصُورة عن طريق إثارة انفعالات المُتلقِّي ، وكثيرا ما كان الخطاب القرآنيّ يتَّجه نحو النَّفس الإنسانيَّة ليُخاطب إنسانيَّة الإنسان بما يحمل من مشاعر وأحاسيس وعواطف ، ذلك أنَّ " الخطاب القرآنيّ لا يتَّجه إلى العقل وحده ، ولا يلقي المعاني في النَّفس مجرَّدة من ظلالها ووقعها ، وإنَّما اتَّجه إلى التَّأثير الوجدانيِّ بعد الحُجَّة المقنعة ليغزو مناطق الشُّعور الإنسانيّ بتصويره كما غزا مناطق التَّفكير العقليّ بحججه "[1] ، فالتَّهيئة النَّفسيّة للمُتلقِّي تجعله يتماهى مع الدَّعوى فيستسلم ويذعن لها ، وتتحقَّق هذه الإثارة بخطاب عاطفيّ يستند إلى الوجدان ويخاطب القلب والأهواء أكثر من مخاطبة العقل.[2]

ونجحت الصُّورة الحجاجيّة في إثارة انفعالات المُتلقِّي وعواطف في قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكُوابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [3] ، فلامست الصُّورة في نفس المُتلقِّي الشُّعور بالعظمة لما يلاقيه يوم القيامة من اهتمام ، فوصف الله سبحانه للإنسان صورة مُرَغِبَّة للجنَّة ففيها الخدم النَّذين يطوفون على نزلاء الجنَّة بالآنية والأكواب ؛ لتكون دافعا له على العمل المُتواصل للوصول لهذه الدرجة ، فنجحت توظيف الصُّورة في تحقيق البُعد الحجاجيّ التَّرغيبيّ بالضغط على الجانب النَّفسيّ العاطفيّ للمُتلقِّي .

وقد تثير الصُّورة الفنيَّة في المُتلقِّي شعور الخوف والرَّهبة بما فيه من ترهيب من مواقف مِمَّا شكِّل ضغوطاً نفسيّة لديه بتجسيم صورة حسيّة موطنها جسم الإنسان وقد يكون عاش مواقف منها في حياته من الخوف، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآرِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [14] ، وفي استخدام الأزفة ، والحناجر قوة تأثيريّة مرعبة بما أثارته في نفس المُتلقِّي من مظاهر الرُّعب بتجسيم حركة القلب .

^{1.} العشراوي ، عبد الجليل ، آليات الحجاج القرآني ، ص 299

^{2.} قادا ، عبد العالى ، الحجاج في الخطاب السياسي ، ص 322

^{3 .} سورة الزخرف ، الآية : 71

^{4 .} سورة غافر ، الآية : 18

ويُعَدُ " التَّقويم " أو التَّحسين والتَّقبيح من الوظائف المهمَّة للصُّورة الحجاجيّة ؟ لأنَّ بها يتم إصدار أحكام ذات أبعاد قيِّمة على الأفكار المطروحة أو المواقف المنظورة ، لذلك تتجلَّى في هذه الوظيفة الحجاجيّة الغاية التَّفاعليَّة بين المُتكلِّم والمُتلقِّي ، بل يؤثِّر المُتكلِّم في المُتلقِّي ويغيِّر من مواقفه أو سلوكياته " عندما تصبح الصُّورة الفنيَّة وسيلة للتَّحسين والتَّقبيح فإنّها تؤدِّي إلى ترغيب المُتلقِّي في أمر من الأمور أو تنفيره منه ، ولقد التفت الجاحظ إلى هذا عندما تحدَّث عن إشباع الشَّاعر للصِّفة في حالتي المديح والهجاء ."[1]

ومن مواقف التَّقويم المعتمد على التَّبيح ، استبشاع الله تعالى لعقوق الوالدين ، يقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفَ لَكُمَا أَتَجِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسَتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيُلْكَ آمِنْ إِنَّ وَعُدَ اللَّهِ حَقِّ فَيَقُولُ مَا هٰذَا إِلَّا أَساطِيرُ قَبْلِي وَهُمَا يَسَتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيُلْكَ آمِنْ إِنَّ وَعُدَ اللَّهِ حَقِّ فَيَقُولُ مَا هٰذَا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوْلِينَ * أُولُمُئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمْمٍ قَدْ خَلَتُ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ الْفُولُ خَي اللَّهِ عَاتُوا خَاسِرِينَ وَهِي تقويم لفئة من الأبناء المسلمين وهي تقويم لفئة من الأبناء المشركين " أسلم آباؤهم ودعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم وأغلظوا لهم القول فضموا إلى الكفر بشنيع عقوق الوالدين " [3] ، فقامت علاقة ضدية بين طرحين منتافرين ، موقف الابن العاق منكر البعث ، وموقف الوالدين المشفقين على الابن ، ويطلبان الغوث من الله لهدايته ، قبُني التَّويم على الكناية في ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ في بيئة أتقنت فنون التِّجارة وعرفت معايير الخسارة . ومن مواقف التَحسين قوله تعالى في بيئة أتقنت فنون التَجارة وعرفت معايير الخسارة . ومن مواقف التَحسين قوله تعالى فيها مَا تَشْتُهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتُهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ المِنها وبين المُؤمنين من خلال الكناية للإشارة إلى تأمين الإنسان لنفسه من العلاقة بينها وبين المُؤمنين من خلال الكناية للإشارة إلى تأمين الإنسان لنفسه من جانب الله لتحقيق الطَّمَانينة النَفسية ، ورسم صورة لنعمة الطَّمَانينة على الإنسان .

^{1.} عصفور ، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص 353

^{2 .} سورة الأحقاف ، الآيتان : 17 _ 18

^{3.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير: ج 26 ، ص 37

^{4.} سورة فصلت ، الآية: 31

وتتحقّق الأبعاد الحجاجيّة للصّورة الفنيَّة من خلال " الوظيفة الاستدلاليّة " الَّتي تعتمد على القدرة العقليَّة لمعرفة دوافع إثبات حقيقة ما ودفع المُتلقِّي للاقتتاع بما يطرح عليه " فتقوَّم العمليَّة الاستدلاليَّة على الانتقال من المعنى إلى المعنى أو من الدَّلالة الوضعية إلى دلالة عقليَّة ، الأولى دلالة مطابقة والثَّانية دلالة مستلزمة "[1] ، فالاستدلال ما هو إلا " استنتاج قضيَّة مجهولة من قضيَّة أو عدَّة قضايا معلومة تستخلص منها مباشرة دون اللُّجوء للتَّجربة ، فهو عمليَّة تفكيريَّة تتضمَّن وضع الحقائق والمعلومات بطريقة منظَّمة "[2] ، ويعتمد الاستدلال على امتلاك مهارة الاستدلال عند المُتكلِّم والمُتلقِّى .

ويظهر الاستدلال في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا الْمَعْلِمِ الْمَعْبِي الله الله ووجوده المعطومة إحياء الله الأرض بالماء بعد موتها بما فيها من دلالات على قدرة الله ووجوده ، ففي ﴿ خَاشِعَةً ﴾ استعارة دلّت على خشوع الأرض وتذلّلها لله عندما تكون مقحلة لا نبات فيها ، وربطت الاستعارة بالتَّشخيص للأرض فكانَها عابد خاشع لله ، كما أن الالتفات في الانتقال من الغيبيَّة إلى المُتكلِّم أفاد تعظيم الله ، وفي ﴿ الْهَتَرَّتُ وَرَبَتُ ﴾ فيه تعمل أو استعارة تمثيليَّة بجعل الأرض وقد نزل عليها المطر بإنسان نزلت عليه نعمة فختال بما لديه من نعمة ، ﴿ خَاشِعَةً ﴾ و ﴿ الْهَتَرَٰتُ ﴾ استعارة مكنيَّة من خلال بثّ الحياة والحركة فيهما على شكل صورة حسية مادّتها الطبيعة المألوفة للإنسان الدَّالة على قدرة الله في الإحياء ، ولينتقل للقضيَّة المجهولة وهي إحياء الموتى وبعثهم من جديد عن طريق الاستدلال الَّذي أثبت البعث ﴿ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْبِي الْمَوْتَىٰ ﴾ فإحياء الأرض دليل محسوس على إحياء الموتى ، ومن أحيا الأرض بإخراج النَّبات قادر على إحياء الموتى فربطت صورة إحياء الموتى بإحياء الأرض ، وتوضّحت وظيفة الاستدلال بالاعتماد على دائرة الإفهام والانتقال منها لدائرة الإقناع والتَأثير .

^{1.} قادا ، عبد العالى، الحجاج في الخطاب السياسي ، ص 332

^{2.} المغامسي ، آمال يوسف ، الحجاج في الحديث النبوي ، ص 318 ـ 319

^{39 .} سورة فصلت ، الآية : 39

وتبرز وظيفة " الاستعصاء على الدَّحض " والإبطال للصُّورة الحجاجيّة ؛ لأنَّ الحُجَّة الَّتِي تقوُّم على الصُّورة يصعب دحضها فهي " تقع في أعلى السُّلَّم الحجاجيّ ، وتقدِّم الحُجَّة الأقوى ، فلا يوجد دليل مُضادّ بعدها يخدم النَّتيجة المُعاكسة ولا يقبل أن تَردَ في سياق الإبطال أو التعّارض الحجاجيّ "[1] خاصّة إذا قامت الصُّورة على الاستعارة أو التَّشبيه ، فقد أخبرنا الله عن إغراقه فرعون وجنوده عندما حاول اللحاق بموسى عن طريق الصُّورة البلاغيّة والَّتي يستعصى على أي إنسان دحضها وتقديم عكسها ، يقول تعالى : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾[2] ، فقد بُنيَتْ الصُّورة على التَّشبيه البليغ في ﴿ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ والرهْوُ: الفجوة الواسعة ، مِمَّا يؤكِّد بما لا يدع مجالا للشَّكِّ أنَّ فرعون دخل الفجوة ومات غرقا ، ولا يستطيع أحد أن يدحضها ؛ لأنَّها تقدُّم الحُجَّة الأقوى على غرقه ، وفي قوله : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَهَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾^[3] صورة لعذاب قريش في معركة بدر بعد أن توعدهم الله بالإمهال ولا يستطيع أحد دحضها .

وتُسَاهِمُ الصُّورَةُ الفَنِّيَّةُ في عمليَّة إقناع المُتلقِّي والتَّأثير فيِّه عن طريق المبالغة في المعنى ؛ لأنَّها تُعَدُّ من وسائل شرح المعنى، فهي أسلوب متميِّز من أساليب الصُّورة ا التَّأْثيريّة (41) ، وتظهر المبالغة في قوله: ﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبنسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[5] ، لا يُقصد به إلا المبالغة في تمثيل المعنى وتضخيم وقعه في نفوس السَّامعين ، ففي دخول الأبواب كناية عن الوقوع في جهنم، والمثوى إشارة للإقامة الدائمة فكانت النَّتيجة أنَّها مثوى للكافرين بسبب تكبرهم على الرُّسل. وفي قوله تعالى : ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقُلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾[10] مبالغة في تصوير حال المُستهزئينَ وتأكيد للمُتلقِّي بأنَّ هذه الفئة تعيش حالة نُكوص يصعب معها هدايتهم .

^{1 .} قادا ، عبد العالي ، <u>الحجاج في الخطاب السياسي</u> ، ص 339

^{2 .} سورة الدخان ، الآية : 24

^{3 .} سورة الدخان ، الآبة : 16

^{4.} عصفور ، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص 343

^{5.} سورة غافر ، الآية: 76

^{6.} سورة الجاثية ، الآية: 23

5 . 2 : أنماط الصُّورةِ الحِجَاجِيَّة :

تهدف الصُورة الفنيَّة لتقديم المعاني والأفكار المبهمة في صورة حسيَّة يُدْرِكها العقل بما يملك من حواس ، ذلك أنَّ الصُورة تَتَمَظْهَرُ بمظهر حسيّ يخرجها من الغائب للشَّاهد ومن الخفي للجلي كما قال الجرجانيّ ، فالصُّورة الفنيَّة " تشكيل لغوي يُكوّنها خيال الفنان من مُعطيات متعدِّدة يقف العالم المحسوس في مقدِّمتها ، فأعلب الصَّور مستمدَّة من الحواس "لاا ، وقد تشترك أكثر من حاسة في رسم وتكوين الصورة الفنية ، لكنَّ تحديد نمطها يعتمد على الحاسة الَّتي تطغى دون غيرها في تشكيل نمط الصَّورة ، فالصُورة الحسية تُدُرك بالحواس وتقوم براعة المُتكلِّم في التَّجربة الحسية فتشكل تلك الحاسة طاقة حجاجيّة إقناعيّة في بنائها للصُّورة الحسيَّة ، مِمَّا يساعد في توصيل المعنى الَّذي يقصده المُتكلِّم " فأوضح الصُّورة الفنيَّة وأكثر الأشياء المرئيَّة ثباتا توصيل المعنى الَّذي يقصده المُتكلِّم " فأوضح الصُّورة الفنيَّة وأكثر الأشياء المرئيَّة ثباتا بالذِّهن دائما أشياء كتلك الَّتي نستطيع أن نبصرها ونلمسها ونسمعها ونتذوَقها ونشمها" [21] ، لأنَّ " مادَّة الصُّورة ما تعطيه لها الحواس ، وما يتناثر من فتات الحياة الأليفة ."[31]

ويُعد نمط "الصّورة البصريَّة "من أكثر أنماط الصّورة الحجاجيَّة استخداما ، وهي الصورة المثيرة للمخيَّلة البصريَّة ، الَّتي تُعِيدُ إنتاج المعنى إنتاجا مدركا بواسطة البصر ، وتتميَّز بذكر المُدركات البصريَّة من حركة ، ولون ، أو بذكر ألفاظ تدل على الرَّوية البصريَّة مثل رأى ، نظر ، أبصر ، بل تشمل كُلّ الصّور الَّتي تستقبلها حاسة البصر ، فهي صورة لها قدرة فائقة على إيقاظ الشُعور وتنشيط الذِّهن [14] فتعطي للحدس البَصرييّ أهميَّة في تكوين الإدراك الحسيّ ، والَّتي أشار إليها ابن الأثر بـ " تشبيه معنى بصورة لتمثيله المعانى الموهومة بالصّورة المُشاهدة "[5] من خلال الطّبيعة وغيرها .

^{1.} البطل ، علي ، (1981): <u>الصورة الفنية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري</u> ، دراسة في أصولها وتطورها ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، ط2 ، ص 30

^{2.} اليافي، نعيم، (1982): مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، منشورات وزارة الثقافة . دمشق ، ص74

^{3 .} ناصف ، مصطفى ، (1981) : الصورة الأدبية ، دار الأندلس للنشر ، ط 2 ، ص 64

^{4.} المغامسي ، آمال يوسف، الحجاج في الحديث النبوي ، 274

^{5.} ابن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر ، ج1 ، ص 397

ومن الصُور الَّتي حقَّرت المخيلة البصريَّة للمُتلقِّي ليتفاعل مع المُتكلِّم قوله تعالى : ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُسْفَقِينَ مِمًا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ﴾ اليستدلّ من خلال علاقة المُقابلة وما فيها من مقصديّة الضِّدية على حال الكافرين والمُؤمنين يوم القيامة ، فقد صوَّر الله حال الكُفَّار وهم خائفون خوفا شديدا يوم القيامة بسبب ما تَعِجُ به صحائفهم من سيئات ، وحالة الذُّعر الَّتي تنتابهم في تلك اللحظات الرَّهبية ، وحَثُمية العقاب مهما بَدَرَ منهم من استرحام وتذلل ، هذه الصُّورة لا يمكن للعقل أن يدركها حق الإدراك إلاّ من خلال المخيلة البصريّة، فلا توجد حاسة يمكن أن تعرضها للمُتلقِّي أنجع من الصُّورة البصريّة بما تحمل من طاقات ترهبييّة ، وفي المقابل تعتمد الصُّورة المضادة لهذه الحالة أيضا على المخيلة البصريّة في تصوير حال المؤمنين وهم يتمتعون في روضات الجنان ، فالصُّورة البصريّة اعتمدت على طاقة المقابلة الضدية في رسم إحداثيات الموقف فالصُّورة البصريّة أظهرت عظمة الله بالنِّسبة للكافرين والمؤمنين ، فكان بعدها التصويري نواميس بصريّة أظهرت عظمة الله من خلال بعدها الحجاجيّ .

وَعَمَدَتُ الصُّورةِ البصريّةِ إلى تهويل حال كُفَّار قريش عندما حلَّ بهم القَحْط والجدب ، يقول تعالى ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ [2] ، فاعتمدت القوة الحجاجيّة في هذه الآية على الصُّورة البصريَّة ، فالله عزَّ وجلَّ يأمر الرَّسول ومشركي قريش بأن يرتقبوا " يوم تأتى السَّماء بجدب ومجاعة، فإن الجائع يرى بينه وبين السَّماء كهيئة الدُّخان ، وهي ظلمة تعرض البصر لضعفه "[3] بسبب تتاثر غبار الصَّحراء جراء الجفاف ، فتحقَّق التَّرهيب في الآية من خلال الصُّورة البصريَّة لمن يصاب بضعف في جسده ، فتضعف قوة نظره فيرى أمامه دخاناً ، فهذا المشهد الَّذي يعاينه الكافر ببصره بعد أن حذره منه الرَّسول الكريم ، ووقع له يدفعه التَّسليم بصدق سيَّدنا مُحمَّد ، ويترتب عليه ضرورة الإذعان للدَّعوة المُحمَّديَّة .

1 . سورة الشوري ، الآية : 22

^{2 .} سورة الدخان ، الآية : 10

^{3.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 286

أما " الصُّورة السَّمعيَّة " فتقوم " على توظيف ما يتعلَّق بحاسة السَّمع ، وَرَسْم الصُّورة عن طريق أصوات الألفاظ ووقعها في الأداء واستيعابها من خلال هذه الحاسة مفردة أو بمشاركة الحواس الأخرى ، لإبلاغ المُتلقِّي ، ونقل الإحساس بالصُّورة لدى المُتكلِّم إليه "[1] ، فهي تثير المخيِّلة السَّمعيَّة لِتُعِيد الإنتاج السَّمعي للمعنى ، وقد قدمت الصُّور السَّمعيَّة على الصُّورة البصريَّة في النَّصِّ القرآنيِّ في مواقع عديدة [2].

ووظّف الصُّورة السّمعيَّة في إظهار جانب من شدَّة العقاب الواقع على الكافرين لترهيب المُتلقِّي والتَّأثير فيه بصورة مرعبة للعذاب الَّذي لم يشاهده ، لكنَّ الصُّورة السّمعيَّة قرَّبتها في مخيِّلة المُتلقَّي ليدرك شدَّتها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْلُنَا عَلَيْهِمْ السّمعيَّة قرَّبتها في مخيِّلة المُتلقِّي ليدرك شدَّتها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْلُنَا عَلَيْهِمْ ويحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ تَحِسَاتٍ ﴾ [3] ، فالصُّورة السّمعيَّة المبنيَّة على ﴿ صَرْصَرًا ﴾ نشَّطت المخيَّلة السّمعيَّة للمُتلقِّي لفهم واقعها ، فالصَّرصر هو ريح شديدة الصوت مزعج ومخيفة ، فالقوة الإدراكيَّة السّمعيَّة للمُتلقِّي تبدأ بالعمل في تخيل صورة الكافرين وقد هبَّت عليهم ريح قوية شديدة الصَّوت مرعبة أدت دورا حجاجيًا بإيضاح المعنى من خلال وظيفة المُبالغة في الشِّدة لرسم صورة في المخيِّلة من خلال قناة السَّمع لقوم عاد والرّيح المخيفة تلفُّ ديارهم بصوتها المرعب، وجاء تكرار صوت الصاًد وهي من حروف الصَّفير متناسباً مع الرّيح ، وتفسر صرصرا على أنَّها الرِّيح شديدة الصَّوت والبرودة فتدمج الصُّورة السَّمعيَّة واللَّمسيَّة في تكوين الصُّورة الحجاجيّة .

وشكلت مادة الصُّورة السَّمعيَّة من خلال حاسة السَّمع أداة إقناع يصعب على المُتلقِّي دحضها، يقول تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ [4] المُتلقِّي دحضها، يقول تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ أفكد الجنّ لقومهم صدق القرآن الكريم من خلال السَّمع الَّذي يصعب إنكاره، فبرزت صورة مجموعة من الجنِّ استمعت للقرآن فأدركت صدقه، وقريش شاهدت المعجزات فكفرت به .

^{1.} إبراهيم ، صاحب خليل ، (2000) : <u>الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام</u> ، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب ـ دمشق ، ص 19 ـ 20

^{2 .} ومن أمثلته ، غافر: 20، 56 ، فصلت: 22 ، الشورى: 11 ، الزخرف: 40 ، الإحقاق: 26

^{3 .} سورة فصلت ، الآية : 16

^{4.} سورة الأحقاف ، الآية: 30

وتعتمد "الصُورة الذَّوقيَّة "على حاسة الذَّوق لإنتاج الصُورة "وتستخدم هذه الحاسة في رسم معالم الصُورة ، وتكتسب الألفاظ المُستعارة من حاسة الذَّوق قدرة على تقريب المفاهيم والمعاني المجرَّدة ، بحيث تسحبها من دائرتها وتتقُّلها إلى دائرة الذَّوق "المفاهيم والمعاني المجرَّدة ، بحيث تسحبها من دائرتها وتتقُّلها إلى دائرة الأَوق "المغتشطت الصُورة المخيِّلة الذَّوقيَّة للإنسان بما امتلكت من قوة دافعة للتَأثير في المُتلقِّي في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَ بِهَا ﴾ [2] ، فتشكَّلت الطَّاقة الإقناعية الحجاجيّة في ﴿ أَذَقْنَا ﴾ ، ليُقنع المُتلقِّي بأنَّ ما حصل عليه من نعم الدُنيا وإن عظمت وكثرت ، فلا تعادل حجم الإذاقة لما في الجنَّة من نعيم ، فهذه النَّعم الدُنيويَّة ما هي إلا كقطرة في بحر نعم الجنَّة ، فجاء التَّعبير عنها بالإذاقة مناسبا لموقفها الحجاجيّ ، كما كشفت الصُورة الذَّوقيَّة عن الجانب النَّفسيّ للإنسان بفرحه إذا المتعمة وابتعد عن المُنعم،فقرَّب الله تعالى بالصُورة الذَّوقيَّة المفاهيم المجرَّدة وجعلها محسوسة ، فالصَّفة أضافت شيئا آخر إلى حسيّة التَّدوق من خلال الاستعارة [3] ، وما حملت الملفوظات التَّصويريّة من طاقة اقناعية .

وجاء الصُّورة الذَّوقيَّة للسُّخرية من الكُفَّار وتتفيرهم من طعام أهل النَّار للتَّأثير فيهم فيقول تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ *.. في إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [1] وبرزت طاقة الصُّورة الذَّوقيَّة في ﴿ شَجَرَتَ الزَّقُومِ ﴾ والزَّقوم من الزَّقم بمعنى الإلتقام والابتلاع للشَّيء، و ﴿ كَالْمُهُلِ ﴾ وهو النّحاس المذاب شديد الغليان ، شجرة الزَّقوم وإن كانت مجرَّدة مجهولة إلا أن وصفها يثير في نفس المُتلقِّي التَّنفير منها ، فتم نقل الصُّورة المجردة إلى محسوسة ، كما أنَّ في ﴿ ذُقُ إِنَّكَ المُتلقِّي النَّغرِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ سخرية وتقييم استقباح لافتخاره على الرَّسول بأنَّه عزيز ، كما أنتَ الْعَزيزُ الْكَرِيمُ ﴾ سخرية وتقييم استقباح لافتخاره على الرَّسول بأنَّه عزيز ، كما جعلت العذاب كالطعام في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكُفُرُونَ ﴾ [5]

^{1.} دريباتي ، آصف، أنماط الصورة الحسية ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، م 35 ، ع 5 ، 2013 ، ص 18

^{2 .} سورة الشورى ، الآية : 48

^{3.} ياسوف ، أحمد، جماليات المفردة القرآنية ، دار المكتبي ـ دمشق ، 1999 ، ط2 ، ص118

^{4 .} سورة الدخان ، الآيات : 43 _ 49 . 4

^{5.} سورة الأحقاف ، الآية : 34

وتبرز " الصُورة اللَّمسيَّة " كنمط من أنماط الصُورة الحجاجيَّة بما تثير المخيِّلة اللَّمسيَّة لدى المُتلقِّي، وتتميَّز بوجود اللَّوازم اللَّفظيَّة الدَّالة على اللَّمس مثل أفعال اللَّمس أو وسائطه (الجلد ، البنان) أو صفاته مثل (اللِّين ، أو الصَّلابة ، أو البرودة ..) [11] ما تتمتع به من طاقة اقناعية .

فوظّفت الصُّورة اللَّمسيَّة في قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكُ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ [2] ، للتَّرغيب في الثَّبات على المنهج الرَّبَانيّ ، فحركت الصُّورة اللَّمسيَّة الانفعالات العاطفية عند المُتلقِّي للتَّاثير فيه باتباع المنهج الإسلاميّ فالاستمساك " شدَّة المسك ، فالسين والتَّاء فيه للتَّأكيد . والأمر به مستعمل في طلب الدَّوام ، لأنّ الأمر بفعل لمن هو مُتلبِّس به لا يكون لطلب الفعل بل لمعنى آخر وهو هنا طلب الثَّبات على التَّمسك بما أوحي إليه ، ليفيد أن الرَّسول عليه السَّلام راسخ في الاهتداء إلى مراد الله تعالى ، كما يتمكن السَّائر من طريق مستقيم لا يشوبه في سيره تردُّد في سُلوكه ولا خشية الضَّلال في بُنيَّاته "[3] ، كما أثار شعور الإمساك بقوة الثَّبات على المنهج من خلال الصُّورة في بُنيَّاته "اتزيد من الإقناع به.

ومن خلال دراسة أنماط الصُورة الحسيَّة في سور الحواميم نجد أن الصُورة البصريَّة بأنواعها من بصريَّة وحركيَّة ولونيَّة كانت الأكثر شيوعا وعددا ؛ وذلك لأنَّ هذه الصُور خاطبت في جانب كبير من آياتها فئة الكُفَّار مِمَّا استلزم استحضار محسوسات مألوفة ومشاهدة أمامهم للتَّأثير فيهم وإقناعهم ؛ لأنَّ الصُّور البصريَّة الأقدر على تصوير المشاهد ، وتقرب المعنى وتؤدي الوظيفة الحجاجيّة ، أمَّا الصُّور الأخرى فكانت قليلة الحضور ، وإن برزت الصُّورة الذَّوقيَّة مرتبطة بعذاب الكافرين وإنذارهم بأنَّهم سيذوقون العذاب ، ونجحت في تحقيق التَّرهيب من العذاب ، ويلاحظ ندرة وجود الصُورة الشَّميَّة في سور الحواميم ، فنجحت الصُورة الحسيّة في تحقيق دورها الحجاجيّ بما امتلكت من طاقة اقناعية وأبعاد جمالية وأهداف استدلالية .

^{1.} المغامسي ، آمال يوسف ، الحجاج في الحديث النبوي ، ص 285

^{2 .} سورة الزخرف ، الآية : 43

^{3 .} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 219 _ 220

5 . 3 : مادَّة الصُّورةِ الحِجَاجِيَّةِ ومُكوِّنَاتِها

عرفنا أهمية أنماط الصبورة ووظائفها الحجاجية الاقناعية التي تؤثّر في المُتلقي ، وتزيد من إذعانه وتسليمه لما تحمل من فكرة ، ولكن ما مُقومات الصبورة الّتي تجعلها تمتلك قوة حجاجية وطاقة تأثيريَّة ؟ فيكون اختيار مادَّة الصبورة مُتناسبا مع الفكرة الّتي سيتُقرِّبُها لذهن المُتلقِّي ، فمادَّة الصبورة يتمُّ اختيارها بعناية من المحسوسات ؛ لأنّها الوعاء الّذي سيحمل الفكرة للمُتلقِّي وتقوم بدور إقناعيّ تأثيريّ ، ومن هنا كان "استخدام الصبورة في القرآن الكريم في أحيان كثيرة حسما للعناد الّذي كان منهم إزاء الأطروحات اللّتي جاء القرآن الكريم يعرضها عليهم ويدعوهم إليها ، فمادَّة الصبورة في الغالب تقنع أو تكون منطوية على طاقة إقناعيّة منتزع من تجارب المُتلقين وممارستهم المعيشة "[1] ؛ لأنَّ هذه الصورة ذات الأبعاد الحجاجية تكون نابعة من " عوالم المتلقين وتجاربهم وممارساتهم المعيشية ومشاهداتهم العينية ."[2]

واعتمدت الصّورة في مادة بنائها على الحياة الطّبيعيّة من النّباتات والحيوانات جاعِلة منها وسيلة إقناعيّة لتقريب المعنى المجرَّد إلى معنى حسيّ يُدْرَك بمخيلات المُتلقِّي وتزيد التَّأثير فيه، فقال تعالى: ﴿ اللّهُ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا الْمُتلقِّي وتزيد التَّأثير فيه، فقال تعالى: ﴿ اللّهُ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [3] ، فوظف الله سبحانه الأنعام والمراد بها الإبل ، للدَّلالة على انفراده تعالى بالتَّصرف والامتنان بما سخر لهم من الإبل لمنافعهم الجمَّة ، وقوى من المعنى الحجاجيّ استخدام ﴿ جَعَلَ ﴾ ، فالجعل : الوضع والتَّمكين والتَّهيئة ، فيحمل في كُلِّ مقام على ما يناسبه وفائدة الامتنان تقريب نفوسهم من التَّوحيد لأنَّ شأن أهل المروءة الاستحياء من المنعم [4] ، ولاستخدام الإبل قوة تأثيريَّة على المُتلقِّي لما " للإبل من منزلة خاصَّة لدى العرب مُتلقي القرآن الأولين ، هي الَّتي جعلت القرآن يعتمد (الجمل) مادَّة لكثير من صوره الفنيَّة من شأنه أن يجعل المعنى أقرب مأخذا إلى عقول المتلقين. "[5]

^{1.} صولة ، عبد الله ، الحجاج في القرآن ، ص 500

^{2.} الزماني ، كمال ، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية ، ص 175

^{3 .} سورة غافر ، الآية : 79

^{4.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التنوير والتحرير ، ج 24 ، ص 214

^{5.} صولة ، عبد الله ، الحجاج في القرآن ، ص 510 ، 511

ويقول تعالى: ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [1] ، فقرن الله سبحانه الأنعام . خاصّة الإبل . بوسائل الكسب بالتّجارة ، تلك الحرفة الّتي اشتهرت بها قريش وعرفت وسائل النّقل برّها وبحرها ودورها في تحريك عجلة التّجارة ، فَذِكْر وسائل النّقل المحسوسة أعطى قوة تأثيرية للصّورة في المُتلقِّي ، كما استخدمت الأنعام للدّلالة على عظمة الله في قوله : ﴿ فَاطِرُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴾ [2] ، فقدم الله استدلالا على عظمة خلقه ، فمن أحوال فَطْر الأرض خلقه للإنسان والأنعام ، واكتسبت الأنعام قوة تأثيريّة من خلال ذِكْر أصل تكوينها مِمَّا قدَّم دليلا ملموسا على عظمة خلق الله .

وجعل الله تعالى من الحيوان علامة على قدرته يقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ﴾ [3] ، فاكتسبت الصُّورة قوَّة إقناعيّة للمُتلقِّي من خلال ذِكْر محسوسات تزيد من التَّأثير على ذهن الإنسان لإقناعه بعظمة خلق الله وقد تكررت هذه الصُّورة بمادَّتها في مواطن مختلفة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [4] ، فصورة الحيوان ما هي إلا جزء من الاستدلالات الَّتي يقدِّمها الله على كمال قدرته، فهذه المخلوقات الَّتي يُشاهدها المُتلقِّي محسوسة أمامه لا بُدَّ لها من صانع يتقن صُنعها ، فيقود هذا الإتقان المُتلقِّي للاقتناع بوحدانيَّة الله وتقرده بالخلق وابداع صنعه.

ووظّفت مادَّة النَّباتات في تكوين الصُّورة لغايات حجاجيّة متنوعة في قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ﴾ [5] ، للرَّد على من ادَّعى علم السَّاعة ، فالله يعلم كُلَّ شيءٍ حتَّى ما تُخرجه أكمام النَّخيل من الثَمَر ، وقدَّم مثالا مِمَّا عرفه المُتلقِّي ، فالنَّخيل مادَّة محسوسة تعرفها قريش ففي استعمالها بعد حجاجي وقوة إقناعيّة .

^{1 .} سورة الزخرف ، الآية : 12

^{2.} سورة الشورى ، الآية: 11

^{3 .} سورة الشورى ، الآية : 29

^{4 .} سورة الجاثية ، الآيتان : 3 _ 4

^{5.} سورة فصلت ، الآية: 47

وجاءت مادًة النَّباتات في تكوين صورة برهانية لنتيجة من يعصي الله فيفقد النَّعيم الله فيفقد النَّعيم الله فيفقد النَّعيم فيه ، يقول تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ الله فجعل الله من فقد النَّعيم الَّذي وقع لآل فرعون بعد أن عصوا الله للتَّاثير في قريش بأنَّ حالهم إن استمروا في عصيان الله سيكون كحال آل فرعون في فقد النَّعيم الَّذي يعيشون فيه ، كما جاءت مادَّة النَّبات لترسم صورة الجزاء لمن اتبع الرَّسول الكريم وآمن بالله فقال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ النَّبِي أُورِثُتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةً فقال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ النَّبِي أُورِثُتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةً كَثِيرَةٌ مَنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [2] ، فكانت مادَّة للتَّرغيب في الجنَّة لما فيها من الثِّمار ، وذكرت لهم هذه الفاكهة لما خَبِرَ أهل قريش صورة البساتين وما فيها من نعيم فقد عَرَفُوها في الطَّائف بل كانوا يسعون لاستملاكها ، ولترغيبهم في الجنَّة ذُكِرَ لهم جزء من نعيمها للتَّاثير فيهم واستمالتهم .

وشكلت الطبيعة بدورها مادَّة للتَّصوير الحجاجيّ فهي من العوالم الَّتي تحقق الإفهام للمُتلقِّي ، ومن عناصر الطبيعة التي شكَّلت الصُورة واستثارت فيها قوة إقناعية مؤثِّرة في المُتلقِّي " فجمال الطبيعة آية يستدل بها القرآن على وجود الله تعالى ، وقدرته وتدبيره للعالم ، فالطبيعة في القرآن ذات هدف دينيّ " أنّا ، وأداة ترغيب للمؤمن وترهيب الكافر نحو (الربح) الَّتي استخدمت في سياق التَّرهيب وأداة من أدوات العذاب في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نُحِسَاتٍ لِّنْذِيقَهُمْ عَذَابَ الْجَزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أنا ، وقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيها عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فالربح وظفت أداة للعقاب وهي مِمَّا عرفها المُتلقِّي وشاهد مظاهر من قوتها ، فنقلت الربح الصُورة من المجرَّد إلى المحسوس ، كما استخدمت الرباح أداة من أدوات الخير والتَّرغيب كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ أنا.

^{1 .} سورة الدخان ، الآيتان : 25 _ 26

^{2 .} سورة الزخرف ، الآيتان : 72 _ 73

^{3.} ياسوف ، أحمد ، جماليات المفردة القرآنية ، ص 121

^{4.} سورة فصلت ، الآية: 16

^{5.} سورة الأحقاف ، الآية: 24

^{6.} سورة الجاثية ، الآية: 5

ووظَّفت لفظة السُّفن بمرادفات مختلفة من مثل الجواري والفلك كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَرَ لَكُمُ الْبَحْرِ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ﴾[2] ، فاستخدمت هذه الألفاظ في خطاب متلق عاش وسط الصّحراء ولم يستخدم غير سفائن البر من الإبل ، لكنَّ هذه الأقوام عرفت التّجارة في البر والبحر ، فمثلت ألفاظ التّجارة من السُّفن مادَّة شكلت الصّورة ، فقد عرفت السُّفن في البيئات المحيطة بها وهي تَمْخُر البحار محملة وما في هذا من فضل شه على الإنسان .

وشكّل الماء مادة زراعيَّة لبناء الصُّورة الحجاجيّة البرهانيّة ، فاتَّخذ القُرآن " من مظاهر الطَّبيعة وسيلة لإقناعهم بالبعث ... وكرر ذلك المعنى حتَّى تقبله النَّفس ويثبت فيها "[3] ، فيقول الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا فيها "[4] ، فيقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾[4] ، ويقول : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ الْمَاءَ اهْتَزَبُتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾[4] ، ويقول : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْبًا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[5] ، فقد عرفت العرب في السَّمَاء مَاءً بِقدر فَأَنشَرْبًا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[5] ، فقد عرفت العرب في جزيرتها العربيَّة الزراعة المعتمدة على الأمطار ، وشاهدت الأرض وهي تموت بانقطاع الغيث ، ثُمَّ تعود لها الحياة بعد جدب بالغيث فتنمو من جديد ، فجاءت الصُّورة الَّتي خاطبت المتلقين بخلفيات زراعيّة للتَّأثير على العقل ليدرك حركة حياة الأرض بعد خواها ، ويحاكى بها بعث الإنسان بالاستدلال البرهاني .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ أقا تبرز دقة انتقاء لفظه ﴿ الْغَيْثَ ﴾ في التوظيف القرآنيّ لحملها صورة للرَّحمة والخير ، للتدليل على رحمة الله عزّ وجلّ بعباده ، بينما توظف لفظه (المطر) في الأسلوب القرآنيّ للانتقام والعقاب .

^{1 .} سورة الشورى ، الآية : 32

^{2 .} سورة الجاثية ، الآية : 12

^{3.} بدوي ، أحمد أحمد ، من بلاغة القرآن ، ص 269

^{4.} سورة فصلت ، الآية: 39

^{5.} سورة الزخرف ، الآية: 11

^{6.} سورة الشوري ، الآية: 28

واهتمت الصُورة بأدوات الحياة اليوميَّة للنَّاس في توظيفها لغايات إقناعيّة ، بل جعلت منها وسائل إقناع مهمَّة لأنَّها محسوسة للمُتلقِّي ، فَوُظَّفَت أدوات الحياة اليوميَّة المحسوسة لنقل صورة عن الدُنيا الَّتي يسعى لها الكُفَّار ، فقال تعالى : ﴿ لَجَعَلْنَا لِمَن يَعْفُرُ بِالرَّحْمُنِ لِبُيُوتِهِمْ مُنْقُفًا مِّن فِضَةً وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظُهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبُوابًا يَكُفُّرُ بِالرَّحْمُنِ لِبُيُوتِهِمْ مُنْقُفًا مِّن فِضَةً وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظُهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبُوابًا وَمِسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَنُونَ ﴾ [أنا ، فمن خلال القوة الحجاجية للصُورة أراد الله سبحانه سحب الكافرين إلى دائرة الإفهام ومن ثمَّ تحقق الاقتناع ، فالله تعالى يخبرنا أنَّه قادر على إعطاء الكافرين كُلَّ نعم الدُنيا فتكون لهم بيوتا سقوفها من فضة ولها مصاعد وفيها كُلّ مظاهر النَّعيم ، مقارنا بين أهداف الكافر الَّذي يسعى لكسب الدُنيا والمؤمن الَّذي يسعى لنعيم الآخرة . كما قرَّبت الصُّورة للإنسان فِهُمَ وجود النَّجوم في السَّماء بموادّ محسوسة يعتمدها في حياته اليوميَّة فجعلت النُّجوم كأنَّها مصابيح تتدلى من السَّماء محسوسة يعتمدها في حياته اليوميَّة فجعلت النُّجوم كأنَّها مصابيح تتدلى من السَّماء في قوله تعالى : ﴿ وَزَيَّنَا السَّمَاءَ الدُنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجِفْظًا ﴾ [2] ، لإقناعه بوجود خالق صنع هذا الكون ولا يمكن أن توجد من العدم .

وفي بيئة عَرفت تجارة الرَّقيق في أسواقها ، وشاهدت الذَّلة والضَّعف وَقَقُد الإرادة في عيون عبيدها ، استثمرت الصُّورة هذه الطاقات التَّنفيريّة لترهيب المُتلقّي من يوم الحساب ، بتوظيف أدوات اعتادوا على استخدامها مع عبيدهم ، فيقول الله تعالى : ﴿ إِذِ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [3] فهذا المشهد مألوف للمتلقين في ذلك الزَّمان لغاية التَّرهيب من يوم الحساب للتَّأثير التَّفسيّ والعاطفيّ في المُتلقّي ليبتعد عن الوقوع في تلك الفئة ، وإقناعه بالعودة لله عزّ وجلّ ليكون من أصحاب الجنّة باستخدام آلية الإفهام والانتقال بعد تحققيها إلى دائرة الإقناع والتأثير ، كما وظَّفت مفاهيم تجارية اعتادتها قريش في تجارتها للتَّدليل على مقادير تلك الخسارة الَّتي تخسرها جراء الابتعاد عن الدَّين ، فيقول تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ المُنْطِلُونَ ﴾ [4] ، ولتحمل كلمة (خسارة) مقتضى حجاجيّ .

^{1 .} سورة الزخرف ، الآيتان : 32 ـ 33

^{2 .} سورة فصلت ، الآية : 12

^{3 .} سورة غافر ، الآية : 71

^{4.} سورة الجاثية ، الآية : 27

ولم تُهْمِلْ الصُّورة الحجاجيّة في عوالمها الحياة الإنسانيَّة وما تحمل من طاقات حجاجيّة ، واستثمار صورة الإنسان في الإبانة لما فيها من قوة إقناعيّة ماثلة في جسمه يشاهد المُتلقِّي أثرها ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ﴾ الليؤكد الله تعالى أنَّه لم ينتقص من أجسامهم شيئا يعيق إدراكهم للدَّعوة غير عنادهم المُتأصل في منهجهم ، ووظف المجاز المُرسل في الأفئدة وقصد بها العقول ، لأن القلوب مصدر الإدراك الوجدانيّ الموصل للإدراك العقليّ فكانت مادَّة الصُّورة مؤثِّرة في المُتلقِّي وأكثر إقناعا ، ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتُوي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ [2] فبرزت بضديّة الطبّاق مراتب النَّاس من خلال مقصديّة الإيمان وتصديق الرُسل بصورة حسيّة مألوفة ، كما وظُفت هذه المادَّة لإظهار الخفايا النَّفسيّة لطبيعة الإنسانيّة فقال تعالى في توضيح الغدر بالعهود : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُدُورُ ﴾ [3] لإقناع المُتلقِّي بأنَّه يعلم ما تُخْفِي صدورهم من خلال علاقة الضّديّة .

اهتمت الصُّورة في مادَّتها بالحياة الثَّقافيَّة للكُفَّار ، باستثمار ما فيها من طاقة حجاجيّة لتوظيفها في الرَّدِّ على معتقداتهم الواهية فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا اللهُ هُرُ ﴾ [14] ، فاعتمد بناء الصُّورة على فكرة الدَّهريّة الَّتي سيطرت على الكُفَّار من خلال تشخيص الدَّهر وقصر الهلاك عليه ، وقامت الصُّورة على خلفيات ثقافية عن أحوال الأمم السَّابقة للتَّأثير في المُتلقِّي للاتِّعاظ مِمَّا وقع لهم ، فقال تعالى : ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فَرْعَوْنَ سُوعُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَثْبِيًّا ﴾ [5] ، وذكرتهم بعناد فرعون لسيِّدنا موسى ومصيرهم الَّذي حلَّ بهم ، فحملت قدرا كبيرا من الطَّاقة التَّرهيبيّة للمتلقين للخطاب .

1. سورة الأحقاف ، الآية: 26

^{2 .} سورة غافر ، الآية : 58

^{3 .} سورة غافر ، الآية : 19

^{4 .} سورة الجاثية ، الآية : 24

^{5 .} سورة غافر ، الآيتان : 45 ـ 46

الفصل الثالث:

الحِجَاج التَّداولِيّ :

اهتمّت التّداوليّة بتحليل الخطاب من خلال اهتمامها بالاستخدام اللّغويّ "فالتّداوليّة مستوى لسانيّ خاص ، يُعنَى بدراسة اللّغة في علاقاتها بالسّياق المرجعيّ لعمليّة التّخاطُب ، وبالأفراد الَّذين تجري بينهم تلك العمليّة التّواصئلية ، فالتّداوليّة تهتم بكلً أشكال التّفاعُل ، ودراسة المعطيات اللّغويّة والخطابيّة والمتعلّقة بالتّلفُظ "[1] ، فهي نهج تواصئليّ مُشْبَع بطاقات لغويّة تسعى للإقناع والتّأثير في المُتلقّي " فَيُعَدُّ الحِجَاج بابا رئيسا في المباحث التّداوليّة ، إذ انبثقت نظريّة الحِجَاج في اللّغة من داخل نظريّة الأفعال اللّغوية الّتي وضع أساسها أوستن وسيرل، فالتّداوليّة تُركّز على موضوع الحِجَاج لما له من أهميّة ؛ ذلك هدف الخطاب بالدَّرجة الأوُلى هو التَأثير في المُتلقّي والتَّديل التَّداوليَّة للحِجَاج هو الكفيل بالكشف عن آليات التَّاثير. "[2]

وتتاول العالمان ديكرو وأنسكمبر الأهمّيّة اللّغوية في الدّرس الحجاجيّ تحت مظلة الحجاج التّداوليّ ، فقد بيّنا " أنَّ الحِجَاج باللّغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبّت بعضها الآخر ؛ أي أنَّ المُتكلِّم إنَّما يجعل قولا ما حُجَّة لقول آخر هو بلغة الحِجَاج (نتيجة) يروم إقناع المُتلقِّي بها وبمعنى آخر إنّ المُتكلِّم قد يُصرّح بالنَّتيجة وقد يخفيها وعلى المُتلقِّي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخباريّة بل اعتمادا على بيِّنتها اللُغويّة فحسب "[3] ، ويرى حمّو النَّقاريّ فيما سماه لُغويّة الحِجَاج "بأنَّ النَّقاعُل الحجاجيّ غير مُنْفَكٍ عن استعمال اللَّغة ، فما يقوم به المتحاجون هو في أفعال لغويّة ، إن المحتاجين مثلا حين ينطقان بعبارة من العبارات مفردة أم موصولة بغيرها بأداة من أدوات الوصل والرَّبط ، يصبحان فاعلين لغويين ينجزان فعل الادِّعاء ... وللحجاج إذن تعلُّق وثيق بنظريَّة أفعال اللَّغة "[4].

^{1 .} بيرم ، عبد الله ، <u>التداولية والشعر</u> ، ص 25 _ 26

^{2 .} المرجع السابق ، ص 36

^{3.} الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي ، ص 23

^{4.} الدكان ، محمد ، الدفاع عن الأفكار ، ص 171

1 . الرَّوابط الحجَاجيّة :

تقع الرَّوابط الحجاجيَّة ضمن البُنى الأساسيَّة الَّتي يقوم عليها تماسك الخطاب بما تقدِّمه من قوَّة رابطة من خلال وظائفها الحجاجيَّة ، ويمكن حدّ الرَّوابط الحجاجيّة بأنها " مكونات لُغويّة تداوليَّة تربط بين قولين (أو أكثر) داخلين في استراتيجية حجاجيّة واحدة ، بحيث تسمح بالرَّبط بين المتغيرات الحجاجيّة ، بين حُجَّة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج "اللَّ ، ومن هنا نجد الرَّوابط الحجاجيّة " تستتبع بعلاقات حجاجيّة قائمة على الحجج والنَّتائج ، وقد تكون هذه الرَّوابط صريحة أو مضمرة حسب السيّاق التَّداوليّ "أيّا ، والرَّوابط في اللَّغة العربيَّة كثيرة ، من أهمِّها " بل ، لكن ، إذن ، لاسيّما ، حتَّى ، لأنَّ ، بما أنَّ ، إذ ، إذا ، الواو ، الفاء ، اللام ، كي ... "اذاً ، وهذه الرَّوابط تعطي دورا مُحَدَّدا لكُلِّ قول ضمن الصِّيغة الجديدة للنَّظريَّة الحجاجيَّة المعتمدة على الحجة وعلاقتها بالسبب والنتيجة .

ولا تقع الرَّوابط الحجاجيَّة في نمط واحد بل " تتعدَّد أنماط هذه الرَّوابط في بنية الخطاب الحجاجيّ ، فمنها ما تدرج للحجج مثل : حتَّى ، بل ، لأنَّ ، مع ذلك ، ومنها ما يخصص للنَّتائج مثل : إذن ، لهذا ، بالتَّالي ، ومنها ما يوضع لغرض الحجج القويَّة دون غيرها مثل: حتَّى ، بل ، لكن ، ومنها ما تعزّز به خاصَّية النَّعارض مثل : بل ، لكن ، مع ذلك ، ومنها ما يعتمد لإبراز ظاهرة التَّساوق مثل : حتَّى ، لاسيَّما "الله ، لكن ، مع ذلك ، ومنها ما يعتمد لإبراز ظاهرة التَّساوق مثل : حتَّى ، لاسيَّما "الله ، لكن ، مع ذلك ، ومنها اليعتمد لإبراز ظاهرة التَّساوق مثل : حتَّى ، لاسيَّما الله ، ولهذه الرَّوابط الحجاجيَّة وظيفتان رئيسيتان أولها أنَّها " تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر ، – وثانيها – تخدم دورا حجاجيّا للوحدات الدَّلاليَّة الَّتي تربط بينها "أدًا ، وتتفرع عن " وظيفة الرَّبط الَّتي تؤديها الرَّوابط وظائف أخرى مثل توجيه التَّعليمات المتعلقة بطريقة التَّاليف بين الوحدات ، وكذا إتاحة الفرصة لاستخلاص بعض النَّتائج . "أمّا

^{1.} عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 100

^{2 .} حمداوى ، جميل ، نظريات الحجاج ، 36

^{3.} العزاوي ، أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص 55

^{4.} مكناسى ، صفية ، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري ، ص 50

^{5.} عمران ، قدور ، البعد التداولي والحجاج في الخطاب القرآني ، ص 37

^{6.} ختام ، جواد ، التداولية أصولها واتجاهاتها ، ص 151

ويعتبر نص الحواميم من النُصوص الحجاجيَّة الغنية بأدوات الرَّبط باختلاف أنواعها ، وسنركز في هذه الدِّراسة على دراسة الرَّوابط: إذا ، ثُمَّ ، لكن ، بل ، حتى ، فقد وردت هذه الرَّوابط في سور الحواميم في ثلاثة وخمسين موضعا لتكون إحدى اللّبنات الحجاجيّة الأساسية في بنائها لهيكل الخطاب في الحواميم ، فشكّل الترابط الجملي والنَّسقي بين وحداتها الدَّلاليّة وسيلة لتحقيق الإفهام الَّذي ينقل المُتلقِّي للاقتتاع وبالتَّالي التَّاثير فيه لاستمالته واذعانه .

1.1 الرَّابط (إذا) :

ويبرز الرَّابِط الحجاجيّ (إذا) في سور الحواميم في خمسة عشر موضعا مشكلا ما نسبته (28 %) من مجموع الرَّوابط ، وتوزعت في الاستعمال الحجاجيّ بين الاستعمال الحجاجيّ النَّأييديّ النَّأييديّ شَكَّل الرَّابِط (إذا) من خلال الجملة الشَّرطية بنسبة 7 % ، وفي الاستعمال التَّأييديّ شَكَّل الرَّابِط (إذا) من خلال الجملة الشَّرطية أداة " تربط بين الوحدات الدَّلاليّة الَّتي تتمي إلى نفس الفئة الحجاجيّة ، فما هو واقع بعدها ينتمي إلى السِّياق الَّذي تشغله الوحدات الَّتي قبلها ، كما أنَّها تدلّ على إنشاء الارتباط بالشَّرط ، بحيث لا يُفْهَم الارتباط من غيرها "الآء ، ويرى ابن يعيش أنَّه " وإذا وجد منها ما يتوقّف معناه على ما بعده ، حلّ مع ما بعده من تمامه محلّ الاسم الواحد وفيها معنى الشرط فبنيت كبناء أدوات الشرط ، ولما تضمنته من معنى الجزاء "أداء " ولهذا أعتبر من الرَّوابط التَّأييديّة لارتباطه " بالحالة الَّتي يكون عليها المحاجج ، وهي تأييده لهذه القضية ، ومحاولة دعمها بمختلف الحجج والبراهين "أنا ، كما أنّ الرَّابِط إذا " لا قيمة له في حدّ ذاته إلا ضمن السّيرورة الحجاجيّة المُصاحبة لإنتاج الملفوظ . "أداء أهو رابط ثنائي الاستعمال ، يحمل بعدا تأييدي أو ابطالي .

1 . التأبيدي في : غافر : 12 ، 34 ، 78 ، فصلت : 20 ، 38 ، 50 ، الشورى : 29، 39 ،

النابيدي في : عافر : 12 ، 34 ، 67 ، فصلك : 20 ، 36 ، 30 ، السورى : 29، 39 ، 30 ، النابيدي في : الشورى: 48 ، الزخرف : 13 ، والابطالي في : الشورى: 48

^{2.} مكناسي ، صفية ، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي ، ص 59

^{3.} ابن يعيش ، شرح المفصل للزمخشري ، ج3 ، ص 120

^{4.} مكناسي ، صفية ، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي ، ص51

^{5.} ختام ، جواد ، التداولية أصولها واتجاهاتها ، ص 168

وأقام الرَّابط (إذا) الحُجَّة وقوى تأييدها الحجاجيّ ببيان سببها في قوله تعالى : ﴿ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلِ * ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِىَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكُ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾ [1] ، فوظِّف الرَّابط لبيان العلاقة السَّببية بذكر سبب وقوع المُشركين في العذاب، واستخدم ﴿ أَلِكُم ﴾ إشارة لما هم فيه من العذاب، كما بين حرف السَّببية الباء في ﴿ بِأَنَّهُ ﴾ سبب العذاب بكفرهم إذا دُعي الله وحده ، فالحدث الواقع قبل الرَّابط في البناء الحجاجيّ يُشِير لوقوع العذاب على المشركين بدليل اعترافهم بذنوبهم ، وبيَّن ما بعد الرَّابط سبب وقوع هذا العذاب في صيغة مشروطة ، فتكذيبهم للدَّاعي سبَّب وقوع العذاب ، فقام الرَّابط بتأييد الحُجج وتقويتها لسحب المُتلقِّي إلى دائرة الإفهام والَّتي منها ينتقل إلى دائرة الاقتناع فيتمُّ التَّأثر والإذعان والتَّسليم بالحُجج . وتظهر قيمة هذا الرَّابط في تحقيق البُعد الحجاجيّ التَّأبيديّ في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَاثُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [2] فالعلاقات الَّتي تجمع بين الوحدات الدَّلاليَّة الَّتي تربط بينها الأداة (إذا) هي من قبيل الاقتضاء فما بعد الأداة اقتضاء لوجود ما قبلها ، فالله سيجمع مشركى قريش وكُلّ الكُفَّار ويسوقهم إلى النَّار بعنف، وعندما يصلون أبواب النَّار بدليل (حتّى) والَّتي تفيد انتهاء الغاية، يقتضي الأمر أن يسألهم خزنة النَّار عن سبب حشرهم فينكرون الكُفر ، فَيُشْهِدُ الله سمعهم وأبصارهم وجلودهم عليهم.

ويبطل الرَّابط (إذا) حُجّة قائمة بحجج معارضة بالاستعمال الابطاليّ للرَّابط كما في قوله : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِثَا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿ [3] الْإِنسَانَ مَثَا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾ [3] فيكون ما قبل الأداة معارضا ما بعدها، فأراد الله إبطال حُجّة تقصير الرَّسول في الدَّعوة ودحضها فهو ليس متكفلاً بهم إنَّما عليه البلاغ ، بتعارض الحُجج المبنية على الدَّوافع النَّفسية للإنسان بأنَّه إذا أصابته نعمة بطر ، وإذا أصابته محنة يئس وجحد .

^{1 .} سورة غافر ، الآيتان : 11 _ 12

²⁰ _ 19 : الآيتان : 20 _ 20

^{3 .} سورة الشوري ، الآية : 47

1 . 2 الرَّابِط (ثُمَّ) :

ووظّف الرَّابِط الحجاجيّ (ثُمٌ) في سور الحواميم في أربعة عشر موضعا^[1] مشكلا ما نسبته (26 %) من مجموع استعمال الروابط ، ويفيد الرَّابِط (ثُمَّ) التَّرتيب والتَّراخي بين المعطوف والمعطوف عليه ، فالرَّابِط ثُمَّ " أداة تؤدِّي إلى الكشف عن مقصديّة المُتلفظ بالخطاب ، وتوضيح نواياه من خلال سياق المقام ، وساهم الرَّابِط (ثُمَّ) في اتِّساق النَّصِّ وإبراز دلالته الحجاجيّة ، وقد عدَّه منظرو الحِجَاج رابطا مهما ؛ لأنَّه ذو بعد حجاجيّ تداوليّ "^[2] ، وهو من حروف العطف التي تربط حجاجيّا " بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار إستراتيجية حجاجيّة واحدة "^[3] وتتمثل هذا الاستراتيجية في إقامة الحُجَّة وتأبيدها .

وقد يتوسط الرَّابط (ثُمُ) وحدتين دلالتين تقعان في نفس الاستراتيجية كما في قوله : ﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتُلَىٰ عَلَيْهِ ثُم يُصِرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَمْ يَسْمَعُها﴾ [4]، فيلتفت المُتلقِّي للمعطيات المطروحة في السياق في صورة تصاعدية أساسها التَرتيب مع التَّراخي الزَّمني مِمَّا شكَّل تأثيرا في المُتلقِّي ، فهذا الكافر قد سمع آيات الله المعجزات تثنَّى فلم يستطع الرَّدَ عليها ، وأخذ زمنا طويلا في التَّقكير قبل الرَّد ، فأفاد الرَّابط تراخي زمني أبان عن عجز المُخاطَب عن القيام بأي عمل أمام هذه الآيات ، فلم يجد غير الإصرار على التَّكبر حلّا لما هو فيه ، مقويا من الاتساق والانسجام في الخطاب من خلال تقديمه فرضية تأييد الحُجَّة . ويساعد الرَّابط (ثُمَّ) على إقامة حُجَّة قوية بتأييد ما قبلها كما في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمُ مَا يَحْزَبُونَ ﴾ [5] ، فالحُجَّة الَّتي جاءت قبل الرَّابط هي إقرار المؤمنين بالوحدانية لله ، يحْزَبُونَ ﴾ [5] ، فالحُجَّة الَّتي جاءت قبل الرَّابط هي إقرار المؤمنين بالوحدانية لله ، وأيدها الرَّابط بتأكيد استمرارية الاستقامة مدَّة حياتهم .

^{1 .} ومن أمثلته : غافر : 67 ، 72 ، 73 ، فصلت : 11 ، 30 ، 52 ، الزخرف : 63 ، الذخان : 48 ، الجاثية : 8 ، 15 ، 18 ، 26 ، الأحقاف : 13 .

^{2.} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج ، ص 91

^{3 .} العزاوي ، أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص 29

^{4.} سورة الجاثية ، الآية: 8

^{5.} سورة الأحقاف ، الآية: 13

1 . 3 الرَّابط (لكن) :

أعطى ديكرو وأنسكومبر أهميَّة كبيرة للرَّابط (لكن) ودوره الحجاجيّ ، لما له من علاقة استدراكية لما قبله ليقوي ما بعده " فندرك أنَّ (لكن) متى توسطت دليلين باعتبارها رابطا حجاجيّا جعلت الدِّليل الوارد بعدها أقوى من الدَّليل الَّذي سبقها "الله واستعمالها الحجاجيّ يُلَخَّص في أن التَّلفظ بقول من نمط (أ لكن ب) يستلزم أمرين اثنين : الأول : أن المتكلم يقدم (أ) و (ب) باعتبارهما حجتين ، الحُجَّة الأولى موجّهة نحو النَّنيجة المضادة الأولى موجّهة نحو النَّنيجة المضادة لها (لا_ن) ، والتُّانية بعدها الحُجَّة الأقوى وهي الَّتي توجه القول أو الخطاب [2] فتبرز خصوصيّة الرَّابط(لكن) "على بقية الرَّوابط؛ ذلك أنَّها تربط بين حجتين متعاندتين أو متنافرتين، وتغلب الحُجَّة الثَّانيةُ الأولى ببلوغها مَرَامِيها الصِّمنية للنَّتيجة "[3] ، فتكون لكن " بمثابة حُجَّة للإفصاح عن اعتقاد أو التماس أو وعد ... لا مجرد رابط لغوي للإخبار عن محتوى قضوي ."[4]

ويشغل الرَّابِط (لكن) مساحة كبيرة في الاستعمال الحجاجيّ الإبطاليّ ، وتشير " إلى التَّعارض القائم بين القضايا الّتي تربط بينها ، والوصف الحجاجيّ لها يتمثّل في : إذا كانت الحُجّة الأولى تستدعي نتيجة معيّنة ، فإنّ الحُجّة الثّانية تستدعي النّتيجة المضادّة "[5] ، ولقيمتها الحجاجيّة الإبطاليّة فقد وظفّت في اثني عشر موضعا مشكلة ما نسبته (23 %) من مجموع الرَّوابط ، وساعد الرَّابط (لكن) على ثبوت الحُجَّة وتقويتها في البنية الخطابيّة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ [7] ، ومن خلال هذا الملفوظ تظهر ثلاثة معطيات : الحُجَّة ، والحُجَّة ، والحُجَّة ،

^{1.} نقلا عن: الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي ، ص 347

^{2.} العزاوي ، أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص 58

^{3 .} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 84

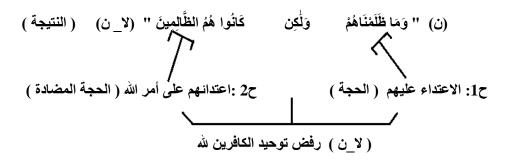
^{4.} ختام ، جواد ، التداولية أصولها واتجاهاتها ، ص 135

^{5.} مكناسي ، صفية ، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري ، ص 60

^{6 .} ومن أمثلته : غافر : 57 ، 59 ، 61 ، فصلت : 22 ، الشورى : 8 ، 27 ، 52 ، الزخرف : 76 ، 78 . 6 . ومن أمثلته : 34 ، 78 ، 10 ، الدخان : 39 ، الجاثية : 26 ، الأحقاف : 23 .

⁷ ـ سورة الزخرف ، الآية : 76

المُضادة ، والنَّتيجة ، فقد جاء الرَّابط (لكن) بعد (ما) النَّافية لتأكيد معنى النَّفي ، فجعل ما بعد (لكن) موجبا من خلال استدراك النّفي بالإيجاب ، فتنسب حكما لما بعدها يخالف حكم ما قبلها ، فأثبت نفي ما قبلها بإثبات ظلمهم لأنفسهم ونفيه عن الله فالحُجَّة الأولى المُضمرة (الاعتداء عليهم) وهو إصابتهم بضر مقصود من الله بحسب ادِّعائهم ، فجاءت الحُجَّة المضادة لتنفي هذا الادِّعاء عن الله في مُعَامَلتِه إياهم ، فتوسط الرَّابط الحجتين ليؤكِّد أنَّهم هم من اعتدى على ما أمر الله ورفض توحيده ، فظهرت النَّتيجة المضمرة بواسطة الرَّابط (لكن) وهي (رفض توحيد الكافرين لله) .



وقد يأتي الرَّابِط (لكن) في النَّصِّ القُرآنيِّ مشدَّدا ومسبوقا بالواو والعرب "إذا أدخلوا الواو آثروا تشديدها ، وإنَّما فعلوا ذلك لأنَّها رجوع عمَّا أصاب أول الكلام ، فشبّهت بـ (بل) إذ كانت رجوعا مثلها ، (فالواو) تعطف و (لكن) تقوم بإنجاز الرَّبط التَّداوليِّ الحِجَاجِيِّ ، بمعنى أنه يحصل هناك نوع من التَّوزيع التَّكاملي "[1] كما في قوله تعالى : ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلُكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2] ، فالله عزَّ وجلّ يؤكِّد تعالى : ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إلَّا بِالْحَقِّ وَلُكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2] ، فالله عزَّ وجلّ يؤكِّد أنَّه لم يخلق السَّماوات والأرض لعبا، وسبق الرَّابط بما النَّافية وإلا لحصر الخلق وإثبات أنَّه الحق ، ولكن جهل المشركين يجعلهم لا يدركون هذه الحقيقة ، فقامت (لكنّ) المشددة والمسبوقة بالواو بالدَّور الاستدراكيّ الانتقاليّ ، فانتقل الخطاب من مستوى اقرار الهدف من خلق الكون إلى سبب عدم إدراك المشركين لهذا الهدف ، كما أنَّ الاستدراك بالمعطوف يؤدِّي إلى تقوية الحُجَّة ويحقِّق التَّبيه والتَّأثير .

^{1.} العزاوي ، أبو بكر ، <u>اللغة والحجاج</u> ، ص 66 ـ 67

^{2 .} سورة الدخان ، الآيتان : 38 _ 39

1 . 4 الرَّابط (بل) :

يعتبر الرَّابِط (بل) على المستوى النَّحوي حرف عطف نسقي ، يأتي للإضراب عمًا تقدمه والاهتمام بما بعده ، فهو حرف انتقال إبطاليّ ، إلا أنَّه على المستوى التَّداوليّ " يقيم علاقة حجاجيّة مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين : علاقة بين الحُجَّة والنَّتيجة ، وعلاقة حجاجيّة ثانية تسير في اتِّجاه النَّتيجة المُضادة ؛ أي بين الحُجَّة القويَّة الَّتي تأتي بعد (بل) والنَّتيجة المضادة للنَّتيجة السَّابقة ، فالرَّابط الحجاجيّ (بل) يربط بين الحجج والنَّتائج ، والنَّتيجة المضادة ستصبح نتيجة القول برُمَّته ؛ لأنَّ الحُجَّة بعد (بل) أقوى من الحُجَّة التي ترد قبلها "انا ، فالرَّابط (بل) يتمتع بقوة انتقاليّة من خلال الانتقال من حُجَّة إلى أخرى والَّذي" يصور لنا الدَّلالة الحجاجيّة ؛ لأنَّ ذلك يترك أثرا نفسيًا لدى المُنلقِّي، ولا سيَّما أن الألفاظ ستكون في حيِّز الإضراب ؛ لأنَّ ذلك يترك أثرا نفسيًا لدى المُنلقِّي، ولا سيَّما أن الألفاظ ستكون في حيِّز الإضراب (الامتناع) فيتوافر بذلك المعنى المُراد من النَّصِّ فتكون الحُجَّة بعد (بل) أقوى "الأي وقد وظف في سور الحواميم في سبعة مواضع أنا مشكلا ما نسبته (18%) من مجموع استعمال الروابط الحجاجية.

وتظهر دلالة الإضراب الإبطاليّ من خلال الاستعمال الحجاجيّ للرَّابط (بل) لأنَّ دلالتها الحجاجيّة " تغيد إبطال الحُجّة السَّابقة ودحضها بإقامة حُجّة لاحقة أقوى منها مناقضة لها في النَّتيجة المتوصل إليها ، وذلك بغية تأكيد المعنى الحجاجيّ القائم وإبطال المعنى الأول الَّذي يعاكسه في النَّتيجة "[4] ، بشرط أن يقع بعد (بل) جملة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * بَلْ مَتَّعْتُ هُولًاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴾ [5] ، فكانت (بل) إضراب عن قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، وهو " إضراب إبطال ، أي لم يحصل ما رجاه إبراهيم من رجوع بعض عقبه إلى الكلمة التي أوصاهم برعيها . فإن أقدم أمة من عقبه لم يرجعوا

^{1.} العزاوي ، أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص 62 _ 63

^{2.} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج ، ص 75

^{3 .} ومن أمثلته: غافر: 74 ، الزخرف: 22 ، 29 ، 58 ، الدخان: 90 ، الأحقاف: 24 ، 28

^{4.} مكناسي ، صفية، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري ، ص 81

^{5 .} سورة الزخرف ، الآيتان : 28 _ 29

إلى كلمته، وهؤلاء هم العرب الذين أشركوا وعبدوا الأصنام، وبعدَ (بل) كلام محذوف دلّ عليه الإبطال وما بعد الإبطال، وتقديرُ المحذوف: بل لم يرجع هؤلاء وآباؤهم الأولون إلى التّوحيد ولم يتبرأوا من عبادة الأصنام "[1]، فالوحدات الدّلالية للإضراب شخصت حقيقة كفار قريش في ابتعادهم عن الوحدانية لله، وعدم استماعهم لوصية سيّدنا إبراهيم، بل على العكس من ذلك فقد تعلقوا بعبادة الأصنام.

ووظّف الرَّابِط (بل) للإضراب الابطاليّ في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُوقِنِينَ * لَا إِلَٰهَ إِلّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيثُ رَبُّكُمْ وَرَبُ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ * بَلْ هُمْ فِي شَكِّ يَلْعَبُونَ ﴾ [2] ، ردّ به أن يكونوا موقنين ومقرين بأنّه ربّ السَّماوات والأرض ، فالحُجَّة الأولى الَّتي ادَّعاها الكُفَّار أنَّهم موقنين بمن خلق الكون ، والنَّتيجة (العلم بوجود الله) ، والحُجَّة الثَّانية إشراكهم بالله وعدم طاعته ، والنَّتيجة (إنكار وحدانيّة الله عز وجلّ) والنَّتيجة المضادة أن إقرارهم غير صادر عن علم ويقين ثابت ، أي هم شاكون في وحدانيّة الله ، فالحُجَّة بعد (بل) ﴿ فِي شَكُ ﴾ أبطلت ما قبلها ﴿ مُوقِنِينَ ﴾ .

كما وظّف الرَّابِط (بل) لإبراز التَّعارض الحجاجيّ بعرض قضايا متعارضة جمع بينها الرَّابِط بحيث يكون ما بعد الرَّابِط معارض لما قبلها ، فيقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اللهِ تَتَا لَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [3] فالقضية الأولى الَّتي عرضتها البنية الحجاجية في خطاب الرَّسول مع مشركي قريش تمثّلت في استحسان أهل قريش لمجادلة ابن الزبعرى للرَّسول الكريم ، والادِّعاء بحرصه على سيّدنا عيسى وتنصيب نفسه مدافعا عنه ، والقضية الثَّانية تمثلت في حب أهل قريش للجدال وحرصهم على الإساءة للرَّسول وللإسلام بأي وسيلة ، فهي إضراب انتقاليّ تصف حبهم للخصام ، وعرضهم من الحجج ما لا يعتقدونه تمويهاً للعامة ، فأبطل بالتَّعارض القضية الثَّانية الَّتي أظهرت الدَّوافع النَّفسيّة والفكريّة للمشركين من هذه المجادلة.

^{1.} ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج25، ص 196

^{2 .} سورة الدخان ، الآيات : 7 _ 9

^{3 .} سورة الزخرف ، الآية : 58

1.5 الرَّابط (حتَّى):

تستخدم (حتَّى) في المستوى النَّحوي بوظائف متعدّدة من العطف أو انتهاء الغاية ، أو الاستثناء والتَّعليل ، وفي المستوى التَّداوليّ الحجاجيّ تتعدد أنماط هذا الرَّابط في البناء الحجاجيّ من تدرج للحجج أو عرض للحجج الأقوى أو إبراز لظاهرة التَّساوق اعتمادا على السِّياق التَّخاطُبيّ الدَّلاليّ الَّذي تردّ فيه ، وتأسيسا على قول النَّحاة بأن ما بعدها غاية لما قبلها فإنَّ " الحجج المربوطة بواسطة هذا الرَّابط ينبغي أن تتمي إلى فئة حجاجيّة واحدة ، ثُمَّ أن الحُجَّة الَّتي ترد بعد (حتَّى) هي الأقوى ، ولذلك فإن القول المشتمل على الأداة (حتَّى) لا يقبل الإبطال والتَّعارض الحجاجيّ "[11] فالرابط (حتّى) "مثقل بحمولة حجاجيّة واضحة "[21] .

ويتمثل دورها الحجاجيّ في الرَّبط بين الحجج الَّتي تسبقها وإعطاء قوة للحُجَّة النّي تليها ، والحُجَّة الَّتي تليها تقع في فئة الاستعمال الحجاجيّ التأبيديّ ؛ لأنّه " يوظف لتأبيد وتأكيد الحجج الواردة قبله ، وعليه فكُلّ حُجَّة ترد بعد حتَّى تكون الأقوى من سابقتها سواء بالإيجاب أو السلب ، أمَّا العلاقات الّتي تجمع بين الوحدات الدَّلالية التي تربط بينها (حتَّى) هي من قبيل التَّقسير والتَّبرير والسَّببية؛ فما قبل الأداة سببا في وجود ما بعدها أو ما بعدها ويبرر ما قبلها." [3]

ووظّف الرَّابِط (حتَّى) في ستة مواضع [4] مشكلا ما نسبته (11%) من المجموع العام للرَّوابِط ، وجميعها جاءت للغاية ، وبمدلولات حجاجية مختلفة ، وحقق الرَّابِط (حتَّى) الغاية السّبية بتوضيح دوافع المنكرين في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ لِلرَّابِط (حتَّى) الغاية السّبية بتوضيح دوافع المنكرين في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ لِلرَّابِطُ مِن قَبْلُ بِالْبِيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ لِوَسِمُفُ مِن قَبْلُ بِالْبِيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللّه مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ [5] ، فقد ربط (حتَّى) بطريقة تراتبيَّة بين علاقتين من خلال حديث مؤمِن آل فرعون لإقناع المُتلقِّي بصدق سيِّدنا موسى ، فقد بعث الله عزَّ وجلَّ

^{1.} العزاوي ، أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص 73

^{2.} ختام ، جواد ، التداولية أصولها واتجاهاتها ، ص 156

^{3 .} مكناسي ، صفية ، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري ، ص 56

^{4.} وأمثلته: غافر: 34، فصلت: 20، 53، الزخرف: 38، 83، الأحقاف: 15

^{5 .} سورة غافر ، الآية : 34

لآبائهم سيّدنا يوسف عليه السّلام بالبيّنات وظلّوا في شكً من هذه الدَّعوة ، وعندما مات سيّدنا يوسف عليه السّلام ايقنوا أنه كان صادقا ، فعرفوا صدقه بعد موته ، فأنكروا أن يأتي بعده من يكون بمكانته وصدقه ، فترسخ في ذهنهم اعتقاد أنّه لن يكون هنالك رسول بعده لاستحالة وجود من يتصف بصفاته ، وترتب على هذا الاعتقاد وتكذيبهم برسالة سيّدنا موسى علسه السّلام ، فالرّابط (حتّى) ربط بالتّساوق بين حجتين تسيران في اتجاه واحد وتصلان لنتيجة واحدة وهي تكذيب الرّسل " فالعلاقات الّتي تجمع بين الوحدات الدّلاليّة الّتي تربط بينها الأداة (حتّى) هي من قبيل السّبية فما قبل الأداة سبب في وجود ما بعدها "لنا فالشّك الّذي سيطر عليهم من صدق سيّدنا يوسف عليه السّلام كان سببا في دفعهم للاعتقاد الرّاسخ بأنّ الله لن يرسل رسولا بعده ، فشكوا في صدق موسى عليه السّلام .

كما امتلك الرَّابِط (حتَّى) قوة حجاجيّة في تحقيق هدف التَّرهيب من خلال التَّبرير في قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ [2] ، فقد جاء الرَّابِط (حتَّى) في هذا النَّصِّ للرَّبط بين حجج سبقته من إنكار كُفَّار قريش للدَّعوة وعدم الاهتمام بها ومعاندتها بتوظيف السُّخرية منهم بتركهم في كفرهم فرحين ، إلا أنَّ الحُجَّة الَّتي جاءت بعد الرَّابِط كانت هي الأقوى بين الحجج والأكثر تأثيراً في نفسية المُتلقِّي بما تحمل من تهديد لهم ووعيد بأنَّ ما هم فيه ما هو إلا طريق إلى النَّار ، فالحُجَّة الَّتي جاءت بعدها بررت ما قبلها ؛ لأنَّ ما سيقع عليهم من عذاب يوم القيامة فالحُجَّة الَّتي جاءت بعدها بررت ما قبلها ؛ لأنَّ ما سيقع عليهم من عذاب يوم القيامة الإمهال لهم ، العلاقة الَّتي جمعت هذه الحجج هي (تبرير عقاب الكافرين) من خلال خاصية " النَّتيجة " فما بعدها نتيجة لما قبلها . كما يقوم الرابط (حتَّى) بعلاقة تفسيريّة في بنيه الخطاب فيقول تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُ ﴾ [3] ، فما بعدها فسر ما قبلها ، ففسرت لنا لماذا يرينا الله هذه الآيات الخارقة بهدف أن يبين لنا أنَّه الحق من عند الله .

^{1.} مكناسي ، صفية ، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري ، ص 56

^{2 .} سورة الزخرف ، الآية : 83

^{3 .} سورة فصلت ، الآية : 53

3 . العوامل الحجاجية :

يسعى كُلُّ خطاب لتحقيق الإقناع من خلال العوامل الحجاجية الَّتي وصفت بأنّها "العماد في عمليَّة التَّواصُل ؛ لأنّها مُحَرِّك رئيسي من ضمن المُحَرِّكات الَّتي تقوم عليها عمليَّة التَّخاطُب "اناً ، وتختلف العوامل الحجاجيّة عن الرَّوابط الحجاجيّة بأنّها "لا تربط بين متغيِّرات حجاجيّة (أي بين حُجَّة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) ولكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجيّة الَّتي تكون لقول ما ، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل : رُبَّما ، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا ، ما ... إلا ، وَجُلَّ أدوات القصر "القوامل فالعامل الحجاجيّ يزيد من القوة الحجاجيّة للخطاب لأنّها " مورفيمات إذا وُجِدَت في ملفوظ تحول وتوجه الإمكانات الحجاجيّة لهذا الملفوظ "الآا ، فهي تتعالق مع مكوّنات النّصِّ لتوجيه الخطاب نحو التَّأثير في المُتلقِّي للوُصُول للإقناع فهي " عناصر لُغوية إسنادية نحوية أو معجميّة ، تربط بين مكوّنات القول الواحد كالحصر والنَّفي والشَّرط ووظيفتها هي حصر الإمكانات الحجاجيّة لمحتوى الملفوظات وتحويلها." المناهل وتحويلها وتحويلها المناهل الحجاجيّة لمحتوى الملفوظات وتحويلها اللها المناهل المحاطر وتوجها الإمكانات الحجاجيّة لمحتوى الملفوظات وتحويلها الهاء المناهل المحاطر وتحويلها المحاطر وتحويلها المحاطر وتحويلها المحاطر وتحويلها المحاطرة وتحويلها المحاطر وتحويلها الهي حصر الإمكانات الحجاجيّة لمحتوى الملفوظات وتحويلها المقوية المحاطر وتحويلها المحاطرة وتحويلها القول الولد كالحصر وتحويلها المحاطرة وتحويلها وتحويلها المحاطرة وتحدوية وتحدوية وتحدوية وتحدوي وتحدوية وتحدوية وتحدوية وتحدوية وتحدوية وتحدوية وتحد

فهذه الإمكانات الحجاجية " النّي توفّرها العوامل اللّغوية من شأنها تحديد المسار التّوجيهي للحجج ، إمّا نحو التّساوق أو التّعارض " [5] ، وتُعَدّ هذه العوامل من المؤشّرات الحجاجية لأنّ " العوامل الحجاجية وأدواته تشكّل أثرا بارزا في الحِجَاج اللّغوي "[6] ، فالعوامل الحجاجية تدعم قضية مطروحة تتمتع القضية عند المُتلقّي بكونها حدثا ، ويسمح هذا الحدث للمرسل باستعمال العامل الحجاجيّ ، ببناء حُجّة تُسُنّد إلى علاقة ترتكز إلى مشتركات بين المُرسِل والمُتلقّي ، مِمّا يعطي للقول قيمة حجاجيّة بسبب دعم العامل له ، فيكون مُنشطا للقضيّة المُراد الاحتجاج لها ."[7]

^{1.} الناجح ، عزالدين ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص 17

^{2.} العزاوي ، أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص 27

^{36.} عمران ، قدور ، البعد الحجاجي ، ص 36

^{4.} عادل ، عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 100

^{5.} مكناسي ، صفية ، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي ، ص 87

^{6.} أزابيط ، بنعيسى، البعد التداولي في الحجاج اللساني ، ضمن كتاب الحجاج ، ص 254

^{7.} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج ، ص 103

ووظفت العوامل الحجاجية في سور الحواميم لما تحمله من طاقة حجاجية تأخذ بيد المُتلقِّي لدخول دائرة الإفهام ، ثُمَّ تتقله بعد تحققها إلى دائرة الاقتتاع ؛ ليتأثر بالخطاب الموجّه له ، فتزيد من إذعانه، وسنتناول أربعة عوامل حجاجية وهي : النَّفي ... إلا ، وإنّما ، وكاد ، وقليلا ، وتَمَّ توظيف هذه العوامل في اثنين وخمسين موضعا حجاجيا .

2 ـ 1 العامل (النَّفى ... إلا) :

اهتم علماء البلاغة في باب المعاني بالنّفي ودوره في إثبات الملفوظات الإخباريّة ليكون صيغة للانطلاق للإثبات ، ووظف في اثنين وأربعين موضعالنا ليشكل ما نسبته (81 %) من مجموع العوامل المستخدمة ، ويعود سبب ارتفاع توظيفه لما يحققه العامل من توجيه القول المنفي في تحديد مسار الحُجج ، متخذا من منحى التّعارض وسيلة لقصر الحجج على حُجَّة بذاتها ، فالنَّفي عامل حجاجيّ " يُحقِّق به الباث وظيفة اللّغة الحجاجيّة المتمثلة في إذعان المتقبّل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النّبيجة فيصدق عليها قول أنسكومبر يوجد في اللّغة صرافم ، عوامل حجاجيّة ، تشدّ الملفوظ في بدايته "أيّا، ويبنى هذه العامل بصيغة (النّفي والاستثناء باللا)؛ لذلك " يُعدُ عاملا حجاجيًا مهما بما يقصر من شيء على شيء آخر في بنية النّصً ، وتكون الفكرة المشتركة بين كُلِّ من المرسل والمُتلقِّي على شيء آخر في بنية النّصً ، وتكون الفكرة المشتركة بين كُلِّ من المرسل والمُتلقِّي المسار المؤدِّي إلى نتيجة ما ؛ ذلك لأنَّ هذا العامل صورة من صور تقبيد الفكرة المطروحة ، والضّغط على محتواها الخبريّ؛ لكي يجعل المُتلقِّي يلتقت إليها فلعله يذعن المطروحة ، والضّغط على محتواها الخبريّ؛ لكي يجعل المُتلقِّي يلتقت إليها فلعله يذعن فكثيرا ما يستعمل (النّفي والاستثناء) في توجيه القول نحو ما يعتقد به المُتحدِث "قاً ، فيكون توظيف هذه الصمّيغة " لأمر ينكره المُخاطَب ويشُكُ فيه .. بالنّفي والإثبات." المها فيكون توظيف هذه الصمّيغة " لأمر ينكره المُخاطَب ويشُكُ فيه .. بالنّفي والإثبات." الم

^{1 .} وهي : غافر : 3 ، 4 ، 13 ، 25 ، 29 ، 37 ، 40 ، 56 ، 62 ، 78،65 ، فصلت 14

⁸⁵ ، 59 ، 58 ، 48 ، 23 ، 20 ، 16 ، 10 ،

الدخان : 8 ، 35 ، 41 ، 45 ، 56 ، الجاثبة : 17 ، 24 ، 32،25 ، الأحقاف :25،17 ، 9،2

^{2.} النّاجح ، عزّ الدين، العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة ، ص 47

^{3 .} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 108 _ 109

^{4.} الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 332

والعامل الحجاجيّ يُقيِّد المحتوى في نقطة ثابتة خاصَّة في القضايا الخلافية كما في قوله: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [1] فقد قيَّد العامل الحجاجيّ الفعل المضارع ﴿ يُجَادِلُ ﴾ وقصره على فئة محدَّدة ، فجعل المجادلة في أمر القرآن خاص بـ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ليزيل السِّتار عن اعتقادهم وموقفهم من القرآن ، وأفادت أداة النَّفي ﴿ مَا ﴾ إثبات الجدل بالكافرين، وثبَّتته عليهم في نفس الوقت نفى العامل الحجاجيّ بالتَّعريض المجادلة في أمر آيات الله عند المُؤمنين، خاصَّة أنَّ الآية سُبقِت بآية توكد نزول الكتاب من عند الله ، وهو أمر لا ريب فيه لكُلِّ مُؤمن فمدَّ العامل الحجاجيّ في الغاية الحجاجيّة من الوقوف على الملفوظ الإخباري ، وهو مجادلة الكافرين في القرآن الغاية الحجاجيّة من الوقوف على الملفوظ الإخباري ، وهو محادلة الكافرين في القرآن .

ويُسْتَخدم العامل الحجاجيّ لتأكيد تحقُّق المقصود الإخباريّ بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجيّة كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهُرْبُونَ ﴾ [2] ، فلو فلم ينتج أي اختلاف في القيمة الإخباريّة بدخول العامل الحجاجيّ (ما ... إلا) ، فلو قلنا (كانوا يستهزئون بكُلِّ نبيِّ يأتيهم) لا تختلف قيمته الإخباريّة عن قوله : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهُرْبُونَ ﴾ ، لكنَّ الَّذي تأثر بدخول العامل الحجاجيّ هو القيمة الحجاجيّة التي ينتجها النَّصُّ ، فَسَلَّطت الإمكانات الحجاجيّة الضوء على عمليَّة الاستهزاء وقلصت الإمكانات التَأُويليَّة، وحدّدت وجهه واحدة للنَّتيجة لتسلية سيِّدنا مُحَمَّد بأنَّ استهزاء قومك بدعوتك أمر متوقع بالنسبة لما حصل لسابقيك من الرُسل ، حتَّى أضحى منهجاً للمُنكرين ، ولتبرز القيمة الاستدلاليّة عند المُتلقِّي (سيِّدنا مُحَمَّد) لكن الذي وقع هو التَّتيجة المُضادة (الاستهزاء بالرُسل) فبرز التَّعارض بين الحُجَّة والنَّتيجة المرصودة، فالمسار الاستلزامي يستدعي إذا ما جاءهم نبي أن يقابل بالتَّصديق ولكنّه قوبل بالاستهزاء ، فالمسار الطبيعيّ للبناء الحجاجيّ يجعل المُتلقِّي ينتظر حدوث لكنّه قوبل بالاستهزاء ، فالمسار الطبيعيّ للبناء الحجاجيّ يجعل المُتلقِّي ينتظر حدوث النَّتيجة المُربعية ، ولكن الذي وقع هو النَّتيجة المُضادة .

^{1 .} سورة غافر ، الآية : 4

^{2.} سورة الزخرف ، الآية: 7

ويوظف العامل الحجاجيّ (النّفي ... إلا) ضمن منحى النّساوق الحجاجيّ عندما "يتعلق الأمر في هذا المنحى بمجموعة حجج تتتمي إلى فئة واحدة ، أي تخدم نتيجة واحدة معتمدة على الاستعمال التأبيديّ ، فيكون هنالك تناسب دلاليّ بين القول والنّتيجة المَرْصُودة "[1] ، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرّبيئلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَبِعُ إِلّا مَا يُوحَىٰ إِلَيّ وَمَا أَنَا إِلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [2] ، فجاءت ما يُفعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَبِعُ إِلّا مَا يُوحَىٰ إِلَيّ وَمَا أَنَا إِلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [2] ، فجاءت الحجج في هذه الآية مُتساوقة نحو نتيجة واحدة ، فالحجج الّتي قُدّمت أنَّ الرَّسول مُحمَّداً عليه السَّلام مكمل لرسالات الرُسل السَّابقين فلم يكن أول رسول ، وأنَّ عِلْم الغيب مختص بالله وحده ، وأنَّ وظيفة الرَّسول تبليغهم بما يوحى له من الله وما هو إلا نثير مبين يوضح لهم الحقّ من الباطل ويخوفهم من سوء المصير ، لتؤدي إلى نتيجة واحدة وهي النَّتيجة المَرْصُودة ، ومفادها أنَّ الرَّسول الكريم ما هو إلا رسول كالرُسل السَّابقين ، فحصرت وظيفة الرَّسول في التَبْليغ ، والإنذار ، والتَبيين .

ويؤثّر العامل الحجاجيّ بما يحمل من طاقة إقناعيّة في نفس المُتلقّي ، ليدرك عظمة الخالق من خلال سياق استدلاليّ ، مِمًا يُشكّل ضغطا ذهنيا إقناعيّا كما في قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن تَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْمَانِ وَلَا تَصْعَعُ إِلّا بِعِلْمِهِ ﴿ السَّاعة وكُلّ المعالى الحجاجيّ عمل على إثبات أن علم السَّاعة وكُلّ ما في الكون من خروج النّبات ونمو الأجنة في بطون الكائنات الحيّة ومولدها لا يَنتُم الا بعلم الله وحده ، وتكرر حرف النّفي مرتين صراحة وثالثة مضمرة بـ (لا) لتّأكيد هذا المعنى وترسيخه، فقصر العامل الحجاجيّ علم الغيب وخصّه بالله سبحانه، وبيّن جانب من قدرة الله لتّأثير في المُتلقّي من خلال بنيه الاستدلال ، فسار العامل الحجاجيّ من خلال منحى التّساوق بالحجج إلى الوجهة الحجاجيّة الّتي يهدف لها ، وأفاد تحديد بل وتقييد البعد الحجاجيّ للخطاب ، فقدمت مجموعة من الحجج المُتساوقة الّتي تصل إلى التَّتيجة المطلوبة ، وهي أنَّ علم الغيب خاص بالله وحده .

^{1.} مكناسي ، صفية ، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري ، ص 88

^{2.} سورة الأحقاف ، الآية: 9

^{3 .} سورة فصلت ، الآية : 47

2 ـ 2 العامل (إنَّما) :

تكمن القوة الحجاجية في العامل الحجاجيّ (إنّما) في تركيزه على المقصور الّذي يقع بعده دائما ، وهي " تُفِيد في الكلام بعدها إيجاب لفعل لشيء ، ونَفْيهُ عن غيره دفعة واحدة في حالٍ واحدة "لله لأنّها " تجئ لخبر لا يجهله المُخاطَب ، ولا يدفع صِحّته ، أو لما يُنَزّل هذه المنزلة "لاها ، وكأنّها تقوم بدور انتقالي في ترتيب الحجج بنقل الأهميّة مِمّا قبلها وتركيزه فيما بعدها " وبهذا يكون العامل الحجاجيّ هذا موجبا لإثبات ما بعده بحصره وتقديمه ونفيه الضّمني لما سواه ، بتحويل الخطاب إلى بنية مقيّدة بالإثبات مرتبطة به ، من خلال تفعيل النّصِّ حجاجيّا ، وهيمنته على مساحة واسعة منه ؛ إذ إن ما أثبته العامل الحجاجيّ أبطل غيره بالمُقابل ."[3] ، فتكمن قوته الحجاجية من خلال خاصية القصر .

ووظف العامل الحجاجيّ (إنّما) في سور الحواميم في سبعة مواضع 14 وشكّل ما نسبته (13%) من العوامل ، إذ تستعمل للتّعارض الحجاجيّ فتشير إلى عكس ما هو وارد قبلها على وجه الاختلاف والتّناقض أو الضّد 6 ، وتتضح القوة الحجاجية للعامل (إنّما) في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولُئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنّما السَبِيلُ عَلَى الّذِينَ يَظْلِمُونَ النّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِ ﴾ [6] ، فقام العامل الحجاجيّ بدور مؤثّر في إثبات أُطروحة أن السّبيل وهو (الجزاء) أو الحرج واقع على الظامين ، فأراد الله عزّ وجلّ أن ينفي السّبيل عن الّذين انتصروا من بعد ظلمهم ، وإثبات السّبيل على الظّالمين ، فوظّف القصر كأسلوب من أساليب تحقيق ظلمهم ، وإثبات السّبيل على الظّالمين ، فوظّف القصر كأسلوب من أساليب تحقيق في علاقة انتقالية تراتيبية بالانتقال من نفي الحُجّة الأولى ، وإثبات الحُجّة دفعة واحدة في علاقة انتقالية تراتيبية بالانتقال من نفي الحُجّة الأولى ، وإثبات الحُجّة دفعة واحدة

^{1.} الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 335

^{2.} الجرجاني ، عبد القاهر ، <u>دلائل الإعجاز ،</u> ص 330

^{3.} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 114

^{4.} وأمثلته: غافر: 39، 43، 68، فصلت: 6، الشورى: 41، الدخان: 59، الأحقاف: 23

^{5.} مكناسي ، صفية ، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري ، ص 56

^{6 .} سورة الشورى ، الآيتان : 41 ـ 42

فتحقّق هذا المعنى بواسطة العامل ، كما حقّق العامل (إنّما) الغاية الحجاجية بتقيّد النّصّ بالاهتمام بمعنى واحد فيه وجعله محور النّصّ كما في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا النّصّ بالاهتمام بمعنى واحد فيه وجعله محور النّصّ كما في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا الْجِنْتَا لِتَأْفِكْنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ * قَالَ إِنّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللّهِ وَأُبَلِّغُكُم مّا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾ [اللّه وَأَبَلِغُكُم مّا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾ [اللّه وَأَبَلِغُكُم مّا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾ وكان جوابه لهم بتوظيف القصر ﴿ قَالَ إِنّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللّهِ وَأُبَلِغُكُم مّا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾ وفقت العذاب على الله تعالى فهو " محفوظ عند الله لا يطلع عليه أحد والحصر هنا حقيقي والمقصود منه شموله نفي العلم بوقت العذاب عن المُتكلِّم "[2] ، فالعامل الحجاجيّ حصر علم الغيب بالله " فكانت إنّما للحصر ومعناها (لا أعلمه وإنّما يعلمه الله) "[3] فنبه المُخاطَب المُنكِر إلى قضيّة لا يجوز له جهلها ، ولم يهدف العامل الحجاجيّ لتحقيق الجملة الإخباريّة فقط ، بل سعى إلى تحقيق هدف التّعريض بقوم عاد الّتي يَصْعُب تحقيقها بدون دور العامل الحجاجيّ في بناء النّصَ الحجاجيّ.

: (كاد) كاد عامل (كاد)

يُعَبِّر فعل المقاربة (كاد) عن قرب حدوث الفعل ، فهو يقارب الحدوث سواء حدث أم لم يحدث ، فهو وفق " مفهوم الحِجَاج يتيح الرَّبط بين مقاطع النَّصِّ وأجزائه وبين الأقوال والجمل داخل المقطع الواحد ، فحسب التَّحليل الحجاجيّ فإنَّ الحُجَّة تسير في الاتجاه الَّذي تؤدِّي إليه الحُجَّة "[14] ، فالعامل الحجاجيّ (كاد) لا يسعى في الخطاب إلى " المُقاربة فحسب ، وإنَّما يعمل على توحيد المضمون النَّصيّ الَّذي يحمل فكرة ما يراد بها إقناع المُتلقِّي وحمله على الاعتقاد بمحتواها ، لذا جاء النُّزوع إلى العامل الحجاجيّ (كاد) في هذا الخِطاب ؛ لتكثيف الفكرة وحصر إمكاناتها للفت انتباه المُتلقِّي من خلال إبراز المضمون بمستوى قريب جدا إليه ."[5]

^{1 .} سورة الأحقاف ، الآيتان : 22 ـ 23

^{2.} ابن عاشور ، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ، ج 26 ، ص 47

³²⁹ مان، ط1، صالح، (2000) معاني النحو، ج1، دار الفكر، عمان، ط1، ص3

^{4.} العزاوي، أبو بكر، (2010): الخطاب والحجاج ، مؤسسة الرحاب الحديثة ـ بيروت، ط1،ص56

^{5.} صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 105

ولتكثيف الفكرة في ذهن المُتلقِّي وحصر إمكاناتها قال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطُّرُنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ [11] ، فالعامل الحجاجيّ (كاد) عمل على مُقاربة فكرة عظمة الله وأنَّ كُلَّ ما في الكون يخشع له ، فإذا كانت السماوات وهي جمادات تسجد لله فمن باب أولى أن يسجد له الإنسان ، فدعم العامل نتيجة مُضمرة تمثّلت في إظهار عظمة الخالق ، وهي نتيجة اختلفت عن الدَّلالة الَّتي كشف عنها الملفوظ ، ولو جُرّد الخطاب من هذا العامل لأصبحت الجملة ذات محتوى خبريّ، كما قام العامل الحجاجيّ بربط أجزاء النَّصِّ وتوضيح الانسجام بين ملفوظاته ، فقال تعالى : ﴿ أَمْ أَثَا خَيْرٌ مَنْ هَٰذَا الّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكادُ يُبِينُ ﴾ [21] ، فأظهر العامل الدوافع النَّفسيّة الَّتي دفعت فرعون النِّذي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكادُ ليُبِينُ ﴾ [21] ، فأظهر العامل الدوافع النَّفسيّة الَّتي دفعت فرعون لوصف موسى بهذه الصَّفة فجاءت ﴿ أَمْ ﴾ منقطعة بمعنى (بل) للإضراب الانتقالي ، فهدف من استخدام العامل الحجاجيّ تحقيق الغاية المضمرة وهي التَّحقير لسيدنا موسى للإشارة لما كان فيه من حُبْسَة ، لإقناع المُتلقِّى بأنَّه خير منه بما يمتلكه من الطَّلاقة .

2 ـ 4 العامل (قليلا) :

وهو عامل له وجهة حجاجية واحدة " تخدم نتيجة واحدة ، وتُعْنَمد في الاستعمال التَّأبيديّ، وتتيح الإمكانات الحجاجيّة في التَّساوق؛ لأنّ القول المشتمل على هذه العامل يسلك من النَّاحية الحجاجيّة سُلوك القول المثبت "قا كما في قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ يَسلك من النَّاحية الحجاجيّة سُلوك القول المثبت "قا كما في قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ [4] ، لقد طلب كُفَّار مكَّة من الله عزَّ وجلَّ أن يكشف عنهم (الجوع والبلاء) وأنَّهم سيؤمنون بالله إذا كشف عنهم هذا البلاء فيؤكِّد الله تعالى أنَّه سيكشف عنهم هذا العذاب في المستقبل القريب ، ويرتقب ردَّ فعلهم وصدق وعدهم بالإيمان بالله إنْ كشف عنهم البلاء ، فجاء العامل الحجاجيّ (قليلا) ليؤكِّد أنَّ هذا الكشف سيكون لفترة زمنة قليلة لأنَّهم لن يؤمنوا ، فأثبت العامل الحجاجيّ النَّتيجة الَّتي يعلمها الله بعلمه الواسع ، فخدم العامل النَّتيجة الواضحة وهي كذب كُفًّار قريش في وعدهم.

^{1 .} سورة الشوري ، الآية : 5

^{2 .} سورة الزخرف ، الآية : 52

^{3 .} مكناسي ، صفية ، مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري ، ص 88

^{4.} سورة الدخان ، الآية: 15

3 . السَّلالم الحجاجيّة :

تقوم فكرة السَّلام الحجاجيّة على مبدأ تدرج الحجج ، انطلاقا من الحُجَّة الضّعيفة القابعة أسفل السُّلم ، صُعُودا إلى الحُجَّة الأقوى ، وصولا إلى النّتيجة الَّتي يطمح النّصُ لإقناع المُتلقِّي بها ، فالسُّلم الحجاجيّ " هو علاقة ترتيبيَّة للحجج ، فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجيّة ما علاقة ترتيبيَّة معينه فإن هذه الحجج تتتمي إذ ذلك إلى نفس السُّلم الحجاجيّ "[11] ، فتتعدَّد الحجج الّتي يعرضها المُتكلِّم للوُصنُول بالمُتلقِّي إلى نتيجة واحدة ، لكن هذه الحجج متفاوتة في القوة الإقناعيّة مِمَّا يجعل المُتكلِّم يرتقي بنسقها التَّصاعديّ في الخطاب الحجاجيّ ، لأن " مفهوم السلّم الحجاجيّ في الخطاب من حيث تركيزه على مبدأ التَّدرج في توجيه الحجج يبين أن المُحاجة اللهُويَّة لا ترتبط بالمحتوى وإحالة هذا المحتوى على مرجع محدّد بل هي رهينة القوة والضّعف الذي ينفي عنها الخضوع لمنطق الصيّدق والكذب ."[2]

ويمتاز السُّلم الحجاجيّ بأنَّه فئة حجاجية موجّهة ، كما يتَسَم بالسِّمتين البارزتين الأولى " كُلُّ قولٍ يرد في درجة ما من السُّلم ، يكون القول الَّذي يعلوه دليل أقوى منه بالنِّسبة للنَّتيجة (ن) ، والثَّانية _ إذا كان القول (ب) يؤدِّي إلى النَّتيجة (ن) ، فهذا يستلزم أنَّ (ج) أو (د) الَّذي يعلوه درجة يؤدِّي إليها "[3] ، كما أطلق ديكرو اختصار (C.A) على القسم الحجاجي وهي " أنَّ المُتكلِّم في وضعية خطاب محدّدة يمكن أن يضع ملفوظين في قسم حجاجيّ واحد يفضي إلى النَّتيجة (ن) "[4] ، ويرسم:

^{1.} عمران ، قدور ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، ص 33

^{2.} بوقورة ،نعمان، القيمة الحجاجية في النص، كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2 ، ص224

^{3 .} العزاوي ، أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص 21

^{4.} الناجح ، عز الدين ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص 130

3 . 1 قوانين السُّلم الحجاجي :

وإذا كانت فكرة السلم الحجاجيّ قائمة على مبدأ تدرج الحُجج من الأضعف إلى الأقوى، إلا أن هذا التَّرج لا يكون اعتباطيا ، بل يخضع لقوانين تنظمه ، ولهذا وضع ديكرو ثلاثة قوانين للسلم الحجاجيّ ، واعتبرها بمثابة قواعد تدعم هذا السلم وأولها : "قانون النَّفي " : وقصد به ديكرو أنَّه " إذا كان قول ما (ق) مستعملا من قبل مُتكلِّم ليخدم نتيجة (ن) ، فإن نفيه (~ق) سيكون حُجَّة لصالح النَّتيجة المُضادة "اللَّذيخ قوله: ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [2] تمثل ب : فالحُجَّة في قوله: ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ في السَّاعة أهي ضلال) والتي تشير إلى شكِّ المشركين في تحقق قيام السَّاعة ، وما تبعه من نتيجة وهو استحالة إقناعهم بأمر السَّاعة ، أما نفيها (الَّذين لا يمارون في السَّاعة) ، ونتيجته (على هدى وبصيرة) فهي تشير إلى عكس النَّتيجة ، فالمؤمنون يقرون بقيام السَّاعة ونتيجته أنهم على هدى من ربهم .

وثاني هذه القوانين هو " قانون الخفض أو الانخفاض" ، ويقتضي هذا القانون أنّه " إذا صدق القول في مراتب معينة من السُّلم ، فإنَّ نقيضه يصدق في المراتب اللّتي تقع تحتها ، وأنَّ التَّراتب بين الحُجج يمكن أن يعدل أو يتغيّر من زيادة أو نقصان من لحظة إلى أخرى ، بحسب تداخل عوامل معينة وبحسب المدلول وقوته ، إذ يمكن أن يتغيّر الموقف من حُجَّة معينة تُعَد صادقة بعد أن كانت كاذبة ، والعكس الصّحيح "[3] ، فنفي القول الحجاجي الواقع على السُّلم الموصل للنّتيجة يكون أقل منه قوة ، كما في قوله : ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُوقِنِينَ ﴿ اللّهِ فَالحُجَّة المقدمة أثبتت بما لا يجعل مكانا للشّكِ بأنَّ الله خالق الكون ، وهو موجب للايقان من كُلِّ النَّاس وتُشير إلى أنَّ هذه الأصنام لم تَخْلِق شيئا ، ونتيجة القول الأول تحقق إلهية الله وبطلان إلهية الأصنام، والنَّتيجة المُضادّة لها وهي إلهية الأصنام أقل منها صدقا، بل انعدام صدقها.

^{1.} نقلا عن : صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 119

^{2 .} سورة الدخان ، الآية : 7

^{3 .} نقلا عن : الزماني ، كمال ، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية ، ص 142

^{4.} سورة الشورى ، الآية: 18

وثالث قوانين السُلم الحجاجي هو "قانون القلب "، وهذا القانون يرتبط أيضا بالنَّفي ومضمونه أنه " إذا كان أحد الملفوظات (أ) أقوى من (ب) في السُلَّم الحجاجيّ فإن نقيض (أ) أقوى في التراتبية أيضا من نقيض (ب) ، وهذا ما يفسر لنا الإطناب الذي قد يستشعره المُخاطَب عندما يطرح المُتكلِّم جملة (ما) ، كون الحُجَّة المقدمة في الملفوظ الثَّاني متضمنة أصلا في الملفوظ الأول ، أي أنَّها تخرق تراتبية الحجج في السُلَّم الحجاجيّ الثَّاني متضمنة أصلا في الملفوظ الأول ، أي أنَّها تخرق تراتبية الحجج في السُلَّم الحجاجيّ "أنا ، ونلاحظ أنَّ " السُلَّم الحجاجيّ للأقوال المنفية هو عكس سلَّم وتمثَّل قانون القلب في قوله تعالى : ﴿ وَكَذُلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرُفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُقْتُدُونَ وَإِذْ قَالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمًا تَعْبُدُونَ ﴿ أَمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُقْتُدُونَ وَإِذْ قَالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمًا تَعْبُدُونَ ﴿ أَمَّةُ وَإِنَّا عَلَىٰ اقتدوا بسيدنا إبراهيم النَّالي المُقار في ادِّعاء أنهم مقتدون بآبائهم ، فلو كانوا صادقين لقتدوا بسيدنا إبراهيم الذي يفتخرون بنسبه ، ويوضح بالسُلم التَّالي :

لقد ادّعى الكافرون أنَّهم وجدوا آباءهم على ملّة ودين سابق ، وأنَّهم لهذا الدّين مقتدون ، وعن طريق قانون القلب للحُجج تبين لنا بطلان كلامهم وعدم صدقه ، فهم لم يقتدوا بآبائهم ولم يتبعوهم ، فلو اقتدوا بآبائهم لكانوا على دين سيِّدنا إبراهيم عليه السَّلام وهم المفتخرون بأنَّهم من نسله ، حتَّى آبائهم لم يكونوا على ملَّه أو دين قويم بدليل أنَّ سيّدنا إبراهيم أعلن البراءة منهم ومن عبادتهم .

^{1.} ختام ، جواد ، التداولية أصولها واتجاهاتها ، ص 149

^{2.} العزاوي ، أبو بكر ، اللغة والحجاج ، ص 22

^{3 .} سورة الزخرف ، الآيات : 23 _ 26

3 . 2 مستويات السلم الحجاجي :

فالسُّلم الحجاجيّ يعتمد في بناء سلالمه الموصلة إلى القمة على ظاهرة السَّلَمية القائمة على جميع مستويات اللُّغة من الإنجاز واللُّغة والخطاب والبلاغة والرُّوابط:

: 1 . 2 . 3 سئلمية المعجم

تبدو ظاهرة السُلَميَة " في المعجم أكثر وضوحا ؛ لأنَّ أساس هذه السُلَميَة هي قيام المعجم على ضرب خاص من التَقابُل في الاسترسال في معاني المفردات ، ولعل الصَّفات هي أكثر أقسام الكلام تعبيرا عن السُلَميَة في اللَّغة ، والمفيد من كُلِّ هذا هو أنّ المعجم بأقسامه ومقولاته تحكمه سلمية تؤكّدها الوظيفة المرجعيَّة اللَّغة." [11] ، ويتَضح ذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا اللَّهُ إِلَّا هُو إلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [21] ، فقد عمدت السُلَميَّة المعجمية في هذه الآية إلى الوصول لنتيجة (صفات متزل القرآن) ، فقد تدرج السُلَم في ذكر صفات الله الذي أنزل القرآن الكريم ، فهو ﴿ غَافِرِ الدَّنبِ ﴾ ، أي ساتر لذنوب عباده مِمَّن تدارك أمره وطلب المغفرة السَّابقة لهم فيمحوا كُلَّ ذلك ، وهاتين الصَفتين من مستلزمات التَّرغيب لذا فصل بينهما حرف العطف الواو لإفادة الجمع والمشاركة في الحكم ، وهو ﴿ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ في خطاب ترهيبيّ لمن أشرك به وأعرض عن دينه ، وهو ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ ، أي له من خطاب ترهيبيّ لمن أشرك به وأعرض عن دينه ، وهو ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ ، أي له من خطاب ترهيبيّ لمن أشرك به وأعرض عن دينه ، وهو ﴿ إِنْهُ المَنفرد بالوحدانيّة والألوهيّة ، وهو إلْمُعني المُنجِع والمآب يوم القيامة ، ويمثل السُلَّم بالشَّكل التَّالي :

(ن: صفات منزّل القرآن)	
لِإِلَيْهِ الْمَصِيرُ	6 7
ـ لَا ۚ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ـ ذِي الطَّوْلِ	- 5 ₇
- دِي الطونِ - شَديد الْعقاب	- 45 - 3 <i>c</i>
- وَقَابَلِ التَّوْبِ - غَافِرِ الذَّنب	ے 2 ح
- غافِرِ الذنب	- 1 ₇

^{1.} الناجح ، عز الدين ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص 123 ــ 124

^{2 .} سورة غافر ، الآية : 3

ويظهر الله عزّ وجلّ مظاهر قدرته في خلق الإنسان في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن تُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن تُطْفَةٍ فَم مِن تُطْفَةٍ فَم مِن تُطْفَةٍ ﴾ وهو المنى الَّذي يخرج من الرَّجل خلق آدم ونحن فرع منه ، ثُمَّ ﴿ مِن تُطْفَةٍ ﴾ ، وهو المنى الَّذي يخرج من الرَّجل ويصب في رحم المرأة ، ثُمَّ ﴿ مِنْ عَلْقَةٍ ﴾ ، وهي الدم المتجمد، ثُمَّ ﴿ مِنْ جُكُمْ طِفْلًا ﴾ مرحلة الولادة ، ثُمَّ ﴿ لِتَبْلُغُوا أَشُدَكُمْ ﴾ إشارة لمراحل النَّمو الَّتي يمرُ بها الإنسان ، ويختتم هذه المراحل بقوله ﴿ لِتَكُونُوا شُمُوخًا ﴾ ، اتصل إلى النَّتيجة وهي (قدرة الله على خلق الإنسان) وزاد من حجاجية السُلَّم استخدام الرَّابط الحجاجيّ (ثُمَّ) الَّذي أفاد التَّراخي الزَّرني والتَّراتِية والانتقالية الحجاجيّة ، وتمثل بالسُلَّم التَّالي :

(ن: قدرة الله على خلق الإنسان)

ح6 لَ لِتَكُونُوا شُئيُوخًا

ح5 لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمُ

ح4 لِنَبْلُغُوا أَشُدَّكُمُ طَفْلًا

ح4 مِنْ عَلَقَةً

ح5 مِنْ نُطْفَةً

ح5 مِنْ نُطْفَةً

ح5 مِنْ نُطْفَةً

وفي السُّلَميَّة المعجميَّة "قد تطال ترتيب الأرقام في ترتيبها من الأصغر إلى الأكبر "[2] كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكُفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقُواتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ... فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي وَقَدَّرَ فِيهَا أَقُواتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً للسَّائِلِينَ ... فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [3] ، فقد أوصل ترتيب الأرقام من الأصغر إلى المجموع العام المُضمر يَوْمَيْنِ أَنْ السَّماوات والأرض في ستة أيّام) ، فخلق الأرض في يومين ، وقوتها وقدر فيها أقواتها في يومين ، فمجموع خلق الأرض وما فيها من رواسي وتقدير أقواتها كان في أربعة أيًام ، وخلق السَّماوات السَّبع في يومين ، فالمجموع المُضمر ستّة أيًام كان في أربعة أيًام ، وخلق السَّماوات السَّبع في يومين ، فالمجموع المُضمر ستّة أيًام

^{1 .} سورة غافر ، الآية : 67

^{2.} الناجح ، عز الدين ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص 123

^{3 .} سورة فصلت ، الآيات : 9 ، 10 ، 21

فيكون مجموع خلق السّماوات والأرض ستّة أيّام كما أشار الله في مواقع مختلفة من القرآن ، وهذا يظهر على السُلّم الحجاجيّ ، كما فيه ردّ على من أدعى أن في هذه الآيات تعارض مع آيات سابقة وأن مجموع خلق السّموات والأرض ثمانية أيّام ، فقد تدرج السُلّم من الأرقام الأصغر إلى الأكبر ، ولتظهر السُلّميّة المعجميّة في المراوحة بين الألفاظ ذات الدَّلالة السُلّميّة ، فخلق الأرض : فهو مُبْتَدِئُه عَلَى غيرِ مِثالٍ سُبِقَ إليه ، وارتقى السُلّم ، فجعل فيها ، أي : وَضعَهُ جَعَلَ بَعْضمَه فوقَ بعضٍ ، فبعد أن ابتدع الله الأرض من غير مثال سابق صير الجبال فوقها ، أمّا (قضى) فكانت أعلى السلّم لأنّها تعني أحكم الخلق وأتمّ الشّيء ، ويمثل على السُلّم بالشّكل التّالي :

(ن: خلق السماوات والأرض في ستة أيام)

ح3 خطى السَّموات في يومين على السَّموات في يومين على الأرض رواسي وبارك فيها وقدر الأقوات في يومين على الأرض في يومين على الأرض في يومين

3 . 2 . 2 سُلَّميَّة النِّظام البلاغي :

ويقصد بسُلَّميَّة النِّظام البلاغيِّ " ما يوفره المُكوّن البلاغيِّ للملفوظ من قيمة مضافة عبر تلوّنات جهازه ليحتل درجة مُهمة من السُلَّم الحجاجيّ وبالتَّالي يكون ذا طاقة حجاجيّة تدفع المتقبّل إلى الإذعان والتَّسليم "لالله أنْدي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ تتكثف الأنواع البلاغيّة في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّكُ اللَّهُ رَبُّكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّكُ اللَّهُ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ اللَّهُ وَمَنَّلَ اللَّهُ اللَّهُ وَمَنَّلَ اللَّهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهِ وَمَعْلَى اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ وَتَعْمَ (التَّقَديم والتَّاخير) بدور حجاجيّ فقدمت ﴿ الْأَرْضَ ﴾ على السَّماء فقدمت ﴿ الْأَرْضَ ﴾ على السَّماء للاستدلال على أهميتها للإنسان وكونها محسوسة له ، وتمثلت (المُقابلة) في قوله :

^{1.} الناجح ، عز الدين ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص 127

^{2 .} سورة غافر ، الآية : 64

﴿ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ و ﴿ السَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ الإقناع من خلال علاقة الضّدية ، و (التّشبيه البليغ) في ﴿ وَصَوَرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴾ ويثير (الجناس غير التّام) في ﴿ وَصَوَرَكُمْ فَأَحْسَنَ صَورَكُمْ ﴾ راحة نفسيّة عند المُتلقِّي

ويظهر أثر السُلميَّة البلاغيَّة في كشف الأبعاد الحجاجيّة في قضية قيام السَّاعة في الملفوظات الخبريَّة وما يترتَّب عليه من أنواع للجمل الخبريّة بحسب مُقتضى حال المُخاطَب ، من ابتدائيّة إذا خلت من المُؤكدات وكان المُخاطَب خالي الذهن فيقول تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [1] ، وطلبيّة إذا قامت على مؤكد واحد وكان المُخاطَب مترددا فيقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقِّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيها ﴾ [2] ، وإنكاريّة وهي ما قامت على مؤكدين أو أكثر وكان المُخاطَب منكرا يقول تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةُ لَآتِيةٌ لَا رَيْبَ فِيها ﴾ [3] .

^{1.} سورة الجاثية ، الآية : 27

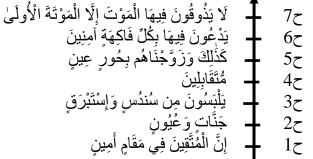
^{2 .} سورة الجاثية ، الآية : 32

^{3 .} سورة غافر ، الآية : 59

3 . 2 . 3 سئلميّة الاستدلال:

يُحَدّ السُّلم الحجاجيّ بأنَّه علاقة تراتيبية للحجج الَّتي تتتمي لفئة واحدة ، تقوم بدور المُوجّهة للمُتلقِّي لما يريد أن يصل إليه المُخاطَب ، فقد وظَّفه الله عزَّ وجلَّ ليصف للمُؤمن نعيم الجنَّة والمُنزلة الَّتي يلقاها ؛ لتحريك العواطف الكامنة عنده ليسعى للحصول على هذه المنزلة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونِ * يَلْسَنُونَ مِن سُنْدُسِ وَإِسْتَبْرَق مُتَقَابِلِينَ * كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بحُور عِين * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [1]، فبدأ سُلَّم التَّرغيب بالجنَّة بذكر أنَّها مكان الإقامة الأبديَّة ، لتحفز المُتلقِّي إلى السَّعي للاستقرار فيها في قوله ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِين ﴾، ثُمَّ انتقل السُّلُّم لذكر النَّعِيم الَّذي نجده فيها ﴿ جَنَّاتِ وَعُيُونَ ﴾ وهو أيضا نعيم مكاني ، لما للمكان من أثر في راحة النَّفس وجعلها تستشعر عظمة النَّعيم الَّذي يحيط بها ، ثُمَّ ارتقى السُّلِّم بالمُتلقَّى ليصف له نعيم أجسادهم بذكر لباسهم وهو لباس التَّرف والنَّعيم وفيه كناية عن توفر أسباب نعيم في قوله ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُس وَإِسْتَبْرَق ﴾ ، ووصف لهم نعيم نفوسهم في ﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾ من خلال مجالسهم على وجه الإيجاز ، ليرتقى السُّلَّم إلى وصف النَّعيم النَّفسانيّ المنجرّ للنَّفس في ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورِ عِين ﴾ فهم مأنوسون بصحبة حبائب من النِّساء ، وتتوفر لهم كُلّ سبل الرَّاحة والإحاطة بالأمن فهم ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ وتختتم بشارة بخلود النِّعمة[2] في ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾ ، وتمثل على السُّلَّم بالشَّكل التَّالي:

(ن: وصف حال المؤمن في الجنّة) حال المؤمن في الجنّة) حرم المؤدّة الأولَو لَو المَوْدَة الأولَو المَوْدَة الأولَو



1 . سورة الدخان ، الآيات : 50 _ 56

2. انظر ، ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 316 ـ 319

4 . أفعال الكلام :

اهتمًت نظريًة أفعال الكلام الّتي وضع أسسها العالم أوستين بتحليلها لدور الملفوظات في توضيح العلاقة بين المُتكلِّم والمُتلقِّي مِمًا يشكل قوة تواصليّة فقد لاحظ أوستين " أنَّ في اللُغة العديد من الملفوظات الَّتي تشبُه على حدِّ ما الخبر ، ولكن لا يقصد بها الإخبار عن الوقائع ؛ فهي لا تصف ولا تحمل أخبارا ولا تقرّر ، كما لا تخضع لمعيار الصدِّق والكذب ، إنَّها من باب : التَّلفظ بالجملة يعني إنجاز فعل "أنا ، فالتَّداوليّة قامت على أساس " أنَّ كُلَّ ملفوظٍ ينهض على نظام شكلي دلاليّ إنجازي تأثيريّ ، وفضلا عن ذلك يُعدُّ نشاطا ماديًا نحويًا يتوسل أفعالا قوليّة لتحقيق أغراض انجازية كالطلّب ، والأمر ، والوعيد "أنا ، والفعل الكلامي " يعني التَّصرف الإرادي الذي ينجزه الإنسان بالكلام ، فهو من ثُمَّ الإنجاز الَّذي يؤديه المُتكلِّم بمجرَّد تلفُظه بملفوظات معينة لها أغراض انجازيّة ترمي إلى صناعة أفعال وسُلوكات مؤسساتيّة أو اجتماعيّة بالكلمات والتَّاثير في المُخاطَب ، وحمله على فعل أو ترك شيء ما ." [3]

وللأفعال الكلاميَّة دور حجاجيّ بإحداثها " أثرا في سُلُوك المُتلقِّي ، سواء أكان أثرا نفسيّا أم سلوكيا (جسديا) وغايته حمل المُتلقِّي على الإقتناع ، واتِّخاذ موقف ما إزاء ما طرح من محتوى قضوي ، فالقصديّة لها دور مهمّ في الخطاب المُتضمن للأفعال الكلاميّة و (من المعلوم أنَّ للفعل الكلاميّ وظائف تداوليّة مرتبطة بقصد المُخاطَب من أهمّها وظيفته الحجاجيّة الَّتي تزيد من فاعليته الانجازيّة الَّتي أرادها له أوستن وسيرل ، ولاسيّما تلك المرتبطة بوظيفتين : التَّأثير والإقناع) "[4] ، وينظر فان دايك " إلى النَّصً بوصفه فعلا للكلام أو بوصفه سلسلة من أفعال الكلام ، كما يرى أنَّه يمكن تحليل النَّصً على أنَّه متوالية من الجمل."[5]

^{1.} نقلا عن: العشراوي ، عبد الجليل ، آليات الحجاج القرآني ، ص 154

^{2.} المغامسي ، أمال يوسف ، الحجاج في الحديث النبوي ، ص 120

^{3 .} صحراوي ، مسعود، الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية ، مجلة اللغة العربية _ الجزائر ، العدد 10 ، أكتوبر 2004 ، ص 186

^{4.} نقلا عن: صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 133

^{5.} نقلا عن : عمران ، قدور ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، ص 62

4 . 1 مستويات أفعال الكلام :

قسّم أوستين أفعال الكلام إلى ثلاثة مستويات داخل أي إنتاج لغوي ، أولها : الفعل القولي : وهو الفعل الذي يعني النَّشاط اللَّغوي الصَّرف ، ويقصد بذلك الأصوات الَّتي يخرجها المُتكلِّم والَّتي تمثل قولا ذا معنى، فهو الفعل الَّذي نحققه حين نقول شيئا، وثانيها : فعل الكلام الانجازي : فالمُتكلَّم حين يتلفَّظ بقول ما فهو ينجز معنى قصديا أو تأثيرا مقصودا ، وأطلق عليه قوة الفعل ، ويتحدَّد بكونه فعلا أُنْجِز ضمن قول ما وليس بفعل ناتج عن القول ، فنحن نحققه عندما نقول شيئا ما ، وثالثها : فعل الكلام النَّأثيري ويتحقَّق بإنتاجنا لفعل القول ومن خلال فعل الكلام الإنجازي نكون أمام إنتاج فعل الكلام التَّأثيري ، فالكلمات الَّتي ينتجها المُتكلِّم في بنية نحويَّة منتظمة محملة بمقاصد معينة في سياق محدَّد تعمل على تبليغ رسالة وتُحُدِث أثرا عند المُتلقِّي المُتكلِّم ونحقَّقه بقولنا شيئا ما مِمَّا يثير مشاعر المُتلقِّي .

وقام أوستين بتصنيف أفعال الكلام الانجازية حسب قوتها الانجازية ، فوضع تصنيفا لأكثرها تداولا ، فضمّت قائمته ، صِنْف الحكميات : وهو صنف الأفعال القضائية نحو : برأ ، أدان ، قرّر ، وصنف التّفيذيات : وهي أفعال لها علاقة بممارسة الأحكام والقوانين ، نحو : أمر ، أوصى ، عفا ، وصنف الوعديات : وهي الأفعال الّتي تُلزم المُتكلِّم بتبني موقف ما ، مثل : وعد ، نذر ، ضمن ، راهن ، أقسم ، وصنف السُلوكيات : وهي اللّتي تعبر عن ردِّ الفعل تجاه الأخرين ويوافق أفعالا مثل : شكر ، شجب ، اعتذر ، نقد ، وصنف التبيينات : وهي أفعال الإيضاح أو العرض ، وتستعمل لتوضيح وجهة نظر أو عرض قضيَّة ، نحو : أثبت ، نفى ، سلّم [2]. وتتبع أهميّتها عندما يقوم المُتكلِّم " بتحقيق فعل إنجازيّ على مستوى الملفوظ ، وبالنَّتيجة يكون هذا الإنجاز ذا مقصدية حجاجيّة "[3] ، ولهذا اعتبرت الجمل الإنشائيّة ذات بعد إنجازي لأنَّها تؤدي مضامين جديدة في السياق الحجاجي .

^{1.} عمران ، قدور ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، ص 54 — 57

^{2.} العشراوي ، عبد الجليل ، <u>آليات الحجاج القرآني</u> ، ص 158

^{3 .} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 135

لقد طوّر سيرل بعد أوستين نظريَّة الأفعال الكلاميَّة ، بحصر أفعال الكلامية الغرضية الانجازيّة في خمسة أنماط ، وهي: نمط الإخباريات : وغرضها الانجازيّ هو وصف المُتكلِّم واقعة معينة من خلال قضيَّة ، وهي أفعال الصَّدق والكذب ، فهي تُلْزم المُتكلِّم بصدق ما يعبر عنه وإثباته من خلال التَّقرير والوصف ، ونمط التَّوجيهات : وغرضها الانجازي محاولة المُتكلِّم توجيه إلى فعل شيء معين، نحو أفعال الطلّب والسُّوال والنهي والأمر ، ونمط الالتزاميات : وغرضها الانجازي هو التزام المُتكلِّم بفعل شيء في المستقبل ، مثل أفعال الوعيد ، ونمط التَّعبيريات : وغرضها الانجازيّ التَّعبير عن الموقف النَّفسيّ تعبيرا يتوافر فيه الإخلاص ، مثل الشُّكر والاعتذار والتَّهنئة والترجيب ، ونمط الإعلانيات : وهي ما يطابق محتواها القضوي العالم الخارجيّ ، وتقتضي عرفا غير لغويّ ، كأفعال الحرب الله ، ويفرِّق سيرل بين ثلاثة أنماط للأفعال الكلاميّة وهي : " الغرض الانجازيّ للفعل الكلاميّ الَّتي يتوخاها مُتكلِّم ما بمنطوقة ، والموقف النَّفسيّ الَّذي يعبر عنه المُتكلِّم بالفعل الكلاميّ اللّي يتوخاها مُتكلِّم ما بمنطوقة ، واتَّجاه المطابقة بين الكلمات والوقائع ، فبناءً على المنطوق يتغير العالم بحيث يُطابق المحتوى القضويّ للفعل الكلاميّ الماسا انطلق منه اللسانيون في دراسة الملفوظات .

وقد بُحِثَتُ ظاهرة الأفعال الكلاميّة في تراثنا البلاغيّ العربيّ ضمن نظريَّة الخبر والإنشاء ، واشتغل ببحثها عدد كبير من العلماء ، مِمَّا شكَّل تقاربا في العلاقة بين ثنائية الخبر والإنشاء في البلاغة العربيّة ونظريّة أفعال الكلام كما جاء بها أوستين [3] ، ويرى أحمد المتوكل " أنَّ الفكر اللُّغويّ العربيّ القديم يتضمن ثنائية الخبر والإنشاء الَّتي تشبه إلى حدِّ بعيد الثَّائية الأوستينيّة الوصف ، والإنجاز ." [14]

^{1.} نقلا عن: المغامسي ، أمال يوسف ، الحجاج في الحديث النبوي ، ص 123

^{2.} نقلا عن: لانج ، جوتس هنده ، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي ، تر: سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشرق _ مصر ، ط1 ، 2012 ، ص 87

^{3 .} صحراوي ، مسعود، الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية ، محراوي ، مسعود، الأفعال الكلامية عند 10 ، أكتوبر 2004 ، ص 182

^{4.} المغامسي ، آمال يوسف ، الحجاج في الحديث النبوي ، ص 139

4. 2 الأفعال الانجازية الصَّريحة:

وهي الأفعال الانجازيّة الصَّريحة أو المباشرة ، الَّتي يكون فعلها الظَّاهر الاستفهام ، أو الأمر ، أو النَّهي ، أو النَّداء ، وتقدم هذه الأفعال الكلاميّة الإنشائيّة مقصدية حجاجيّة للغة من خلال بعدها السِّياقيّ والتَّداوليّ .

2 . 4 الاستفهام:

يعتبر الاستفهام الحجاجيّ " نمطا يستلزم تأويل القول المُراد تحليله انطلاقا من قيمته الحجاجيّة "[1] ، ويُصنَفّ الاستفهام ضمن التَّوجيهات الَّتي يكون غرضها الانجازي محاولة المُتكلِّم توجيه إلى فعل شيء معين "ويسعى المُرسِل إلى إنجاز فعل إقناعيّ ، بتوسله أسلوب الاستفهام ، فالجمهور يعتقد شيئا ، والمُرسِل يصوغ ما يريد إقناعهم به عن طريق الاستفهام ، والَّذي يحقِّق النَّتيجة المُرتجاة "[2].

فقد حمل السُّوال قوة توجيهيه للمُتلقِّي ضمن بنيته التَّصديقيّة في إدراك المقصديّة الحجاجيّة في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَينظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [3] فطُرح الاستفهام لإثارة المُخاطَب وحمله على أخذ العبرة من القرائن السيّاقيّة المُوصلة لاستنتاج بما يحمل فعل الكلام الانجازيّ من قوة الزامية وهي الإنكار في ﴿ أَفَلَمْ ﴾ و التّهديد في ﴿ كَيْفَ ﴾ فقامت علاقة حجاجيّة بالاستفهام والأمر في فعلي (السير والنظر) بالدَّعوة " للضرب في الأرض والنَّظر والاعتبار بأحوال الماضين والتَّفكير في أسباب هلاكهم ، فيُضيف أسلوب الاستفهام التَّوبيخ لعدم السيّر والنظر وتعطيل العُقول والقلوب " [4] ، مُقدِّما قرائن إخباريّة لإيضاح الحُجَّة وتبكيت قريش ، كما أظهر الله تعالى من خلال فعل الاستفهام القوة الإنجازيّة التَّأبيسيّة والتَّعجبيّة في قوله : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [5] مُتعجباً من حال الكُفَّار الذين لم يتأثروا من هذا القرآن ومعجزات الله .

^{1.} العزاوي ، أبو بكر ، الخطاب والحجاج ، ص 57

^{2 .} صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 140

^{3 .} سورة غافر ، الآية : 82

^{4.} درانة ، صباح عبيد، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية ، ص 27

^{5.} سورة الجاثية ، الآية: 6

وجاء الاستفهام على لسان فرعون في قوله تعالى: ﴿ وَبَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [ا] ليكشف الاستفهام عن التَّركيبة التَّفسيّة لفرعون من خلال حمل قومه للإذعان له باعتماد حُجَّته السُلطويّة عن طريق الاستفهام التَّقريريّ ، فالاستفهام فعل كلام إنجازيّ من أفعال التَّوجيه ، وتشكَّلت قوته الإلزامية في التَّعجب ، ومحل التَّعجب عند فرعون في أنَّه تعجَّب من حال قومه بعد أن لمس منهم تراجعاً في اعتقادهم بأنَّه إله لمَّا شاهدوا سيَّدنا موسى يصرف عنهم العذاب ، فخاطبهم فرعون طالباً منهم الإقرار له بالعظمة ، مظهراً جانباً منها بقدرة التَّصرف في مُلك مصر ، وكرّر فرعون الاستفهام في التَّهكم).

وتظهر القدرة الحجاجيّة للاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أُولُمْ يَرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] من خلال طرحه لإشكال خطير وهو (البعث) ، فالله الَّذي خلق السَّموات والأرض دون تعب قادر على إحياء الموتى وبعثهم ، ففعل الكلام الإنجازيّ يحمل طاقة توجيهه للاحتجاج للبعث وإقناع المنكرين بقدرة الله على بعث الخلق، وقوته الإلزامية الإنكار ، والتَّوبيخ ، وأفاد الجواب في ﴿ بَلَىٰ ﴾ تحويل النَّفي إلى طاقة إثباتية؛ لأنها جاءت " في مجال الاعتراف بأمر خطير ذي شأن عظيم كالقدرة على البعث وبدء الخلق "[3] ، وكثيراً ما استُخدم الاستفهام في هذه الصُّور بهدف التَّهديد والوعيد كما في قوله : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَعِ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [4] فافعل الكلاميّ الإنجازيّ للاستفهام أفاد (الوعيد) ، قوته الإلزامية تتمثل في التَّهديد في أَهْلَكْنَاهُمْ ﴿ بأن يحل بهم ما حلَّ بقوم ثبَّع ، وتهكماً ساخراً من مشركي قريش ، وحمل أسلوب التَّفضيل في ﴿ خَيْرٌ ﴾ قوة تأثيريّة ممعنه في التَّحدي لهم .

^{1 .} سورة الزخرف ، الآية :51

^{2.} سورة الأحقاف ، الآية: 33

^{3.} يوسف ، عبد الكريم محمود ، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، ص 9

^{4.} سورة الدخان ، الآية : 37

2.2.4 الأمر:

يحتل الأمر موقعاً حجاجيّاً مُهماً لما يتمتع به من قوة إنجازيّة تهدف للتّأثير في المُخاطَب وإقناعه من خلال المعاني البلاغيّة الَّتي يؤدِّيها ، ويُفيد الأمر " مجموعة من المعاني المُتقاربة المُتداخلة يُثِيرُها الأسلوبُ في النَّفسِ المُتلقيّة وهي معان شُعوريَّة أو نفسيَّة أو عقليَّة "[1] اعتمادا على قالب السّياق الَّذي يوظَّف فيه ، و" لذلك بحث أوستن في الأفعال وعلاقاتها ، فسمى فعل الأمر بالفعل القولي ، لأنَّه يهدف بالأساس إلى صياغة موقع جديد وتكون هذه الأقوال عادة بين حضور طرفي الخطاب في الزَّمان والمكان "[2] ، ذلك أنَّ فعل الأمر " فعل كلاميّ مباشر ترتبط دلالته بالقول ويشكَّل بذلك قوة إنجازيّة ترتبط بذلك القول ، المتولد عن العدول لغرض تداوليّ مِمَّا يُصَعِّد من كفاءة الإنجاز بتحقيقه الأغراض المطلوبة ضمن معناه المحمول ، لأنَّ الأمر يمثل واقعا ذهنيا متحققًا يكمن في اختيار المُنفِّذ أو من يُئنَّخَب لتحقيقه في الواقع."[3]

وحقَّق النَّصُ غايته الحجاجيّة من خلال الفعل الانجازيّ ، الأمر في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا فَضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [4] ، وإنجازه يتمثل في توبيخ المشركين ، فالجنّ وهم من عالم آخر عندما استمعوا للقرآن انصتوا له بتدبر وأدركوا أنَّه من عند الله فدخل الإيمان إلى قلوبهم ، بينما المشركون وهم من الإنس نزل القرآن بلغتهم لم يدركوا صدقه وعاندوا وكفروا به ، وتكمن قوّته التَّوجيهية في محاولة المُتكلِّم توجيه المُتلقِّي نحو التَّصديق بالقرآن ، كما حمل فعل الأمر قوة إنجازيّة تهكُميّة في قوله : ﴿ ذُقُ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيرُ الْكَرِيمُ ﴾ وتوبيخه الدَّي كان يدعي أنَّه عزيز كريم ، فتظهر إهانة خزنة النَّار له بسخريتها منه بقولها له ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيرُ الْكَرِيمُ ﴾ فأدّى الخطاب الغاية الحجاجيّة .

^{1.} درانة ، صباح عبيد ، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية ، ص 17

^{2.} الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي بيئته وأساليبه ، ص 147

^{3.} صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 145

^{4.} سورة الأحقاف ، الآية: 29

^{5.} سورة الدخان ، الآية: 49

ووظّف فرعون القوة الإنجازية للأمر لتحقيق رغباته في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ [1] ، فحمل فعل الكلام الإنجازي ، الأمر في ﴿ ذَرُونِي ﴾ قوة إنجازية تمثلت في (الرّغبة) فلم يكن فرعون منتظراً منهم الموافقة ، أو المُمانعة ، بل أراد بالأمر التّعبير عن رغبته في قتل موسى غير مبالٍ بالنتائج أو آراء الآخرين ، ساعيا لتحقيق هدفه ، فالقوة الحجاجية لفعل الكلام الانجازي الأمر تكمن في أفعال التّنفيذ ، فهي أفعال تتّخذ قراراً في كيفية التّصرّف ، وقوته الإلزامية تتمثّل في التّهديد ، ومحل التّهديد من ذلك دلّ عليه ﴿ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾ ، كما أفادت صيغة الأمر في ﴿ وَلْيَدْعُ رَبِّهُ ﴾ قوة إنجازيّه وهي عدم الاكتراث ومشبعة بالتهديد .

4 ـ 2 ـ 3 النَّهي:

^{1 .} سورة غافر ، الآية : 26

^{2.} الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، 149

^{3.} المتوكل ، أحمد ، (1993) : الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركب في اللغة العربية ، منشورات دار عكاظ الرباط ، ، ص 102 ، 103

^{4.} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 148

^{5.} سورة فصلت ، الآية: 37

قوته الإنجازيَّة في نهي النَّاس عن السُّجود للشَّمس والقمر ، فالحدث المُثبت بعد النَّهي موضع غفله من النَّاس ، ويطلب منهم إنجاز فعل آخر ضمني وهو توحيد الله تعالى وعبادته فهو أحق بالعبادة من مخلوقاته ، وتتمثّل قوته الإلزامية في تقديم التَّكليف بالسجود لله عزّ وجلّ من خلال فعل الأمر ﴿ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ بالسجود لله عز وجلّ من خلال فعل الأمر ﴿ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ بَعْبُدُونَ ﴾ فاثبت القوة الإلزامية في النهي ضرورة السجود لله .

وقد حثّ سيّدنا موسى بني إسرائيل على اتباع الرّسالة الّتي حملها لهم ، والتّمسك بها من خلال القوة الانجازيّة الّتي حملها النّهي في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لاّ تَعْلُوا عَلَى اللّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [1] ، فقام فعل الكلام الانجازيّ المتمثّل في النّهي وهو من الأفعال الالتزامية ، الّتي تلزم المُتكلِّم بأفعال مستقبلية ، وتتمثل قوته الإلزامية في التّحذير من الاستكبار في إجابته ، وعدم العلو على أوامر الله من خلال قوة الملفوظات بدعوة بني إسرائيل إلى اتباع ما شرع الله لأنّ فيه النّجاة لهم ، مِمّا شكَل قوة حجاجيَّة تحتّهم على التواضع والابتعاد عن الافتراء في تصرفاتهم ؛ لأنّه جاءهم ببرهان وحُجَّة واضحة ، كما تشكلت القوة الإنجازيّة في بناء علاقة تماثل بين حال دعوة سيّدنا موسى لقومه وما تعرض له من محاربة فرعون ، وحال سيّدنا مُحمَّد مع قومه وما تعرض له من رفض للدَّعوة قادها أبو جهل .

كما رسمت القوة الانجازية الكامنة في النّهي الطّريق القويم للرّسول الكريم في قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرّسُلِ وَلَا تَسَنْتَعْجِل لّهُمْ ﴾ [2] ، فقد أمر الله سبحانه الرّسول الكريم بالصّبر على أذى الكُفّار ، ضارباً له المثل بأولي العزم من الرّسل ، فالنّهي فعل كلام إنجازي من أفعال التّنفيذ ، قوته الإلزامية تكمن في كيفية النّصرف وتحذير الرّسول من الاستعجال بطلب العذاب لهم من الله ؛ لأن العذاب واقع بهم لا محال ولكن على الرّسول عدم استعجال ليكون من أولي العزم من خلال الصّبر ، ويحمل فعل الكلام النّهي طاقته الإنجازية بكونه يقدّم النّصيحة لسيّدنا مُحمّد بتوضيح طريقة التّعامل مع الكفار ، والصّبر والابتعاد عن استعجال العذاب لهم .

^{1 .} سورة الدخان ، الآية : 19

^{2.} سورة الأحقاف ، الآية: 35

4 ـ 2 ـ 4 النّداء :

للنّداء أثر في الاشتغال الحجاجيّ في خطاب ما، ذلك أن وجود النّداء في نصّ ما يوحي بوجود تَخاطُب في النَّصِّ ، وهو " بنية تنتج الإقبال حسا أو معنى وله تأثير كبير في المُتلقِّي؛ لأنَّه لا يُؤتى به لمجرد الانتباه والإصغاء فحسب وإنَّما يُؤتى به لتنفيذ فعل إنجازيّ ما عن طريقه ، لذا دخل في باب الأفعال الكلاميّة "[1] ، والنِّداء " لون من الخِطاب ، ولا يكون إلّا في أمر هام ، ويصحب النّداء أساليب أخرى لها تأثير قوي كالأمر والنَّهي والاستفهام ، ويقدم لضمان اهتمام المُخاطَب." [2]

واعتمد مُؤمِن آل فرعون على قوة الاشتغال الحجاجيّ للنّداء في النّصِّ يقول تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [3] فتكمن قوة فعل الكلام الإنجازيّ النّداء في شدِّ انتباه قوم المُتكلِّم ، لتنفيذ الفعل الإنجازيّ وهو ترك لَهْوَ الدُّنيا والعمل للآخرة ، وأُتْبِع النِّداء بالعامل الحجاجيّ ﴿ إِنَّمَا ﴾ لتظهر وظيفته بقصر الموصوف على الصّفة ، فلا صفة للدُّنيا إلا أنّها متاع فانٍ ، وزاد من قوة القصر استخدام اسم الإشارة هذه ، وقصر الآخرة في الخلود والاستقرار باستخدام المُؤكِّد ﴿ إِنَّ ﴾ .

وحقَّق النِّداء هدفه الحجاجيّ كفعل كلام إنجازيّ في قوله تعالى : ﴿ يَا قُوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [1] ، وتكرر نداء الجنّ لقومهم بهذه الصّيغة مرتين في هذه الآية والآية السَّابقة ، والبُعد الحجاجيّ من هذا التّكرار إحداث تأثير في قومهم من حيث التَّبيه ، والحثّ والتَّأكيد على ضرورة اتباع الدِّين الإسلاميّ على طريقة التّكرار . وأظهر النِّداء حالة الحزن الَّتي وصل لها النَّبي عليه السَّلام في قوله تعالى : ﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هُولًاءِ قَوْمٌ لَا يُؤمِنُونَ ﴾ [1] من خلال حرف المدِّ في النِّداء ، وقوة الإلزامية تمثلت في اليأس من هدايتهم .

^{1.} صادق ، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص150 ، 151 .

^{2.} درانة ، صباح عبيد، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية ، ص 276

^{39 :} سورة غافر ، الآية : 39

^{4.} سورة الأحقاف ، الآية: 31

^{5 .} سورة الزخرف ، الآية : 88

5. الإضمار والإقتضاء:

ظهر أثر مفهوم الإضمار والاقتضاء في مجالات عديدة كالتّداوليات والمنطق والسّميائيات والبلاغة ، وفي مجال التّداوليات أعتبر " إجراء تعتمده اللغة في نشاطها التّحاوريّ ، ومفهوما تقصده العبارة في حجاجها المنطقيّ والتّداوليّ ـ لما له من ـ أدوار هامة في تأسيس الخطاب .. ومفهومه يستدعي ضرورة بناء نظريَّة للموقف التّواصليّ نظرا إلى ارتباط الاقتضاءات بالجانب التّداوليّ "[1] ، وإذا كان المُتكلِّم يعتمد عليها في الدّفاع عن أطروحته إلّا " أنَّها ليست موضوع القول الحقيقي ، لأنَّ الأصل في الدّليل هو التّصريح بأجزائه، إلّا أنَّه لاعتبارات تداوليّة يلجأ المُتكلِّم إليها ثقة منه بقدره السّامع على الفهم اعتمادا على القرائن القوليّة والحاليّة وامتلاكه الكفاية الموسوعيّة اللّزرمة. "[2]

5 ـ 1 الإضمار:

يطلق البعض على القول المُضمر مصطلح (المفهوم) ، ويعتبر الفيلسوف غرايس" أوَّل من كوّن مفهوما حول ظاهرة الأقوال المُضمَرة ، وفكرته مبنية على أساس أنَّ الفعل الخطابي يفترض تعاوُنا من قبل المُشاركين ، والتَّبادُل الخطابي فضلا عن كونه يخضع لقواعد وقوانين خاصَّة بالخطاب ، فإنَّ المُتحدث فيه يلتمس من المستمع معرفة المبادئ الأساسية للمُحادثة "[3] ، مِمَّا يُساعده على استنتاج أقولٍ مُضمَرة في النَّصِّ ، ولهذا تُعَرِّف أوركيوني الإضمار بقولها إنَّه : " جميع المعلومات الَّتي من شأنها أن يحملها ملفوظ ما على أن يكون تحقيق تلك المعلومات رهين بعض الخُصُوصيَّات الَّتي للمقام "[4] ، ويُعَرَّفه ديكرو " بأنَّه ما يُسْتَثْبَط من المنطوق ."[5]

^{1 .} كروم ، أحمد، أدوار الاقتضاء وأغراضه الحجاجية في بناء الخطاب ، مقال ضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج1 ، ص 139

^{2 .} لحويدق ، عبد العزيز ، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية ، مقال ضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج3 ، ص 862

^{3 .} نقلا عن : عمران ، قدور ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، ص 69 ـ 70

^{4.} صولة ، عبد الله ، الحجاج في القرآن ، ص 265

^{5.} نقلا عن: العشراوي ، عبد الجليل، آليات الحجاج القرآني ، ص 168

والإضمار حدث قول أو بلاغة لارتباط دلالة الكلام بالمقام ، فمدار المفهوم على الطريقة الَّتي يتوخاها المُتلقِّي في فهم ذلك المعنى ، ولارتباطه بمجهود المُخاطَب التَّأويلي، وَتُرِكَ أمر تأويل المفهوم للمُخاطَب ، واعتباره بمنزلة اللُّغز الَّذي يعرضه المُتكلِّم على السَّامع طالبا إليه حلَّه [11] ، ففي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَعَيْعُ ﴾[2] اختزلت الكناية طاقة مضمرة من خلال الكاف " وغايته لنفي التشبيه إذ لو كان له مثل الكان لمثله شيء يماثله ، ودل على أنه ليس له مثل ، ونفيه تعالى لأنه مثل مثله ورد بمنع أنه تعالى مثل مثله مثل مثله تعالى مثل مثله المناه مؤوف على ثبوت مثله تعالى "

وينهض القول المُضمر (المفهوم) بدور حجاجيّ بإنتاج مفهوم دلاليّ يهدم نظريَّة قائمة على أفكار وآراء ومكونات عقديّة عند الكُفَّار ، وإثبات بُطلانها ، وجعل مستوى الحِجَاج فيها ضعيفاً وغير مُقنع ،كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعُدَ اللَّهِ مستوى الحِجَاج فيها ضعيفاً وغير مُقنع ،كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعُدَ اللَّهِ حَقِّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾ ، والقول المُضمر بِمُسْتَنَقِتينَ ﴾ أنا مناطوق ﴿ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾ ، والقول المُضمر (إنكار قيام البعث) ، نجد أنَّ القول المنطوق يثبت وجود البعث ، واقع لا مجال للشَّكَ فيه ، عدم وجود البعث ، فالله سبحانه أكَّد وجود البعث ، وأنَّه أمر واقع لا مجال للشَّكَ فيه ، وهذا ردِّ على من قال بعدم وجوده ، فهدم هذا النَّصُّ نظريَّة الدَّهرييّن ، الذين انكروا وجود البعث والحساب وأن لا حياة آخرة ، فهُدمت هذه النظريَّة بإثبات عكسها ، ولقد وجود البعث علماء التفسير في الفئة المُستهدفة من هذا الخطاب ، أهم منكرو البعث من الدَّهرييّن الجاحدين قيام السَّاعة أم هم فئة أخرى من الشَّاكين المتحيرين في أمر قيامها؟ ، ومن خلال مسبار الحِجَاج نُرجَح أنَّ الخطاب كان موجهاً للدَّهريين منكري السَّاعة وأن قولهم ﴿ إِن نَظنُ إِلاَ ظَنَا ﴾ ما هو إلا ضرب من الاستهزاء والسُخرية من إشكالية قيام السَّاعة؛ لإبطال حُجَّة المُتكلِّم .

^{1.} صولة ، عبد الله، الحجاج في القرآن ، ص 265 - 267

^{2.} سورة الشوري ، الآية: 11

^{3.} القزويني ، محمد بن عبدالرحمن ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 209

^{4 .} سورة الجاثية ، الآية : 32

وإذا كان الإضمار يقوم بدور هدم نظريَّة موجودة وإثبات بطلانها ، فإنَّه كذلك يقوم بدور بناء نظريَّة أو التَّذكير بها من خلال استثمار القصر الَّذي يُبْنَى عليه النَّصُ الحجاجيّ كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرِ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً ﴾[11] ، ومن خلال الرَّائز اللَّغوي بطرح سؤال (لم قال المُتكلِّم ما قال ؟) ، نجد أنّ المُشركين قد طلبوا أن يخاطبهم الله مباشرة ، أو تتزَّل عليهم الملائكة ، أو ينزل القرآن كتابا من عند الله ، فكان ردّ الله تعالى بحصر طرق التَّواصئل بين الله وعباده ، ليتمَّ بناء نظريَّة التَّواصئل بين الله ورسله ، فالله تواصل مع سيدنا محمد بالوحي ، فيكون الإضمار في أنَّ القرآن هو كلام الله المُوحى ، فأثبت الإضمار أن القرآن من عند الله .

واستثمر الإضمار الطّاقة الحجاجية المُضمرة في السُّوال من خلال اضماره للجواب النَّذي يشكِّل عمود العملية الحجاجية لنظرية السُّوال والجواب ، ويصل المُتلقِّي للغاية الاقناعية بتفاعله مع هذا الإضمار ، فأظهر السُّوال القوة الإنجازية المتمثلة في الإنكار في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمِ الإنكار في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتِيْنِ عَظِيمِ الإنكار في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّل هَٰذَا السُّوال الله عليهم تنصيب أنفسهم منصب مُتخير الرُسل ، فالمعنى المُضمر في هذا السّوال أنَّه " ليس هم المتخيرين النبوة من يصلح لها ، المتولين لقسمة رحمة الله النَّتي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته "أنا ، وفيه تأييد من الله تعالى لسيِّدنا محمَّد ، ورسم الله لسيِّدنا محمَّد نهج الهداية من خلال القوة المضمرة في السُّوال لإقناعه بأن هداية البشر من اختصاص الله وحده كما في قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تُسُمِعُ الصُّمِّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [1] ، والمعنى المضمر "أفأنت تقدر على إكراهم على الإيمان ، أو أفانت تقدر على هدايتهم والمعنى القسر والإلجاء ، أي إنَّما يقدر على ذلك الله لا أنت . "[5]

^{1.} سورة الشورى ، الآية: 51

^{2 .} سورة الزخرف ، الآيتان : 30 - 31

^{3 .} القزويني ، محمد بن عبد الرحمن ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 93 - 94

^{4 .} سورة الزخرف ، الآية : 40

^{5.} القزويني ، محمد بن عبد الرحمن ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 94

وأظهر الإضمار خفايا الخطاب وما يحمل من مُكونات فكريّة وأسرار تدبيرية في قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُتّبِعُونَ ﴾ [1] ، فالإسراء لا يكون إلا ليلا سواء ذُكِرَ اللّيلُ أم لم يذكر ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنًا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ذُكِرَ اللّيلُ أم لم يذكر ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنًا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنّكُم مُتّبَعُونَ ﴾ [2] ، فقدم الإضمار وظيفة حجاجيّة من خلال الملفوظ ﴿ لَيْلًا ﴾ فلم يأتي لمطلق التّأكيد وإنّما يدل على ليلة بعينها ، فأراد فيه تعيين الليلة الّتي أمر الإسراء فيها أذا ، فاستُنبط من المنطوق (ليلا) تحديد موعد خروج سيّدنا موسى عليه السّلام ، ولذلك ذكرت في هذه الآية النّتيجة الّتي وقعت لفرعون وجنوده ليناسب ذكر النّتيجة مع تحديد الموعد .

ويؤدِّي توظيف المجاز في النَّصِّ لظهور القول المضمر (المفهوم) كونه "دلالة لازمة عن المعنى الحرفيّ ونشأته عنه لازمة عن المعنى الحرفيّ ونشأته عنه يجعلانه بمنزلة المقتضى الَّذي هو معنى قابع في صلب الملفوظ ، ويستمدّ القول المضمر طاقته الحجاجيّة من كونه يورّط المُتلقِّي في إنتاج الدَّلالة من الكلام ، موجّها إياه بواسطة المقام الَّذي يُلقى فيه الملفوظ "الما ، فيقول تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لُكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾[5] ، فأطلق المجاز المُرْسَل الرِّزق وأراد المطر ، فالقول المضمر هو أنَّ الماء سبب في جميع الرِّزق ، فالله سبحانه صرَّح بالمسبب وأضمر السبب بإقامة علاقة سببية بين المصرح والمضمر ، فالمطر سبب الرِّزق ، مِمَّا يدفع المُتلقِّي لأعمال الدِّهن بإنتاج دلالة موجة له من خلال رصد ما يمكن أن يندرج تحت مظلة الرِّزق ، فتتكون له قائمة طويلة من أنواع الرِّزق من نحو الثَّمار والزَّرع ونمو الحيوانات ... حتَّى الرِّسالات السَّماوية تأتي من السَّماء ، فيكون القول المضمر جوابا عن (لِمَ قال المُتكلِّم ما قال ؟) ، ويظهر في توظيف (الرِّزق) بدلاً من (الغيث) دليل على قدرة الله ، مِمَّا يعطي للنَّصُ قوة حجاجية من خلال تقدير المضمر .

^{1 .} سورة الدخان ، الآية : 23

^{2 .} سورة الشعراء ، الآية : 52

^{3.} السامرائي ، فاضل صالح ، أسئلة بيانية في القرآن الكريم ، ص 125

^{4.} عمران ، قدور ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، ص 249

^{5 .} سورة غافر ، الآية : 13

5 ـ 2 الاقتضاء:

أدرك قدماء العرب القيّمة التّداوليّة للاقتضاء في النّصِّ الخطابيّ ، فنجد الشَّريف الجرجانيّ يحدّ الاقتضاء بقوله: " مُقْتَضَى النَّصِّ وهو عبارة عن جعل غير المنطوق منطوقا لتصحيح المنطوق "[1] ، ويكاد يتفق معظم من عرَّف الاقتضاء من العرب القُدماء بكونه " دلالة اللفظ على مضمر لازم للمعنى الَّذي وُضِعَ له، ومتقدم عليه ، ومقصود للمُتكلِّم ، وجب تقديره ضرورة لتوقف صدق الكلام أو صحَّته العقليَّة أو الشرعيَّة عليه "[2] ، وفي التَّداوليات المعاصرة يشكِّل الاقتضاء حلقة مهمة في العمليَّة الحجاجيّة لكونه مفهوما لغويا " ييسر إدخال المُخاطَب ضمن عالم اعتقادات المُتكلِّم أو الإيهام بذلك بُغيّة فرض قوله وما يستلزمه حجاجيًا من طرق في مواصلته "[3] ، ويعتبر ديكرو المقتضى فعلا لغويًا له خصائص ، فهو فعل كلامي خاص مثل الاستفهام والأمر ؛ لأنّها تقوم بتعديل العلاقات بين الذّوات المتخاطبة ، فيخلق الإلزامات ويؤسّس الواجبات ويعين الأدوار ، وتكمن خصوصية الاقتضاء في الطّريقة الّتي يفرض بها على المُخاطَب إطارا لاستمرار الخطاب ، فيجبره على الفعل وكأنه محتوى الاقتضاء على المُخاطَب إطارا لاستمرار الخطاب ، فيجبره على الفعل وكأنه محتوى الاقتضاء حقيقة مؤكدة. [4]

وتعرف أوركيوني الاقتضاء بأنّه " المعلومات وإن لم يفصح عنها ، فإنّها وبطريقة آليه وارده ومدرجة في القول الَّذي يتضمنها أصلا ، بغض النّظر عن خصوصيته في إطار الحديث الَّذي يتجلى فيه ، أمّا وظيفة الاقتضاءات فيحدّدها ديكرو بأنّها تمثل الشّرط الأساسي للتّماسك العضوي للخطاب ، وأنّها تضمن بأنّ الأقوال تتتمي إلى الحوار ، وأنّها تمثل نصّا واحدا ، وحتّى وإن اعتبرناها حشوا فإنّ دورها لا يُسْتَهَان به في إنجاح العمليّة التّواصلية ، وفي حفاظ الخطاب على تماسكه ."[5]

^{1 .} الجرجاني ، علي بن محمد السيد ، معجم التعريفات ، ص 191

^{2 .} بريم ، محمد ، الاقتضاء في سورة البقرة ووظائفه الحجاجية ، مقال ضمن كتاب : التحليل الحجاجي الخطاب ، ص 92

^{3.} المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة ، مقال ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج ، ص 474

^{4.} نقلا عن : العشراوي ، عبد الجليل ، آليات الحجاج القرآني ، ص 166

^{5.} عمران ، قدور ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، ص 68 _ 69

والاقتضاء علاقة شرطيّة أو تشارُطيَّة بين وحدتين لسانيتين ، فيكون المقتضى شرطا لتحقق المقتضي والعكس صحيح ؛ لأنَّه ضروري في حالة إثبات القول وضروري أيضا في حالة النَّفي هذا المقتضى مزدوج الشَّرطية ، والاقتضاء علاقة بين قضية صريحة وأخرى مضمرة ، ذلك أن القضية (أ) تقضي القضية المضمرة (ب) ، إذا كانت القضية (أ) ونفيها يتضمنان القضية (ب) ، كما أن الاقتضاء حاصل في البنيات المعجمية ، فبعض الكلمات تحوي مقتضيات في حدِّ ذاتها بالرجوع إلى معانيها المعجمية ، وحاصل كذلك في البنيات التركيبية ، إذ ينظمها اقتضائيا لينجم عن تركيبها مقتضيا دلالية ، كما يكون الاقتضاء علاقة القول بسياقة الَّذي قيل فيه ، أنَّه مطابق بين الملفوظ وسياق تلفظه ، فكُلُّ كلام ينبغي أن يكون مناسبا للسِّياق الَّذي قبل فيه ، ويقوم الاقتضاء بمهمَّة حفظ إطار التَّخاطُب ، فمادام المُتكلِّم يقدم مقتضياته على أساس أنَّها مسلمات ، ومادام المُخاطِّب لا يعارضها ، فإنَّها تشكِّل أرضية متوافقا بشأنها ، وهنا تظهر الفعالية الحجاجية للمقتضى . [1]

وحدّد ديكرو عمل الاقتضاء فتقوم فرضيته على أنّ كُلَّ عمل لا قولي يفترض تحقيق عمل اقتضاء ، لذلك فإنّ تحليل الاقتضاء يتحدّد منذ المكوّن اللّغوي باعتباره عنصرا دلاليا من القول ، فالقول : كفّ زيد عن الكذب ، تحلّل إلى مقولها : زيد لا يكذب الآن ، ومقتضاها : كان زيد يكذب ، كما اتّخذ ديكرو بنيتي النَّفي والاستفهام التَّصديقي معيارا لضبط المقتضى ، ومن البيّن أنّ كلاّ من النَّفي والاستفهام وإن غيّرا قول الجملة فإنَّهما يحافظان على محتواها القضوي موضوع عمل الاقتضاء ، فتحلّل بنيه الاستفهام ب : هل كفّ زيد عن الكذب ؟ ، والمقول : هل زيد لا يكذب الآن ؟ ، والمقتضى : كان زيد يكذب ، وتحلل بنيه النَّفي ب : لم يكفّ زيد عن الكذب ، المقول : فريد لا يكذب ، المقول : زيد لا يكذب الآن ، والمقتضى : كان زيد يكذب ، وتحلل بنيه النَّفي ب : لم يكفّ زيد عن الكذب ، المقول : زيد لا يكذب الآن ، والمقتضى : كان زيد يكذب . كان زيد يكذب .

^{1 .} بريم ، محمد ، الاقتضاء في سورة البقرة ووظائفه الحجاجية ، مقال ضمن كتاب : التحليل الحجاجي الخطاب ، ص 96

^{2.} المبخوت ، شكري، نظرية الحجاج في اللغة ، مقال ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 472

5 ـ 2 ـ 1 الاقتضاء المعجمى :

يعتمد المُقتضى المعجميّ للكلمة على معناها المعجميّ ، فيشكّل محتواه ملفوظا ضمنيا يتوارى خلف مُحتوى الملفوظ المنطوق ، فيشكل بُعدا دلاليّا حجاجيّا ، وهو ما يسميه ديكرو عند تحديد دور الكلمة في الملفوظ بوقع الكلمة المعنويّ ، ولابُدّ من الإشارة إلى أنه ليست معاني الكلمات كلها ذات مقتضى معجميّ ، فاسماء الأعلام مثلا ليس لها مقتضى معجمي داخل الخطاب أو المقام الَّذي ترد فيه . [1]

ومن الكلمات المعجميّة الَّتِي تحمل مقتضى معجميّاً في القرآن الكريم كلمة (الإيمان) ومشتقاتها والَّتِي وظُفت بمعانٍ متشابكة في النَّصِّ القرآنيِّ ويهمنا منها معنى الطَّمأنينة ومعنى التَّصديق ، فوظف من مشتقاتها كلمة (آمن) فيقول تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم ﴾ [2] ، وقال أيضا: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم ﴾ [2] ، وقال أيضا: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ النِّي المِنْرائيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَالسَّكُبرُتُمْ ﴾ [3] ، كما قال : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَالسَّكبرُتُمْ ﴾ والنَّعديق والنَّعديق والنَّعديق والنَّعديق والنَّعديق والنَّعديق والنَّعديق والنَّع والنَّ

^{1.} صولة ، عبد الله ، الحجاج في القرآن ، ص 90

^{2 .} سورة غافر ، الآية : 30

^{38 .} سورة غافر ، الآية : 38

^{4.} سورة الأحقاف ، الآية: 10

^{5.} العشراوي ، عبد الجليل ، آليات الحجاج القرآني ، ص 245

ويظهر البُعد الاقتضائي لكلمة (الكفر) في التَّوظيف القرآنيّ ، والمعنى المعجميّ لها يشير إلى نقيض الإيمان ، وجحود النِّعمة ، والبُعد عن الشُّكر ، ومن استعمالاتها قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [1] وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ [3] ، وكذلك كَفَرُوا لِا لَيْنِينَ كَفَرُوا لِللَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [1] ، وكلها تشير لجحود الأنعام والفجور ، ويحمل " الملفوظ الوصفي ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ اقتضاء لحقيقة الرِّسالة المُحَمَّديَّة على ويحمل " الملفوظ الوصفي ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ اقتضاء لحقيقة الرِّسالة المُحَمَّديَّة على أنَّها نعمة من الله سابغة قد تمَّ جحودها من طرف المُخاطبين ، ويقدم هذا المقتضى ضمن الملفوظ على أنَّه من الحقائق الثَّابتة الَّتِي لا تقبل النِّقاش وذلك في علاقة التَّصال تام مع منطوق الوصف ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الَّذي يفيد جحود النَّعمة . "[5]

كما يظهر البُعد الحجاجيّ في الدَّلالة الاقتضائية لكلمة (الصِّراط) في النَّصِّ القرآنيّ ، فالمعنى المعجميّ لها : الطَّريق ، واستعملت في القرآن ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أَ فالمُخاطَب راسخ في الاهتداء كمن يسير على طريق مستقيم ، فيشير الملفوظ الوصفي ﴿ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، اقتضاء المنهج الَّذي يسير عليه المُؤمن للوصول إلى النَّجاة ، فيكون المعنى الاقتضائي للصِّراط المستقيم في التَّوظيف القرآنيِّ مشيراً إلى المنهج الإسلاميّ الصَّحيح ، أو الإسلام عينه ، فإذا وصِفَ المُخاطَب بأنَّه على الصِّراط في معناها الطَّريق ضمن ما يفيده منطوق الوصف بأنَّه على المنهج الإسلامي الصَّحيح ، الَّذي لا يضل من يسير عليه ، فتتضح الوضف التي يقوم بها اقتضاء الصِّراط بالنّسبة لمنطوقه المبني على علاقة التَّوافق بين الحامل المعجميّ والمقتضى المعجميّ .

^{1 .} سورة غافر ، الآية : 6

^{26 :} سورة فصلت ، الآية : 26

^{3 .} سورة الجاثية ، الآية : 11

^{4.} سورة الأحقاف ، الآية: 11

^{5.} العشراوي ، عبد الجليل ، آليات الحجاج القرآني ، ص 247

^{6 .} سورة الشورى ، الآية : 52

5 ـ 2 ـ 2 الاقتضاء التَّركيبي:

تظهر القيمة الحجاجيّة للمقتضى التَّركيبي في الخطاب ، الَّتي تقوي الطَّاقة الاقناعيّة ؛ لأن المقصود بالتَّركيب هي تلك " العلاقات الَّتي تنسجها الوحدات اللُّغويّة فيما بينها من خلال احتلالها موقعا خاصا ، إذ إنَّ المبدأ الَّذي يحكم توارد الوحدات اللُّغوية داخل البنيات التَّركيبيّة المختلفة ، فتتظم هذه الوحدات على نسق خاص وفق علاقات اقتضائيّة ، وهذا التَّظيم التَّركيبيّ المخصوص هو الَّذي تنتج عنه اقتضاءات دلاليّة تدخل في صميم الاستراتيجيّة الحجاجيّة "[1] ، وتبرز في هذا المستوى ظاهرة التَّوكيد وأثرها في تحقيق البعد الحجاجيّ للنَّصِّ .

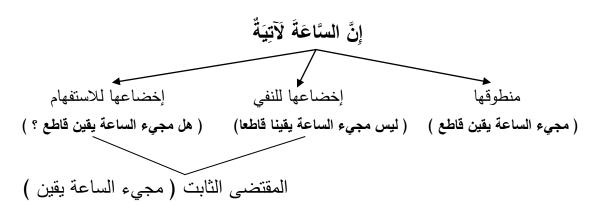
ومن أشكال الاقتضاء التركيبي المعتمد على التوكيد، يبرز اقتضاء التحقيق واليقين من خلال التأكيد بـ (إنّ واللام)، لأنّ اللام "إذا جاءت مع إنّ كان بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات ، لأنّ (إنّ) أفادت التكرير مرتين ؛ فإن دخلت اللام صارت ثلاثا "[2] ، وفي الاقتضاء فإنّ " اجتماع إنّ مع اللام في الملفوظ يجعل الخبر إنكاريا ، ينجُم عنه مقتضى بَحْت "[2] ، كما أن إخضاعه النّفي والاستفهام لا يؤثّر في الجملة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنّ السّاعَة لآتِية لا رَيْبَ فِيها ﴾[3] ، فدخل التوكيد على قضية محل نزاع وخصومة وهي قضية البعث ، ليفيد التوكيد معنى (تحقق) حدوث البعث ، فالمعنى الموجه حقّق إثبات أن السّاعة آتية ، ووفر " التوكيد طاقة حجاجية على المحتوى القضوي للآية من جهة الاقتضاء ؛ إذ بالإضافة إلى توكيد منطوق الآية توكيدا مضاعفا ، جعل من مقتضى الملفوظ الّذي اكتسب صفة الصّمود أمام النّفي والاستفهام حُجَة فات أوان ردّها لأنّها بانت حقيقة مُسَلّما بها لحظة التّلفظ "[4] وتقدير وهذا المقتضى أن (قيام السّاعة أمر مُحقّق) لا مجال للشّك ، وتحمل في حجاجيتها هذا المقتضى أن (قيام السّاعة أمر مُحقّق) لا مجال للشّك ، وتحمل في حجاجيتها

^{1 .} بريم ، محمد ، الاقتضاء في سورة البقرة ووظائفه الحجاجية ، مقال ضمن كتاب : التحليل الحجاجي الخطاب ، ص 117

⁴⁰⁸ من بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 408 من الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، الأية : 59 من 59 . سورة غافر ، الآية : 59

^{4.} العشراوي ، عبد الجليل ، آليات الحجاج القرآني ، ص 252

قوة إنجاز من باب التَّهديد بما سيحل بهم في ذلك اليوم من عقاب إذا لم يؤمنوا بالرِّسالة المُحَمَّديَّة ، وهذا المقتضى ثابت لا يخضع لقنوني النَّفي والاستفهام ، فلا نستطيع القول (ليست السَّاعة آتيه) كما لا تخضع للاستفهام نحو (هل السَّاعة آتيه ؟) وتمثل هذه العلاقة بالشَّكل التَّالي :



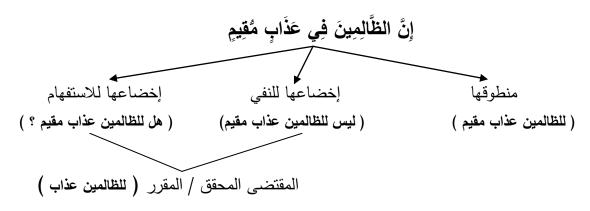
ويوظّف الاقتضاء التركيبي التوكيد عن طريق النّعت لغاية حجاجيّة وهي تأكيد منعوته ، فمن خلال العلاقة الّتي تتشأ بين النّعت والمنعوت يقع البيان والإيضاح فيؤكّد المُتكلِّم به فكرته المُخاطَب ، " وقد تجيء الصّغة التأكيد ، ومعنى التأكيد هنا أن مدلول الصّغة استفيد مِمَّا في الموصوف ، فصار ذكره في الصّغة كالتّكرار "الله ، مِمَّا يدفع المُتلقِّي للإقرار بالمعنى لعدم قدرته على دحضه أو رفضه بأي وسيلة ، فتكون الوظيفة الحجاجيّة للاقتضاء الترّكيبي بالنّعت " تقريرا المعنى ووقاية له اقتضاء ، إقرارا من أجل التوكيد ، ووقاية المعنى الاقتضائي من نفي النّفاة واستفهام المُشككين والمُترددين من الخُصوم "[2] ، فوظَف الله عزّ وجلّ نعوتا تبرز القيمة الحجاجيّة من خلال النّعت الاقتضائي فيقول تعالى : ﴿ أَلا إِنّ الظّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾[3] ، فقد نعت الله عذاب الظالمين بالمقيم ، الّذي لا يرتحل ولا يفارقهم ، فجاء وصف العذاب بالمقيم على وجه الاستعارة ، بتشبيه العذاب بدار الإقامة مِمَّا زاد من قوتها الحجاجيّة

^{1 .} ابن يعيش ، أبو البقاء يعيش بن علي ، (2001) : شرح المفصل للزمخشري ، ت : إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط 1 ، 1422 ه ، ج 2 ، ص 234

^{2.} العشراوي ، عبد الجليل ، آليات الحجاج القرآني ، ص 252

^{3 .} سورة الشوري ، الآية : 45

فقام المقتضى التَّركيبي بتجاوز الوظيفة التَّأكيديّة للصِّفة إلى وظيفة حجاجيّة أقوى بترهيب المُخاطَب من العذاب ، فخلق مقتضى ترهيبيّ تقرر عند الظَّالمين بفضل الطَّاقة الاقتضائيّة للنَّعت بتوضيح شدّة العذاب وأعطاه صفة الدَّوام والإقامة مع وجود المُؤكد (إنّ) مِمَّا زاد من القوة الاقتضائيّة للملفوظ بحيث لا يمكن نفيه أو التَّشكيك فيه بالاستفهام ، ويمثل بالشَّكل التَّالي :



كما يظهر الاقتضاء التركيبي المعتمد على التوكيد من خلال المفعول المُطلق فيحصل بفضل التوكيد بالمفعول المُطلق مقتضى لا يكتفي بدور المصدر الحجاجي إذا اعتقدنا أنّه جيء به لمجرد التوكيد فقط ، بل يتجاوزه إلى إنتاج المُقتضى ، ولولا هذا المصدر الَّذي جيء به لتوكيد عامله لما حصل مقتضى وُجُودِيِّ المُ وظف المفعول المطلق من خلال فعله المحذوف في قوله : ﴿ وَوَصَيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ وقطينا المفعول المطلق من خلال فعله المحذوف في قوله : ﴿ وَوَصَيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ فدخول المفعول المطلق على هذه الملفوظات يجعل من أفعالها مقتضيات لا يمكن نفيها أو الاعتراض عليها ، فالمفعول المطلق يقي هذه الأفعال من النّفي ، نحو: لن نحسن لوالدينا ، أو يعترض عليها بالاستفهام نحو: هل نحسن لوالدين؟ فتأكّد المقتضى (الإحسان للوالدين) بحيث يصبح نفيه ضرباً من الخيال وفات أوان نفيه . كما بيّن نوع الضرب في قوله : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذّكْرَ صَفْحًا ﴾ [5] ، وهو إعراض الوجه وفيه تأثير أكثر من الكلام .

^{1.} صولة ، عبد الله ، الحجاج في القرآن ، ص 311

^{2.} سورة الأحقاف ، الآية: 15

^{3 .} سورة الزخرف ، الآية : 5

6 . التّكرار:

يشكل التّكرار أحد الرّوافد الحجاجيّة لما يتمتّع به من قوة إقناعيّة وطاقة تأثيريّة في المُتلقِّي " ويوفر طاقة مضافة تُحْدِثُ أثرا جليلا في المُتلقِّي ، وتساعد على نحو فعاًل لإقناعه أو حمله على الإذعان ؛ ذلك أنَّ التّكرار يساعد أولا على التّبليغ والإفهام ويعين المُتكلَّم ثانيا على ترسيخ الرَّأي أو الفكرة في الأذهان ، فإذا ردِّد المحتج لفكرة ما حُجَّة ما أدركت مراميها ، وبانت مقاصدها ، ورسخت في ذهن المُتلقِّي ، وإن ردّد رابطا حجاجيّا أقام تناغما بيّنا بين أجزاء الخطاب "[1] ، فتكرار أفكار معينة يظهرها للمُتلقِّي ويجعلها مدار تفكيره، وتشكل ضغط حجاجيّ على ذهنه " فالتّكرير تثبيت تبريره دعواه ، حيثما يكون استبقاء المكرر في الزَّمان والمكان وسيلة لدحض ضدِّه "[2].

^{1.} الدريدي ، سامية ، الحجاج في الشعر العربي ، ص 168

^{237 .} العبد ، محمد ، النص والخطاب والاتصال ، ص 237

^{3.} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج ، ص 154

^{4.} العزاوي ، أبو بكر ، الخطاب والحجاج ، ص 49 _ 51

^{5.} العبد ، محمد ، مقال : النص الحجاجي ، كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج2 ، ص35

^{6.} فريد، فتحي عبد القادر، (1980): فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب، دار اللواء، ط1، ص 36

واهتم عدد من المستشرقين بدراسة البعد الحجاجي الاقناعي لبنية التكرار في الخطاب الحجاجي العربي ، فترى باربرا جونستون كوتش " أن خطاب الحجاج العربي يعتمد في الإقناع على العرض اللغوي للدعاوى الحجاجية بتكريرها وصياغتها صياغة موازية ، وإلباسها إيقاعات نغمية بنائية متكررة ، وترى أن هذا الطراز من الحجاج هو نتيجة المركزية الثقافية للغة العربية في المجتمع العربي الاسلامي ، وتسمى باربرا هذه الاستراتيجة البلاغية: استراتيجية الإقناع بالتكرير ، وبالصياغة الموازنة ، وبإلباس الدعوى وإعادة إلباسها إيقاعات نغمية متغيرة من الكلمات تسميها باسم استراتيجية العرض "[1].

ولأهمّية النّكرار في تقريب المعنى في نفس المُتلقّي فقد اهتمّ به بلاغيو العرب في تناولهم للنّصِّ القرآنيِّ والبحث في إعجازه قد دفعتهم إلى البحث في مثل هذه الظُواهر ، خصوصا أنّه قد وردت في القرآن بعض نماذج من التكرار "[2] ، ومن نماذج تكرار لفظة قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [3] فقد اهتمَّ التّكرار بترديد ﴿ مَوْلًى ﴾ وهو الحليف ؛ لإكساب النّصَ قوة إقناعيّة تُبْرِز أهميّة (نفي عدم الإغناء) لتأكيد هذا المعنى وترسيخه في ذهن المُتلقِّي فتكرار ﴿ مَوْلًى ﴾ جعل المُتلقِّي للخطاب يدرك بقوته الاستدلالية " أنه لا يغني مُوال عن مُواليه بشيء من الإغناء حسب مستطاعه ولا ينصرهم ناصر شديد الاستطاعة هو أقوى منهم يدفع عنهم غلب القوي عليهم ، فالله هو الغالب لا يدفعه غالب "[14] ، فحقق التّكرار للنص قوة استدلالية بادراك قدرة الله ، وأنه هو سبحانه الملجأ .

وارتبط النِّداء في ﴿ يَا قَوْمِ ﴾ بتكرار صوتي في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ أهدكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ أهدكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ المَدرر ﴿ يَا قَوْمٍ ﴾ ، جاء مُرْتَكَزاً أساسيا حمّل التَّكرارُ النِّداءَ قوة حجاجيّة " فالمنادى المكرر ﴿ يَا قَوْمٍ ﴾ ، جاء مُرْتَكَزاً أساسيا

^{1.} نقلا عن: العبد ، محمد ، مقال: النص الحجاجي ، كتاب الحجاج مفهومه ، ج2، ص37

^{2.} المنصور ، زهير ، (2013): دراسات أسلوبية في الشعر العربي الحديث ، من إصدارات نادي الإحساء الأدبي ، 1434 هـ ، ص 13

^{3 .} سورة الدخان ، الآية : 41

^{4.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 25 ، ص 312

^{5 .} سورة غافر ، الآيتان : 38 _ 39

للفت المُتلقِّي صوتيا ، ويحتج عليه بزوال هذه الحياة الفانية ، فالمُنادى أحكم ما بعده ، واحتُج له ضمن بنية تكراريّة ، متَّت النَّصَّ"[1] وساعد تكرار النِّداء على تكثيف نظر المُتلقِّي لما بعده من القضايا المطروحة بُغْيَة الإقناع بها ، فقامت بنية النِّداء الثَّاني بإحالة الخطاب لما بعده من توضيح طرق الرَّشاد ، فشكَّل تكرار النِّداء ضغطاً ذهنياً على المُتلقِّي ليقوده للاقتتاع من خلال استمالة المنادى ، واعتمد النَّصّ القرآنيّ في هذا المثال على تكرار الشَّكل وهو " تكرير المكرر بذاته بهدف تثبيته وتبرير دعواه "[2].

ويؤدِّي التُكرار اللفظي وظيفة الاستدلال لما له من وقع ترهيبيّ في القلوب، وأثر تهديديّ في الأذهان، فيقول تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنَذُرْتُكُمْ صَاعِقَةً مَثْلَ صَاعِقَةً وَعيد عَلدٍ وَتَمُودَ ﴾ [13] ، فكانت { الصَّاعقة } في قوله: ﴿ فَقُلْ أَنَذُرْتُكُمْ صَاعِقَةً ﴾ أداة وعيد لقريش لإعراضهم عن الدَّعوة التَّي لم تعاقب تاريخيا بالصَّاعقة فاستخدمت الصَّاعقة في سياق التهديد والوعيد حتَّى أنَّ بعض أهل قريش وضعوا أيديهم على فم الرَّسول الكريم واستحلفوه أن لا ينطق ما بعدها ، فمجرَّد ذكر الصَّاعقة أرهبتهم ، وزاد من قوتها الحجاجيّة تكرارها مع شواهد من الأقوام التَّي سبقتهم وعوقبت بها فقال تعالى : ﴿ مَثْلُ صَاعِقَةً عَادٍ وَتَمُودَ ﴾ فقوم ثمُود أهلكم الله بالصَّاعقة أمّا قوم عاد فاهلكهم الله بالريح واستخدمت هنا الصَّاعقة من باب المجاز ، فعوّل الله سبحانه بتكرارها إيقاع التَّأثير والإفهام في نفس المُتلقِّي ، وإدراك حقيقة مصيرهم " فتصرّف في الاحتجاج على الوحدانيّة والقدرة ، فتوعدهم بما أصاب من قبْلَهم من المكنبين بآيات الله "14".



^{1.} صادق ، مثنى كاظم ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، ص 157

^{2.} العبد ، محمد ، مقال : النص الحجاجي ، كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج2، ص37

^{1 .} سورة فصلت ، الآية : 13

^{2.} الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن ، ص 12

كما يقع التكرار في العامل الحجاجيّ مشكلاً تناغماً بين أجزاء الخطاب ، فَكُرّر العامل (ما ... إلا) في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُلَقّاهَا إِلّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقّاهَا إِلّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقّاهَا إِلّا فَي تَطِيمٍ ﴾[1] فساعد التّكرار على تثبيت حجة تمسك المؤمن بمكارم الأخلاق والتّرغيب فيها ، مع تفخيم للمقصور ، كما أنّ في تكرار الفعل يلقّاها " إظهار لمزيد الاهتمام بهذا الخبر بحيث لا يستِتر من صريحه شيء تحت العاطف ."[2]

وكرّر الله تعالى كلمة (إله) لغاية حجاجيّة عقديّة تُؤكد التّوحيد الله في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾[3] ، وعدل عن قوله (وهو الَّذي في السَّماء والأرض إله) لاحتمل المعنى أنَّه هو الاله المُشترك فيهما ، وقد يكون فيهما آلهه غير مشتركة ، مِمَّا يعنى أنَّ في السَّماء إلها خاصاً بها وكذلك في الأرض إله خاص بها ولكن الإله المُشترك فيهما هو الله ، ولا يمكن قبول هذا الاحتمال؛ لأنَّه يتعارض مع مبدأ الوحدانيّة ، فالله هو الأحد والصمد ، في حين لو أوّلنا القول (وهو الَّذي في السَّماء وفي الأرض إله) فإن ذلك لا ينصّ على أنَّه إله في السَّماء ، بل يؤكد على أنَّه إله في الأرض فقط ؛ لأن معنى التَّأويل أنَّه في السَّماء من غير إشعار إلى إنَّه إله مع تأكيد أنه إله في الأرض ، فالمعنى أنَّه موجود في السَّماء ولكنَّه في الأرض إله ، لكن التِّكرار جاء ضرورة لمنع أي احتمال آخر ، أو تأويل من خلال التَّكرار في ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَّهٌ ﴾ نص صريح على أنَّه إله في السَّماء لا إله غيره ، وفي الأرض هو إله لا إله غيره [4] ، فقرَّب هذا التِّكرار المعنى المراد إلى نفس المُتلقِّي ، وهدم أي احتمال آخر وحمله على الإذعان لمبدأ الوحدانيّة شه ، فالتِّكرار حقَّق غاية حجاجيّة إقناعية أزالت أي لُبْس قد يقع فيه المُتلقِّي ، ولم يأتِ من باب التَّرتيب أو الرَّتابة ، وجذير بالذِّكر أنَّه هنالك من يرى أفاد أن عبودية أهل السَّماء تختلف عن كيفية عبادة أهل الأرض.

^{1.} سورة فصلت ، الآية: 35

^{2.} ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 24 ، ص 295

^{3 .} سورة الزخرف ، الآية : 84

^{4.} السامرائي ، فاضل صالح ، أسئلة بيانية في القرآن الكريم ، ص 176 - 177

وقدّم النّكرار الحرفيّ بُعْداً حجاجياً مؤثّراً في انفعالات المُتلقّي ، ومحركاً العمليات الدّهنية ، مكثفا لطاقة إقناعية كما في قوله : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ التكرار الدّوفيّ في ﴿ قَرَارًا ﴾ بتكرار الرّاء "له صفة التّكرار ؛ لأنّه عند النّطق به ساكنا التحديد مخرجه لا يقطع صوته اللسان بالتقائه تماما مع مقابله من الفك ، بل يظل مرتعشاً به زمنا ما كأنّه يكرّره "[2] ، هذا التّكرار الصّوتي يطيل من أمد التّكرار الفكريّ ، ويجعل الفكرة الحجاجيّة تدور في ذهن المُتلقّي ، فالأرض قارة أي ساكنة مهيأة لخدمة الإنسان فيقوم بكُلِّ ما يريد على أرضها ، فرستَّخ التّكرار الصّوتي في الرّباعي المضعف في قوله : واستدلالا على عظمته ، كما وقع التّكرار الصّوتي في الرّباعي المضعف في قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ [3] حاملا طاقة تأثيرية تتناسب مع موسيقا الطّبيعة وأصوات الرّباح وما فيها من قوة ترهيبية تخيف المُتلقّي ما أن يقع وقعها في أذنه بحيث يتسق المعنى اتساقا يشغل النّفس كما جانبا كبيرا من حسن العبارة راجع إلى التّكرار ، يتسقى المعنى الماقي والمنائي وتقريبها من إدراكنا الحسى. [14]

ومن نماذجه تكرار قصص الأنبياء وذكر أسماء الرُّسل والأمم السَّابقة ، ففي ذلك غاية إقناعية للمُتلقِّي ، وتأثير فيه للاعتبار مِمَّا كان من أمرهم ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ﴾ [5] ، وعبَّر الجاحظ عن هذا التّكرار بقوله "وقد رأينا الله ردّد ذكر قصّة موسى وهود ، وهارون وشعيب ، وإبراهيم وعادٍ وثمود ، وكذلك ذكر الجنَّة والنَّار ؛ لأنَّه خاطب جميع الأمم ، وأكثرهم معاند مشغول الفكر ساهي القلب "[6] ، فأراد الله من تكرار هذه القصص أن " يثبتها في كُلِّ قلبٍ ، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتَّحذير "[7] ، ويرى ابن رشيق أنه لا يجب تكرار

^{1 .} سورة غافر ، الآية : 64

^{2.} السيد ، عز الدين ، التكرير بين المثير والتأثير ، عالم الكتب ، ط 2 ، 1986 ، ص 11

^{3 .} سورة فصلت ، الآية : 16

^{4.} السيد ، عز الدين علي ، <u>التكرير بين المثير والتأثير</u> ، ص 46 ، 77

^{5.} سورة الزخرف ، الآية: 57

^{6.} الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 105

^{7.} ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (1973) تأويل مشكل القرآن ،ت:السيد أحمد صقر ،ط2، ص334.

"اسما إلا على جهة التَّشويق الاستعذاب، أو على سبيل التَّويه به، والإِشارة إليه بذكر، أو على سبيل التقرير والتَّوبيخ "[1]، وتكرار القصص يدخل ضمن تكرار المعنى ؛ لإخراج المعنى الواحد في قوالب مختلفة حتَّى يتجلى إعجازه، لتقرير المعنى وإقناع العقلاء بأنه ليس كلام بشر. [2]

^{1.} ابن رشيق ، أبو علي الحسن القيرواني ، (2013) : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ت : محمد بن علي الجيلاني ، المكتبة التوفيقية ـ مصر ، ط 1 ، ج 2 ، ص 24 ـ 25

^{2.} داود ، محمد، (2007): كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم نظرات فيما أثير من شبهات وأوهام ، دار المنار _ القاهرة ، ص183

الخاتمة:

بدأت الدِّراسات الحِجَاجيّة المُعاصرة تنافس الدِّراسات النَّقديّة الحديثّة الَّتي تهتم بالمُتلقِّي وتسعى للتَّأثير فيه ، بل جعلت غايتها ذلك المُتلقِّي لتكون استراتيجية تواصليّة مهمه تَعْمَدُ للتَّأثير في الآخرين ، ومن خلال دراسة البنية الحجاجيّة في سور الحواميم دراسة حجاجيّة توصلنا لمجموعة من النَّتاجات التالية :

ظهرت إرهاصات الحِجَاج في التُراث العربيّ الإسلامي ، وارتبط بمفهوم الجدل والبرهان ، واستند إلى مفهوم الإفهام والاقتتاع .

برزت النزعة الحجاجية عند الجاحظ من خلال مسبار الإفهام وعند عبد القاهر الجرجاني اهتم بالاستعارة الحجاجية من خلال ميكرزما الادّعاء والاعتراض.

ظهور دراسات رائدة في الدّرس الحجاجيّ عند العرب المحدثين وفي مختلف ميادين الحجاج من الفلسفيّ والبلاغيّ والتداوليّ ، وبرزت قامات عربيّة قدّمت إسهامات مميزة في هذا الحقل .

يعد الالتفات من أكثر الفنون البلاغيّة توظيفا في الحقل الحجاجيّ ، وتنوع بين التفات في الضمائر وفي الأفعال والعدد لغاية إثبات حجج تدعم الأطروحات واستحضار مشاهد معنوية بأخرى حسيّة لزيادة درجة الاقتتاع والإذعان .

تتوعت الأساليب الحجاجيّة في النَّصِّ القرآنيِّ من مجالات فلسفيّة اهتمت بمنطلقات وتقنيات الحِجَاج ، ومجالات بلاغيّة تتاولت موضوعات الالتفات الاستعارة والتَّمثيل المقابلة والصُّورة الفنيّة ، وبين مجالات تداوليّة من روابط وعوامل وسلالم حجاجيّة وأفعال كلام وإضمار واقتضاء وتكرار ، فساعد هذا التَّوع على إكساب النَّصِّ القرآنيُّ درجة عالية من التَّاثير والإقناع في متلقى الخطاب .

تعددت وسائل الإقناع والتَّأثير في سور الحواميم لتحقق أعلى درجات التَّواصلُ والتَّفاعُل بين المُتكلِّم والمُتلقِّى للوصول إلى أقصى حدود الإذعان والتَّسليم.

حملت الفنون البلاغية في سور الحواميم طاقات اقناعية حجاجية إضافة لما تحمل من مظاهر التَّزيين والتَّميق الجماليّ الأسلوبيّ فكانت أداة إقناع في المُتلقِّي .

تتوع الرَّوابط الحجاجيّة في سور الحواميم مِمَّا ساعد على تناسق وانسجام الخطاب الحجاجيّ الاقناعيّ في هذه السور ، كما تتوعت استخدامها بين الاستعمال التأييديّ نحو: ثمَّ ، حتّى ، إذا ، والاستعمال الابطاليّ نحو: لكن ، بل ، إذا .

تعدد العوامل الحجاجية في سور الحواميم لما تحمله من تقييد الامكانات الحجاجية من خلال توجيه القول إلى ما يعتقده المتكلم، فتعددت استعمالاتها الحجاجية بين التعارض كما في لكن وإنّما، أو التّقييد كما في (النّفي ... إلا) أو التساوق كما في (النفي ... إلا) و قليلا.

قامت السُّلميّة الحجاجيّة في سور الحواميم على حجج تدعم توجيه المُتلقِّي نحو الحقائق عبر الاستدلال للوصول لتوحيد الله من خلال مستويات مختلفة من السُّلم الحجاجيّ فبرز فيها سلمية المعجم وسلمية النظام البلاغيّ وسلمية الاستدلال.

شكلت المناظرة أداة حجاجية ذات أبعاد إقناعية منطقية واستدلاليّة من خلال توافر كُلّ عناصر المناظرة الأدبيّة والحجاجيّة في بنيتها الأدبيّة معتمدة على طاقة الحوار الاقناعيّة للتّأثير في المُتلقِّي واقناعه ودحض حججه المضادّة.

نهضت القوة الانجازية في الاستفهام والنَّهي والأمر والنَّداء بدور حجاجيّ مستثمرا ما فيه من قوة لغويّة وطاقة بلاغيّة ساعدت على توجيه القول للأهداف الحجاجيّة بنجاح. وظُفت الاستعارة في سور الحواميم لغايات حجاجيّة ، وظهر الاستعمال الاستعاريّ في مجال الادِّعاء والاعتراض والَّذي شكَّل نمطا حجاجيّا للاستعارة .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم ، صاحب خليل ، (2000): الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب _ دمشق ، د. ط .
 - إبراهيم ، كمال عبد العزيز ، (2010) : أسلوب المقابلة في القرآن الكريم ـ دراسة فنية بلاغية مقارنة ، دار الثقافة للنشر ـ القاهرة ، ط 1 .
- ابن الأثير ، ضياء الدين ، (1982) : كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر الكاتب ، تحقيق : نوري حمودي ، حاتم الضامن ، هلال ناجي ، منشورات جامعة الموصل ، د. ط .
- _ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي _ مصر، د. ط.
- الباجي ، أبو الوليد ، (2001): المنهاج في ترتيب الحجاج ، تحقيق عبد المجيد التركي ، دار صادر ـ بيروت، ط 3 .
- البخاري ، محمد بن إسماعيل ، (2002) : صحيح البخاري ، دار ابن كثير للطباعة والنشر _ دمشق ، ط 1 .
 - بدوي ، أحمد أحمد، (2005) : من بلاغة القرآن ، نهضة مصر للطباعة ، د . ط .
- بروتون فيليب، جيل جوتييه ، (2011) : تاريخ نظريات الحجاج ، ترجمة : محمد صالح الغامدي ، مركز النشر العلمي ـ جدة ، ط1.
- الحجاج في التواصل ، ترجمة : محمد مشبال ، عبد الواحد التهامي العلي ، المركز القومي للترجمة . القاهرة ، ط1 ، 2013.
- البطل ، علي ، (1981): الصورة الفنية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني البطل ، علي ، دراسة في أصولها وتطورها ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، ط2 .

- البهلول ، عبد الله ، (2016): الحجاج الجدليّ ـ خصائصه الفنيّة وتشكّلاته الأجناسيّة في نماذج من الترّاث اليوناني والعربي، دار كنوز المعرفة ـ عمان ، ط1.
- بومزير، الطاهر، (2007): التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، الدار العربية للعلوم ـ لبنان ، منشورات الاختلاف ـ الجزائر، ط1.
- بوقرة ، نعمان ، (2008) : مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري ، عالم الكتب الحديث ـ إربد ، ط1 .
- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ـ دراسة معجمية ، عالم الكتب الحديث ـ إربد، جدارا للكتب العالمي ـ عمان، 2009 ، ط1.
- بوقمرة ، عمر ، (2018): نظرية الحجاج في اللغة ـ جينيالوجيا النشأة ورهانات التطبيق في الدرس العربي الحديث ، ألفا للوثائق ـ الجزائر ، ط1.
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، (1998): البيان والتبيين ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي للطباعة ـ القاهرة ، ط 7 .
- كتاب الحيوان ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ، ط 2 ، 1965 .
- الجرجاني ، عبد القاهر ، (1991): أسرار البلاغة ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار الجرجاني ، عبد القاهر ، ط 1 .
- ـ دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، د . ط ، د . ت .
- الجرجاني ، علي بن محمد الشريف ، (د.ت) : معجم التعريفات ، تحقيق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ـ القاهرة ، ، د . ط .
- ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني ، (1986): المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ت : علي النجدى ناصف ، عبد الحليم النجار ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار سركين ، 1986 ، ط2 .

- جودي ليلي: استراتيجية التواصل في البلاغ القرآني ، دار غيداء للنشر ـ عمان ، ط 1 ، 2012.
- الحباشة ، صابر ، (2008): التداولية والحجاج ـ مداخل ونصوص ، دار صفحات للدراسات والنشر ـ دمشق ، ط 1 .
- حلاسة ، هناء عبد الرحمن، (2016): بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين ـ دراسة وصفية لنماذج خطابية ، مركز الكتاب الاكاديمي ـ عمان ، ط 1 .
- حمدان ، محمود موسى، (1992): أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم ، مطبعة الأمانة ـ مصر ، ط 1
 - الحمداني ، عبد القادر عبد الله ، (2003): سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية ، رسالة دكتوراه ، جامعة الموصل ـ العراق .
 - حمداوي ، جميل: التداوليات وتحليل الخطاب ، ط1 ، 2015.
 - ـ من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، أفريقيا الشرق ، د. ط ، 2014 ـ نظريات الحجاج ، د. ط ، د . ت .
- خالقي ، حسين ، (2011) : البلاغة وتحليل الخطاب ، دار الفارابي ـ بيروت ، ط1. ختام ، جواد ، (2016) : التداولية أصولها واتجاهاتها ، دار كنوز المعرفة ـ عمان ، ط1 ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (د . ت): مقدمة ابن خلدون ، دار الجيل ـ بيروت ، د . ط.
- داود ، محمد محمد ،(2007): كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم ، دار المنار للطباعة والنشر ـ القاهرة ، ، د . ط .
- دخيل ، الله ناصر ، (1426 هـ): الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، السعودية.
 - درانة ، صبّاح عبيد ، (1986): الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن ، مطبعة الأمانة ـ مصر ، ط 1 .

- الدريدي ، سامية ، (2011): الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، عالم الكتب الدريدي ، سامية ، إربد ، الأردن ، ط1 .
- الدكان ، محمد بن سعد ، (2014): الدفاع عن الأفكار _ تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري ، مركز نماء للبحوث والدراسات ـ بيروت ، ط1 .
- الدهري ، أمينة ،(2011): الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، شركة النشر والتوزيع المدارس ـ الدار البيضاء، ط 1.
- ابن رشيق ، الحسن بن رشيق القيرواني ، (2013): العمدة في محاسن الشعر وآدابه وقده ، ت : محمد بن على الجيلاني ، المكتبة التوفيقية ـ مصر ، ط 1 .
- الزماني ، كمال ، (2012) : حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي ، عالم الكتب الحديث للنشر ـ إربد ، الأردن ، ط 1 .
- السامرائي، فاضل صالح ، (2008): أسئلة بيانية في القرآن الكريم ، مكتبة التابعين ، القاهرة ، مكتبة الصحابة ، الشارقة ـ الإمارات ، ط 1 .
- _ معانى النحو ، الجزء الأول ، دار الفكر للطباعة ، عمان ، ط1 ، 2000
- سلامة ، محمد حسين ،(2002): **الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم**، دار الأفاق العربية ـ القاهرة ، ط1 .
- السيد، عز الدين علي، (1986): التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب بيروت، ط2
- شارودو ، باتريك ، (2009): الحجاج بين النظرية والأسلوب ، ترجمة : أحمد الودرني ، دار الكتاب الجديد ـ بيروت ، ط1 .
- الشعراوي ، محمد متولي ، (1991): تفسير الشعراوي ، منشورات أخبار اليوم ، القاهرة.
- صادق ، مثنى كاظم ،(2015): أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، تنظير وتطبيق على السور المكية ، كلمة للنشر والتوزيع ـ تونس ، ط1.

- صالح ، بشرى موسى ، (1994): الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، المركز الثقافي العربي ـ بيروت ، ط1 .
- صبحي،أميمة، (2015): حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، دار كنوز المعرفة للنشر عمان، ط1.
- الصديق ، حسن ، (2000): المناظرة في الأدب العربي الإسلامي ، الشركة المصرية العالمية ـ القاهرة، ط1 .
- صمود ، حمّادي ، (د. ت): أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، جامعة منوبة ـ تونس ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، د. ط . مقالات في تحليل الخطاب ، منشورات جامعة منوبة ـ تونس ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، د. ط ، 2008.
- صولة ، عبد الله ،(2007): الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائه الأسلوبية ، دار الفارابي ـ بيروت ، ط2.
- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، مسكيلياني للنشر والتوزيع تونس ، ط1 ، 2011.
 - ضيف ، شوقي ، (د . ت): البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، ط 12 .
- طاليس ، أرسطو ، (1979): الخطابة ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات _ الكويت ، دار العلم _ بيروت، د. ط ، .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (1996) : جامع البيان في تأويل آي القرآن ، دار الفكر ـ بيروت ، د.ط
- طبل ، حسن ، (1990): أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، المدينة المنورة ، د.ط الطلبة ، محمد سالم الأمين ، (2008): الحجاج في البلاغة المعاصرة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ـ بيروت ، ط1 .

- عادل ، عبد اللطيف ، (2013): بلاغة الإقتاع في المناظرة ، دار الأمان ـ الرباط ، منشورات ضفاف ـ بيروت ، ط1 .
- ابن عاشور ، محمد الطاهر ،(1984): تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ـ تونس ، د . ط .
- العبد ، محمد ، (2014): النص والخطاب والاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ـ مصر ، د. ط .
 - عبد الباقي ، محمد فؤاد ، (1364 هـ): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .
- عبد الرحمن ، طه ، (2000): في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ، ط2 .
- ـ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ، 1998 ، ط 1 .
- عبد اللطيف ، عماد ، (2012) : البلاغة والتواصل عبر الثقافات ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ القاهرة ، ط1 .
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى ،(1988): مجاز القرآن ، علق عليه : محمد فؤاد سركين ، أبو عبيدة، معمر بن المثنى ، القاهرة، د . ط .
- - العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ،(1997): الفروق اللغوية ، حققه وعلق عليه : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ـ القاهرة ، د. ط .
- كتاب الصناعتين ، تحقيق محمد علي البجاوي ، محمد أبو الفضل ، إبراهيم سليم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الباجي الحلبي ، ط1 ، 1952 .

- العشراوي ، عبد الجليل ، (2016): آليات الحجاج القرآني ـ دراسة في نصوص الترغيب والترهيب ، عالم الكتب الحديث ـ إربد ـ الأردن ، ط1 .
- عشير ، عبد السلام ، (2006): عندما نتواصل نغير ـ مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، إفريقيا الشرق ـ المغرب ، د . ط .
- عصفور ، جابر ، (1992): الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ـ بيروت ، ط 3.
- العطار ، مصطفى ، (2017): لغة التخاطب الحجاجي ـ دراسة في آليات التناظر عند ابن حزم ، دار كنوز المعرفة ـ عمان ، ط1 .
- عكاشة ، محمود ، (2014): تحليل الخطاب في ضوع نظرية أحداث اللغة ، دار النشر للجامعات ـ القاهرة ، ط1 .
- في بلاغة الخطاب الاقتاعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، أفريقيا الشرق المغرب ، 2002 ، ط 2 .
- علوي ، حافظ إسماعيلي ، (2010): الحجاج مفهومه ومجالاته ـ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، دار عالم الكتب الحديث ـ إربد ، ط 1.
- عمران ، قدري ، (2012): البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل ، عالم الكتب الحديث ـ إربد ، الأردن ، ط1.
- العمري ، محمد ، (2012): البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، أفريقيا الشرق ـ المغرب ، ، ط 2 .
- الغامدي ، عادل بن علي ، (2016): الحجاج في قصص الأمثال القديمة ـ مقاربة سردية تداولية ، دار كنوز المعرفة ـ عمان ، ط 1 .
- فريد ، فتحي عبد القادر ، (1980) : فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب ، دار اللواء للنشر ـ الرياض ، ط1 .
 - فضل ، صلاح ، (1992): بلاغة الخطاب وعلم النص ، منشورات عالم المعرفة .

- فضل الله ، محمد حسين، (1996): الحوار في القرآن ، دار الملاك ـ بيروت ، ط5 . قادا ، عبد العالى ، (2016): بلاغة الإقتاع ، دار كنوز المعرفة ـ عمان ، ط1 .
- الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس ، دار كنوز المعرفة عمان ، ط1 ، 2015.
- قادم ، أحمد ، سعيد العوادي ، (2016): التحيل الحجاجي للخطاب ، مجموعة بحوث محكمة ، دار كنوز المعرفة للنشر ـ عمان ، ط 1 .
- ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، (1973): تأويل مشكل القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار التراث ـ القاهرة ، ط 2 .
- القرطاجني، أبو الحسن حازم، (1986): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب أبو الخوجة، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ط3.
- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، (2006): الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط 1.
- القزويني ، محمد بن عبد الرحمن ، (د.ت): الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق: مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة، د . ط .
- قوتال ، فضيلة ، (2017): حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية ، دار كنوز المعرفة للنشر ـ عمان ، ط1 .
- ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين، (1990): البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ـ بيروت، د. ط.
- لانج ، جوتس هنده ، (2012): مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشرق ـ القاهرة، ط1.
- المتوكل ، أحمد: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا الوضع في اللغة المتوكل ، أحمد: الوظيفة والبنية مقاربات دار عكاظ ـ الرباط، د. ط ، 1993.

- المجاشعي ، أبو الحسن علي بن فضّال ،(2007): النكت في القرآن الكريم ـ في معاني القرآن الكريم وإعرابه ، تحقيق عبد الله عبد القادر الطويل ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط1.
- محمد ، عبد الله خضر ، (د. ت): جماليات النص القرآني ، دار القلم للنشر ـ بيروت . المراغي ، أحمد مصطفى ، (د. ت): علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، د. ط مسكين ، حسن ، (2017): الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي ، عالم الكتب الحديث ـ إربد ، ط 1 .
- مسلم ، مسلم بن الحجاج (2006) : <u>صحيح مسلم</u> ، دار طيبة . الرياض، ط 1 . مشبال ، محمد ،(2016): في بلاغة الحجاج ، دار كنوز المعرفة ـ عمان ، ط1 . مطلوب ، أحمد ،(2001): معجم مصطلحات النقد العربي القديم ، مكتبة لبنان، ط1 .
- ابن المعتز ، عبد الله بن المعتز ، (1982): كتاب البديع، ت: إغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار الميسرة . لبنان ، ط3 .
- المغامسي ، آمال يوسف ، (2015): الحجاج في الحديث النبوي ـ دراسة تداولية ، دار المتوسط للنشر ـ تونس ، ط 1 .
- مكناسي ، صفية ، (2016): مقومات الحجاج في الخطاب الإصلاحي الجزائري الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مقاربة توصيفيه لآليات الإقناع ، دار غيداء للنشر والتوزيع ـ عمان ، ط 1.
- الملخ ، حسن خميس ، (2015): الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية ، دار عالم الكتب الحديث للنشر ـ إربد ، ط 1.
- المنصور ، زهير أحمد ،(2013): دراسات أسلوبية في الشعر العربي الحديث ، إصدارات نادي الإحساء الأدبي.
- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 1، 1990 .

- المودن ، حسن ، (2014): بلاغة الخطاب الاقتاعي ، دار كنوز المعرفة ـ عمان ،ط1 الناجح ، عز الدين، (2011): العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، مكتبة علاء الدين ـ صفاقس ، تونس ، ط 1 .
- ناصر، عمارة ،(2009): الفلسفة والبلاغة ـ مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ، منشورات الاختلاف ـ الجزائر ،الدار العربية للعلوم ناشرون ـ بيروت ، ط1.
 - ناصف ، مصطفى ، (1981): الصورة الأدبية ، دار الأندلس للنشر ، ط 2 .
 - النقّاري ، حمّو ، (2006): التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء ، ط 1 .
 - ونستك ، أ . ي ، (1936) : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، مكتبة بريل ، ليدن .
- ابن وهب ، إسحاق بن إبراهيم الكاتب ، (د. ت): البرهان في وجوه البيان ، تحقيق : حنفي محمد شرف ، مكتبة الشباب ـ القاهرة ، د. ط.
- وهبة، مجدي، كامل المهندس ، (1984): معجم المصطلحات العربية في اللغة والآدب ، مكتبة لبنان ـ بيروت ، ، ط 2 .
- ياسوف ،أحمد، (1999): جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي للطباعة دمشق، ط2 اليافي نعيم: مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق، 1982، د.ط يعمرانن ، نعيمة ،(2012): الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ـ الجزائر .
- ابن يعيش ، أبو البقاء يعيش بن علي ،(2001): شرح المفصل للزمخشري ، تحقيق : إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية _ بيروت، ط 1
- يوسف ، عبد الكريم محمود ، (2000): أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، مكتبة الغزالي ـ دمشق ، ط1 .
- يوسف ، عبد الفتاح أحمد ،(2010): لسانيات الخطاب وانساق الثقافة ، منشورات الاختلاف ـ الجزائر ، ط 1 .

المجلات والدوريات

- البوعمراني ، محمد الصالح ، مقال : الفضاء وتمثل بُنى اللغة والخطاب ، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية ، م3 ، ع1 ، ابريل 2018 .
- حمام ، بلقاسم ، مقال : البلاغة العربية وآلية الحجة ، مجلة الأثير ، مجلة الاداب واللغات ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، العدد الرابع ماي : 2005 .
- دريباتي ، آصف ، مقال : أنماط الصورة الحسية ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ـ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد 5 ، مجلد 35 ، مجلد 2013 .
- السويكت ، عبد الله ، مقال : البنية الحجاجية في المناظرات الأدبية ، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية ، العدد 7 ، يونيو 2015 ، شعبان 1436
- صحراوي، مسعود، مقال: الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات النداولية، مجلة اللغة العربية الجزائر، العدد 10، أكتوبر 2004.
- القرشي، عالي سرحان، مقال: قلق البحث عن علاقات الاستعارة عند عبد القاهر، مجلة جدور، جدة، السعودية، ج14 ، مج 7، رجب 1424، سبتمبر 2003.
- الهزاني ، حصة بنت سعود ، مقال : الوظيفة الحجاجية للاستعارة " خطب الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس نموذجا " ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث العلمي ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث العلمي ، عمادة البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث البحث العلمي ، جامعة مؤتة ، م13 ، عمادة البحث ال
- الهيشري، الشاذلي، مقال: الالتفات في القرآن، حوليات الجامعة التونسية، جامعة تونس، العدد 32، 1991
- الولي ، محمد، مقال : مدخل إلى الحجاج ، مجلة عالم الفكر ، العدد 2 ، مجلد 40 ، 2011